

بديع الزّمان النّورسي

وتحدّيات عصره



إبراهيم سليم أبو حليوه

إبراهيم سليم أبو حليوه

ولد في إربد الأردن عام ١٩٥٦.
مجاز في العلوم القانونية من جامعة الجزائر
ماجستير في القانون الدولي والعلاقات الدولية من جامعة الجزائر
له دراسات عدة في الشؤون الفلسطينية والإسرائيلية، منها: القدس في السياسة الأمريكية (١٩٤٥-٢٠٠٠).
نشر عدداً من الدراسات في الدوريات العلمية العربية.

بديعُ الزّمان سعيد النّورسي
وتحديّــاتُ عصْــرِه

إبراهيم سليم أبو حُلَيوَه

بديعُ الزّمان سعيد النّورسي وتحدّياتُ عصْرِه





المؤلف : إبراهيم سليم أبو خَلِيوَه
الكتـاب : بديعُ الزّمان سعيد النّورسي وتحدِّياتُ عصْرِهِ
المراجعة والتقويم : محمد دكير
تصميم الغلاف : حسين موسى
الإخراج والصفّ : هوساك كومبيوتر برس

الطبعة الأولى : بيروت، 2010
ISBN: 978 - 9953 - 538 - 54 - 9

Badi al - Zaman Said al - Nawrasi
and his era's Challenges

«الآراء الواردة في هذا الكتاب، لا تعبّر بالضرورة
عن آراء مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي واتِّجاهاته»



مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي
Center of civilization
for the development of Islamic thought

بناية الصبّاح - شارع السفارات - بئر حسن - بيروت

هاتف : 826233 (9611) ـ فاكس : 820387 (9611) ـ ص . ب : 55/ 25
Info @ hadaraweb.com
www. hadaraweb.com

1441.2245.010610

المحتويات

كلمة المركز

بسم الله الرحمن الرحيم

اعتمد مركز **الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي**، في اختيار شخصيات سلسلة أعلام الفكر والإصلاح في العالم الإسلامي، مجموعةً من الأسس، يأمل العاملون فيه أن لا يكونوا قد حادوا عنها، وأهمها كي لا نكرّر الأنشودة نفسها مع كلّ وليد وحلقة من حلقات هذه السلسلة، أن يكون موضوع الكتاب ومحوره رائداً من الروّاد، قدّم مساهمة تستحقّ أن تُدرَس. وفي هذا السياق ووفق الأسس نفسها يأتي هذا المشروع الجديد ليصوِّب على الهدف نفسه، ويحقّق الغرضَ المرجوَّ عينه. **فبديع الزمان سعيد النورسي** واحد من الأعلام الذين ولدوا وعاشوا في فترة من أكثر فترات التاريخ الإسلامي حراجة، حيث عاش في السنوات الأخيرة من عمر الدولة العثمانيّة، وشهد سقوطها وتحوّلها من حال إلى حال، وعاش فترة الحرب العالميّة التي كانت عاصفة بالأحداث السياسيّة التي أرْخَتْ بظلالها على الفكر الإنسانيّ عموماً، والإسلاميّ منه على وجه التحديد.

في مثل هذه الأوضاع حدّد النورسي مجالات عدّة ينبغي العمل عليها، أهمّها بثّ العلم والمعرفة في المجتمع الإسلاميّ وخاصّة البيئة التي كان يعيش فيها، والثاني وجد أنّ الإيمان يتعرّض لهجمة شرسة تستهدف اقتلاعه من نفوس الناس فرأى أنّ أهمّ واجباته هو الحفاظ على الإيمان غضاً طريًّا في نفوس المسلمين، ثمّ رأى أنّ القرآن مهجور عند بني قومه ولا بدّ بالتالي من إعادته إلى وسط الميدان ليكون المحورَ الذي تدور حوله كلّ الأفكار وتستلهمَ منه كلُّ العزائم. وبعد توفّر هذه الخصائص في فكر النورسي بدا لنا أنّ من الممكن أن يُدرَج اسمه بين الأعلام الذين يستحقّون تخصيصهم بكتابٍ من كتبِ هذه السلسلة.

وإنّ المركز إذ يقدّم هذا الكتاب يأمل أن يكون فيه كشفاً عن شخصيّة لم تُوَفَّ حقّها بين قرّاء العربيّة، ولم يعرفها الكثيرون. وإلى موعدٍ جديدٍ، مع حلقةٍ جديدةٍ من حلقات سلسلتنا التي لا نرغب لها أن تنقطع، وأن تلد في كلّ حينٍ مصلحاً يُدرَس ليستفاد من تجربته، ويُعتبَر من دروسه.

مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي

إهداء

إلى الذين . . .

﴿صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيۡهِۖ فَمِنۡهُم مَّن قَضَىٰ نَحۡبَهُۥ
وَمِنۡهُم مَّن يَنتَظِرُۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبۡدِيلࣰا﴾

تنـويــه

عندما شرعتُ في إنجاز هذا الكتاب عن هذه الشخصية الفذّة التي تصدَّت في وقت مُبكر لمشاكل الأمة، وجدت نفسي مُتردداً أمام ضخامة تراثه الفكري وضخامة الأعمال التي تناولت هذا التراث ومجالات اهتمامه. سواء عبر المؤلفات أو المؤتمرات والندوات أو الأبحاث والرسائل الجامعية. لذلك تردّدت ماذا عساي أن أُضيف إلى هذا الجهد الذي سبقني إليه آخرون، لكن ما إن عقدت العزم على الولوج في هذه المضمار، حتى فتح الله أمامي كنوزاً من المواقف المُعبرة عن عمق الإيمان والادراك لواقع الأُمة، وحينها آثرت أن لا أحدد ميداناً معيناً أو قضية محددة لتناولها، بل سعيتُ إلى مقاربة مُجمل وأهم الميادين التي تناولها بالكتابة والموقف طوال سنوات جهاده الطويلة، والذي كان من ثمارها انتشار أفكاره ومواقفه واتساع تأثيرها المتواصل والمتزايد. والمساهم في نهوض الأمة في مواجهة السيطرة الغربية الصهيونية التي لا زالت تفعل فعلها في الأمة، وتتصارع مع قوى الأمة ـ المقاوِمة والممانِعة ـ على أمل قريب بعون الله أن تنفض الأمة عنها تردُّد السنين وتتخلص من السيطرة الغربية وأدواتها.

آمل أخيراً، أن تُشكل هذه الدراسة إضافة مفيدة للباحثين والدارسين لأعلام الجهاد في العصر الحاضر في مواجهة الغزو الغربي وأدواته وأعوانه.

منوهاً وشاكراً للذين سبق أن تناولوا فكر بديع الزمان، لما وفَّروه من مادة سهَّلت على الباحثين والدارسين ولوج الموضوع بيسر، سواء كانوا مُؤسسات أو أفراداً.

المقـدمـة

لم يتوقف الصراع على العالم الإسلامي واستهدافه حتى وهو في أوج قوته، ولم يتوقف الغرب عن التربص بالعالم الإسلامي منذ الهزيمة التي الحقها به المسلمون في معركة اليرموك. . فحرّك الغزوة تلو الأخرى، إلى أن جاءت الدولة العثمانيّة. حيث استقر قلب العالم الإسلامي وصمد لقرون، دون أن يتمكن الغزاة من السيطرة عليه، لا بل إنَّ وجود دولة قوية في هذا المنطقة دفع بالقوى الأوروبية للبحث عن طرق بديلة للمواصلات، قادتهم في نهاية الأمر إلى اكتشاف رأس الرجاء الصالح وأمريكا. لكنَ بقيت خطوط الدفاع عن الأمة متقدمة في قلب أوروبا.

لكن عوامل متعددة أدّت إلى إنهاك الدولة العثمانية، وضعف قدرتها على الصمود فانهارت الاقطار الإسلامية الواحد تلو الآخر، وما إن حلَّ عصر النّورسي أواخر القرن التاسع عشر حتى كانت القوى الغربية قد حققت قفزة نوعية في المجالين العلمي والصناعي، في المقابل كان العلم الإسلامي في تراجع وعاجز عن اللحاق بالتقدم الغربي أو جَسْر الهوة معه. فازدادت الأطماع وتصاعد الهجوم لتمزيق الأمة إلى كيانات

متناحرة عبر إثارة الأقليات والقوميات وتعميق الغزو الثقافي، وصولاً إلى السيطرة المباشرة وفرض التجزئة وإقامة أنظمة التغريب وغرس الكيان الصهيوني كأكبر تحدٍّ في قلب الأمة.

لقد كان النّورسي مشاركاً منذ وعى المخاطر في الدفاع عن الأمة، في مرحلتين لكل منها طبيعتها. في الأولى شارك في الجهاد والدفاع عن الدولة والدعوة للإصلاح السياسي، وفي المرحلة الثانية بعد سقوط الدولة وسيطرة العلمانيين وفرض سياسة معادية للإسلام وسلوك طريق نشر ثقافة الغرب في مختلف مفاصل الحياة.

يقول النورسي عن هذه المرحلة الدقيقة والحرجة في حياة الأمة: «إنّني لا أستطيع أن أتحمل كل آلامي الشخصية ولكن آلام الأمة الإسلامية سحقتني، إنني أشعر بأنَّ الطعنات التي وُجهت إلى العالم الإسلامي كأنها وجهت إلى قلبي أولاً، ولهذا ترونني مسحوق الفؤاد، ولكني أرى نوراً ينسينا هذه الآلام إن شاء الله تعالى».

أدرك النّورسي مُبكراً أنَّ الأمة أصيبت أولاً في دينها، وأنها لو كانت سليمة لما سقطت أمام المخطط اللاديني، ومن هذه النقطة بدأ توجهه، لبناء الإيمان، وإعادة المسلم إلى كيانه وهويته من خلال إحياء الإيمان. . . لقد شخَّص النّورسي مرض الأمة وعرف العلاج، المرض: هو البُعد عن هذا الدين، وما ترتب عليه من جهل وتخلّف وفوضى أخلاقية، والعلاج: هو بالعودة إلى الدين، بإنقاذ الإيمان. . لقد حدَّد الهدف وألزم نفسه به، وعزم الأمر على الإصلاح والتغيير، متخذاً القرآن مصدره ومدرسته، وهاديه ومرشده في كل خطوة يخطوها.

والإعداد من أجل عملية الإصلاح والتغيير، بدأه بنفسه أولا: فقد عمل على علاج أمراضها، وتخليصها من رواسب الحياة المادية، ومن

كل ما يخدش المروءة والعفّة والفضيلة، وزهد في كل ما يقتتل الناس من أجله.. زهد في المال والجاه والمنصب، وزهد بالشهرة والسمعة، وكل ما يتهافت عليه أبناء الدنيا، حتى غدا مثلاً حياً لما يدعو إليه.. لقد تطابقت عنده النظرية مع السلوك، ولم تعد ثمة هوّة تفصل بينهما كدأب أكثر الناس ومنهم الدعاة أو علماء الدين.. لقد أصلح نفسه قبل أن يدعو الآخرين، فوقع في قلوب الناس.. وقع كلامه وسلوكه وشخصيته المعنوية في قلوب الناس، حتى صار مثلاً يُحتذى، وقُدوة تربي طلابها بأفعالها قبل أقوالها. وقد قال عن نفسه:

«لا بدّ أن أبدأ بها أولاً، لأن من عجز عن إصلاح نفسه، فهو عن غيرها أعجز».

الخطوة التالية التوجه للإخوان، ليكونوا النواة الصلبة القويه الواعية في مجتمع تنهش فيه العلمانية،.. تعهَّدُهم بدروسه ورسائله، ليكشف لهم حقيقة ما يجري على الأرض التي حمى أصحابها الإسلام والمسلمين قروناً، ويكشف دور العلمانيين والمستغربين، ويملأ قلوب طُلاب النور بأنوار القرآن الكريم، وسُنّة النبيّ العظيم(ص)، ويشحن نفوسهم بطاقة إيمانية، ويُسلّح عقولهم بالأدلة والبراهين، لينطلقوا ـ من ثمّ ـ إلى بيوتهم، وقُراهم، وأحيائهم، وأماكن عملهم، يبشّرون بتعاليم الإسلام، لا يخشون في الله لومة لائم، ولا يأبهون بكيد الكائدين، ولا بسجون الحاكمين، ولا بضلالات البلاشفة الملحدين..

عاش النّورسي حياته مع القرآن، ومع مُنزّل القرآن، ومع مُبلّغ القرآن، واعُتنى بطلابه، لأنه يعتقد أنَّ «الكيف أهمّ وأفضل من الكم، وتبليغ حقائق القرآن إلى عشرة أفراد بإخلاص وصدق، أهم عندي من إرشاد آلاف في طريقة صوفية، وتبليغ الدعوة إلى عشرة أشخاص،

بمنزلة نواة تنبت وتُصبح شجرة ثابتة بإذن الله. . لكن هؤلاء الآلاف من المتصوفة، يُمكن أن تزلزل أفكارهم أمام الهجوم الفلسفي المُضلل».

كما ركَّز النّورسي على البيت والأسرة، زوجاً وزوجة وأولاداً، ودعا إلى الحفاظ عليها، فهي الخلية الأولى في المجتمع الصالح بل إنَّ الحياة الأسرية ـ على حدٍّ قوله ـ هي قلعة الإنسان الحصينة، ولا سيما للمسلم. . هي كالجنة المصغّرة، ودنياه الصغيرة. .

وتوجَّه لطالبات النور، فأرشدهنَّ من خلال رسائل مُتعددة إليهن، إلى حُسن الإقبال على الله، ورعاية البيوت، والأولاد، وحُسن العشرة الزوجية، والحفاظ على عفتهن وطهارتهن النابعة من الدين الحنيف، وعدم الجري وراء مظاهر الحضارة الغربية المُهلكة والمدمرة للإنسان.

كما دعا إلى بعث الفكر الإسلامي من جديد، وإلى تجديد علوم الشريعة؛ لأنَّ «الشريعة الغراء. باعتبارها أزلية قديمة، ستبقى إلى الأبد، والنجاة والخلاص من ظلم النفس وشرّها، يكون بالاعتماد على الإسلام، وبالتمسك بحبل الله المتين، والاستمتاعُ الحقيقي بالحرية الحقة جزء من الإيمان، ومستمدّ منه».

لقد أمضى النَّورسي حياته يعمل في خدمة الإيمان، متنقلاً بين المنافي والمحاكم والسُّجون التي جعلها مدارس يُوسفية، لم تفتر عزيمته، ولم يتراجع، حتى سلَّم الأمانة لطلابه من بعده يواصلوا جهوده، على طريق الهداية و النصر الذي وعد الله به عباده المجاهدين العاملين، ﴿وَالَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾.

أجل إنَّ المجاهدين الذين باعوا أنفسهم ودنياهم لله في طريق الإيمان والقرآن، فإنَّ الله يبشرهم بالهداية إلى سُبله، ولا شك أنَّ الله لا

يخلف وعده إذا تحققت شروط النص هذه. وحين يكون الإنسان محطّ نعمة الله في الحفظ والحماية، فلا يكون للخوف والترهيب والحزن أهمية تذكر..

لقد خطَّط اللادينيون ـ هذه المرة ـ لاستهداف العقيدة، ولسلب المسلمين الأساس والقاعدة التي يمكن أن يعودوا إليها للانطلاق مُجدداً لبناء الحياة الإسلامية. مُستفيدين من تجاربهم السابقة، فقد تعرّض العالم الإسلامي لغزوات كثيرة عبر التاريخ، لكن تلك الغزوات حققت انتصارات عسكرية ولم تكن تستهدف نزع الإيمان من الأمة، لذلك ما تلبث الأمة أن تجمع أمرها بطلائعها المجاهدة تحت راية الإسلام وتنتصر. أما هذه الغزوة الجديدة فقد انفردت باستهداف الإسلام عقيدة ونهج حياة أولاً، وسعت إلى نشر ثقافة الغرب مكانها، وتمكنت من استيلاب جزء كبير من أبناء الأمة ونقلهم إلى مواقع لادينية حيث احتلت الثقافة الغربية عقولهم، وأصبحوا تابعين أذلاء للسياسات المعادية لأمتهم. وشكلوا أداة لمواجهة كل مظهر للنهضة الإسلامية بعد أن مكّنهم الغرب من تولي الحكم في كيانات التجزئة المقيتة. وأصبحوا أدوات لمد الكيان الصهيوني بعوامل الاستمرار عبر حمايته من المقاومة ومد يد العون له.

إنَّ حالة النهوض الراهن بأوضاع الأمة والذي بدأت ملامحه على شكل صحوة إسلامية منذ الثمانينيات من القرن الماضي، ترافقت مع انتصار الثورة الإسلامية في إيران والانتقال من مرحلة جديدة من المواجهة مع الغزوالغربي و سيطرته، وصولاً إلى مرحلة الممانعة المترافقة مع المقاومة في أكثر من ساحة في عالمنا الإسلامي وفي مقدمتها المقاومة في فلسطين ولبنان. ولا شك في أنَّ كل ذلك جاء نتيجة

جهود ضخمة جداً مؤيدة من المولى (عزّ وجلّ) قام بها أعلام من العلماء المجاهدين والآلاف من المجاهدين المجهولين. وفي مقدمة هؤلاء الأعلام الذي لا يزال صدى جُهدهم يحرك الأمة نحو استعادة دورها الحضاري المنشود: الإمام الخميني والإمامين النّورسي وحسن البنّا وقبلهم روّاد عصر النهضة، وإلى جانبهم المودودي ومحمد إقبال وعبد الحميد بن باديس والثعالبي... إلى آخر القافلة.

ولا نغفل هنا مجموعة أخرى من المجاهدين الأعلام الذين حملوا السلاح للتصدّي لطلائع الهجمة الغربية من أقصى المغرب إلى أواسط آسيا، نذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر: عبد الكريم الخطابي، عمر المختار، الشيخ عز الدين القسام، شيخ فضل الله النوري، شيخ سعيد البيراني والشيخ شامل و...... إلخ.

في هذه الإطلالة المتواضعة أمام مقام الداعية المجاهد النّورسي، سوف نتناول سيرته ومشروعه الفكري والدعوي من خلال سبعة فصول على الشكل التالي:

الفصل التمهيدي: حول نشأة النّورسي وعصره

الفصل الأول: النّورسي وقضايا الإعجاز

الفصل الثاني: النّورسي والمقاصد

الفصل الثالث: القضية السياسية في فكر النورسي

الفصل الرابع: القضية الاجتماعية

الفصل الخامس: النّورسي وقضايا التربية

الفصل السادس: آثار النّورسي وتراثه الفكري

الفصل التمهيدي

حياة النّورسي:
النشأة والمسيرة والبيئة

يُعتبر النّورسي واحداً من أعلام النهضة الذين تصدُّوا للإصلاح والتجديد، بعد إدراكهم للمخاطرالتي يتعرض لها العالم الإسلامي بسبب المخططات الغربية الاستعمارية. وقد قام بدوره الجهادي في التصدِّي ومواجهة المؤامرات ضدّ الإسلام، إضافة لمعاصرته لأهم التحولات التي شهدها العالم الإسلامي أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين، لا سيما تغلغل ثم سيطرة القوى الغربية على العالم الإسلامي وإسقاط دولة الخلافة، وفرض التجزئة والتقسيم وبثّ التغريب، حيث كان حاضراً في ميدان المواجهة، وكانت له مواقف مهمّة ومتميزة.

فقد عايش النّورسي الدولة العثمانيّة في آخر أيامها، حينما حاصرتها القوى الغربية وأخذت بإقتطاع أجزاءً كثيرة من ممتلكاتها، خاصة بعد الحرب العالمية الأولى حيث وقعت عاصمة الخلافة تحت الإحتلال، ثم تمكن مصطفى كمال (أتاتورك) من السيطرة على السلطة وإلغاء الخلافة، وفرض نظام سياسي واجتماعي وثقافي معادٍ للدين.

لقد دعا النّورسي للإصلاح والتجديد، وبناء الدولة انطلاقاً من

الإسلام ومبادئه بدل دعوة التتريك التي أثارت النزعة القومية في السلطنة في عهد السلطان عبد الحميد.

كما شارك في الجهاد وكان قائداً عسكرياً في جبهة القتال إلى أن وقع أسيراً في الميدان.

واتجه إلى البناء الداخلي لتحصين معاقل المقاومة العقائدية والدينية والتربوية لدى المسلمين، بعدما سيطر الكماليون (أنصار كمال أتاتورك) على السلطة وسلكوا بها منهجاً معادياً للدين، وفي سبيل المحافظة على الإيمان وجهاده لتحقيق هذا الهدف تعرّض لمحن متواصلة، فقضى حياته بين السجن والنفي «غريب الفكرة والدار».

المبحث الأول

نشأة النّورسي ومسيرة حياته

في هذا المبحث سنقتفي سيرة الإمام النّورسي: ميلاده ونشأته الأولى والمحطات الأساسية في مسيرة حياته والتي سنتناولها من خلال تقسيمها إلى ثلاث مراحل.

المطلب الأول

الميلاد والنشأة

وُلد السيد **سعيد النّورسي** سنة 1294هـ الموافقة لسنة 1877ميلادية في قرية (نورس)، التابعة لولاية (بتليس) الواقعة فى شرق الأناضول بكردستان تركيا.

من أسرة كردية مُتدينة، تشتغل بالزراعة، مُتوسطة الحال، والده **«ميرزا بن علي»**! لُقب بالصوفي، والدته **«نورية بنت مُلاّ طاهر»**! وقد عُرفت أيضاً بالتقوى والصلاح، فلم تكن ترضع أطفالها إلا وهي على طُهر ما استطاعت إلى ذلك سبيلاً. وكان أخوه الكبير (**المُلا عبد الله**) عالماً يشتغل بالتدريس[1].

---

(1) النّورسي، سيرة ذاتية، ص 35.

أسرته ونسبه:

يقول النّورسي: إنَّني لم أشاهد والدتي الرؤوفة منذ التاسعة من عمري، فلم أحظ بتبادل الحوار اللطيف معها في جلساتها. فبتّ محروماً من تلك المحبة الرفيعة.

ولم أتمكن من مشاهدة أخواتي الثلاث(*) منذ الخامسة عشر من عمري، حيث ذهبن مع والدتي إلى عالم البرزخ. فبتّ محروماً من كثير من ألطاف الرحمة والاحترام التي تنثر في الجلسات الأخوية الطيبة اللذيذة في الدنيا. ولم أشاهد أيضاً أخويّ من ثلاثة أخوة(**) ـ منذ خمسين سنة ـ رحمهم الله ـ فبتّ محروماً من السرور المنبثق من الأخوة الودودة والشفقة العطوفة في مجالسة أولئك الأعزاء المُتقين العلماء. . .

وحيث إنَّني قضيتُ حياتي عزباً فلم أنجب الأولاد، لذا بتُّ محروماً من مذاقات محبتهم البريئة ومن إبتهاجهم وانشراحهم. . .

ومع كل هذا ما كُنت أشعر بهذا النقص قط، حيث أنعم سبحانه

(*) وهُنَّ: درّية: هي والدة «عُبيد» توفيت قبل الحرب العالمية الأولى. وخانم: وهي العالمة الفاضلة التي تُوفيت في الحج أثناء الطواف سنة 1945 (الشعاعات/ 322) ومرجان: وهي أصغرهن جميعاً.

(**) وهُم: عبد الله: توفي عام 1914م وهو والد «عبدالرحمن» تلميذ الأستاذ النّورسي وابنه المعنوي. ومحمد: توفي سنة1951م. اما شقيقه عبدالمجيد: فتوفي سنة 1967م.

عبد المجيد: هو أصغر إخوة النّورسي. ترجم كثيراً من رسائله إلى اللغة العربية إلا أنها نُشرت في وقتها في نطاق ضيق وترجم إلى التركية رسائله العربية (اشارات الاعجاز) و(المثنوي العربي). كان مدرساً للغة العربية ثم مفتياً ثم مدرساً للعلوم الإسلامية في معهد الأئمة والخطباء والمعهد الإسلامي في قونيا. توفي سنة 1967م عن ثلاث وثمانين سنة من العمر رحمه الله رحمة واسعة.

فأبناء السيد ميرزا بالتسلسل هم: درية خانم، عبدالله، سعيد، محمد، عبدالمجيد، مرجان.

وتعالى عليّ في هذا اليوم معنىً في منتهى الذوق واللذة فضمَّد جراحاتي الأربعة المذكورة من جهات ثلاث:

إنّه عوضاً عن اللذة الآتية من العطف الخاص لوالدتي، أحسن الرحيم سبحانه وتعالى عليّ، أُلوفاً من الوالدات اللائي يستفدن من رسائل النور استفادة تفوق المُعتاد ويتذوقن منها أذواقاً روحية خالصة.

وعوضاً عن السرور والبهجة والعطف الأخوي الناشئ من مجالسة أخواتي الثلاث ـ رحمهن الله ـ أحسن المولى الكريم عليّ الألوف من السيدات والشابات، وجعلهن سبحانه وتعالى في موضع أخوات لي، فأستفيد من دعواتهن وتعلقهن برسائل النور ألوفاً من الفوائد والثمرات المعنوية والمسرَّات الروحية، وهناك إمارات عديدة على صدق هذا القسم الثاني يعرفها إخوتي.

وعوضاً عن حرماني من العون المادي والمعنوي الذي كان يمدّانني به في الدنيا أخوايّ المرحومان ومن عطفهما ورأفتهما، فقد أحسن سبحانه وتعالى برحمته عليّ مئات الألوف من إخوة حقيقيين مُضحين في خدمة رسائل النور يحملون عطفاً خالصاً ويمدّون إليّ يد العون بل يفدون رأسمال حياتهم الأخروية فضلاً عن حياتهم الدنيوية.

وعوضاً عن حرماني من أذواق العطف والحنان النابعة من الأولاد ـ حيث لا أولاد لي فى الدنيا ـ أنعم سبحانه وتعالى عليّ مئات الألوف من الأولاد الأبرياء، من حيث استفادتهم من رسائل النور مستقبلاً. فحوّل سبحانه وتعالى هذه العواطف الثلاث والشفقة الرؤوفة الجزئية إلى مئات الألوف منها[1].

---

(1) أمير داغ، **الملاحق**، ج2 ص 397.

نسبه[*]:

وقد حقَّق الباحثون: **نجم الدين شاهين آر وعبد القادر بادللي ومحمد ملا زاهد الملا كردي** في نسب الأستاذ النّورسي وتوصلوا إلى الآتي:

والده: **صوفي ميرزا بن علي بن خضر بن ميرزا خالد بن ميرزا رشان**، من عشيرة إسباريت.

أما والدته: **فهي نورية بنت ملا طاهر** من قرية «بلكان» التي تبعد عن قرية «نورس» ثلاث ساعات. وهي من عشيرة خاكيف. والعشيرتان من قبائل الأكراد الهكارية[**][1].

(*) ينقل شهود كثيرون أنَّ الأستاذ النّورسي كان قد ذكر في مجالسه الخاصة: أنَّ نسبه ينتهي من جهة الأب إلى الإمام الحسن ومن جهة الأم إلى الإمام الحسين رضي الله عنهما إلا أنه لم يصرح بذلك في رسائله حفاظاً على الإخلاص وتجنباً عن إحراز مقام معنوي في نظر الناس. فمثلاً يقول: «يا أخي إنَّ المنتسب إلى سيدنا علي رضي الله عنه هو أنا، فما أتاني من شئ إلا من سبيله. . .» Son sahitler /1 240
أو قوله مثلاً: «يا أخي صالح إنك سيد ـ من أهل البيت ـ حقاً، ونورية كذلك سيدة، ومرزا أيضاً سيد». Son sahitler /3 201
وقوله أيضاً: «إنني سيِّد ـ من أهل البيت ـ ولكن إحذر أن تذكر هذا لأحد، فوالدتي حُسينية، ووالدي حسني». Son sahitler /3 238 أنظر: سيره ذاتيه، ص 39.

(**) يقول النورسي أقسم بالله إنَّ أرسخ درس أخذته، وكأنه يتجدّد عليّ، إنَّما هو تلقينات والدتي رحمها الله ودروسها المعنوية، حتى استقرت في أعماق فطرتي وأصبحت كالبذور في جسدي، في غضون عمري الذي يناهز الثمانين رغم أني قد أخذت دروساً من ثمانين ألف شخص، (النّورسي، المثنوي العربي ص168)، بل أرى يقيناً انَّ سائر الدروس إنما تُبنى على تلك البذور. بمعنى إنِّي أشاهد درس والدتي ـ رحمها الله ـ وتلقيناتها لفطرتي وروحي وأنا في السنة الأولي من عمري، البذور الأساس ضمن الحقائق العظيمة التي أراها الآن وأنا في الثمانين من عمري. أنظر: اللمعات، ص 309.

(1) **النّورسي، سيرة ذاتية**، ص 39 ـ 40.

ويقول النورسي: «إنَّ الخبراء في محكمة دنيزلي قالوا عن طُلاب النور ـ حسب اعتقاد بعضهم ـ: إذا ادّعى سعيد النورسي أنه المهدي فإنَّ جميع طلابه يصدّقونه برحابة صدر. وأنا قد قُلت لهم في المحكمة:

«إنني لا أستطيع أن أُعدّ نفسي من آل البيت حيث الأنساب مختلطة في هذا الزمان بما لا يمكن تمييزها، بينما مهدي آخر الزمان سيكون من آل البيت. رغم أنّني بمثابة ابن معنوي لسيدنا علي كرم الله وجهه وتلقيت درس الحقيقة منه، وإنَّ معنىً من معاني آل محمد صلى الله عليه وسلم يشمل طلاب النور الحقيقيين، فأعدّ أنا أيضاً من آل البيت، إلاّ أنَّ هذا الزمان هو زمان الشخص المعنوي، وليس في مسلك النور ـ بأية جهة كانت ـ الرغبة في الأنانية وحُب الشخصية والتطلع إلى المقامات والحصول على الشرف وذيوع الصيت، وكل ذلك منافٍ لسر الإخلاص تماماً.

فأنا أشكر ربِّي الجليل بما لا نهاية له من الشكر أنه لم يجعلني أُعجب بنفسي، لذا لا أتطلع إلى مثل هذه المقامات الشخصية التي تفوق حدّي بدرجات لا تُعد ولا تحصى، بل لو أُعطيت مقامات رفيعة أخروية فإنَّني أجد نفسي مضطراً إلى التخلّي عنها لئلا أخلّ بالإخلاص الذي في النور. هكذا قلت للخبراء وسكتوا...[1].

لقد ظهرت عليه علامات الذكاء والنبوغ مُبكراً، وتميز عن أقرانه بحب الاطلاع وكثرة الاستفسار ودقة الملاحظة، وحرصه على حضور مجالس الكبار التي كان يدعو إليها والده في بيته.

---

(1) النورسي، سيرة ذاتية، ص 40، والملاحق، أمير داغ، ج1 ص 316.

يقول النورسي عن نفسه: «كنت قد حدَّثت خيالي في عهد صباي أيُّ الأمرين تفضل؟ قضاء عُمر سعيد يدوم ألف ألف سنة مع سلطنة الدنيا وأبهتها على أن ينتهي ذلك إلى العَدم، أم وجوداً باقياً مع حياة اعتيادية ذات مشقة؟ فرأيته يرغب في الثانية، ويضجر من الأولى قائلاً: إنَّني لا أريد العدم بل البقاء»[1].

كانت بداية تحصيله العلم سنة 1885م (1303هـ) بتعلّم القرآن الكريم، حيث ساقته حالته الروحية إلى مراقبة ما يستفيضه أخوه الكبير عبدالله من العلوم، فأُعجب بمزاياه الراقية وتكامل خصاله الرفيعة بتحصيله العلوم، وشاهد كيف أنه برّ أقرانه في القرية وهم لا يستطيعون القراءة والكتابة. فدفعه هذا الإعجاب إلى شوق عظيم جاد لتلقي العِلم، لذا شدّ الرحال إلى طلب العلم في القُرى المجاورة لنورس فتابع علومه في مدرسة الملا محمد أمين أفندي 1888م[2].

بشارة الرسول الكريم صلى الله عليه وآله وسلم:

لقد كان ميل النّورسي لطلب العلم قويا منذ نشأته الأولى، وأصبح هذا الميل أكثر قوة عندما رأى في منامه رؤيا تحثه على الاستزادة في طلب العلم، وظلت راسخة في ذاكرته إلى آخر حياته.

لقد رأى في ما يرى النائـم: أنَّ القيامة قد قامت، والكائنات بُعثت من جديد. ففكر كيف يتمكن من زيارة الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم، ثم تذكر أنَّ عليه الانتظار في بداية الصراط الذي يمرّ عليه كل

(1) النّورسي، الشعاعات، ص 277.

(2) النّورسي، سيرة ذاتية، ص 43.

فرد، فأسرع إليه.. وهكذا مرّ به جميع الأنبياء والرسل الكرام فزارهم واحداً واحداً وقبّل أيديهم وعندما حظي بزيارة الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم هوى على يديه فقبّلها ثم طلب منه العِلم. فبشّره الرسول صلى الله عليه وسلم قائلاً: سيُوهب لك علم القرآن ما لم تسأل أحداً[1].

بدأت الدراسة الأساسية للنورسي برعاية أستاذه الشيخ (**محمد جلالي**).

ومع أنَّ الفترة التي قضاها في هذه المدرسة لم تزد على ثلاثة أشهر، إلا أنّها شكّلت نواة التكوين الفكري لديه، إذ أتم دراسة الكتب المقررة عادة في المدارس الدينية[2].

وفي هذه الفترة انقطع عن العالم، وظلَّ يقضي معظم وقته في القراءة على ضوء القناديل والفوانيس، ودخل مرحلة زهد وتقشف ورياضة نفس عنيفة، متأثراً في ذلك بآراء بعض الحكماء الإشراقيين وسلوكهم.

وبعد نهاية الأشهر الثلاثة بصحبة الشيخ **محمد جلالي**، اتجه إلى (بتليس) (1889م) حيث حضر بعض الدروس لأستاذه السابق **محمد أفندي**، ومن هناك ذهب إلى مدينة (شيروان) فالتقى بأخيه الأكبر الملا عبد الله، وجرت بينهما محاورة برهنت على نبوغ **سعيد** وتفوقه[3].

---

(1) النّورسي، سيرة ذاتية، ص 45، النّورسي، السانحات، ص 350.

(2) النّورسي، سيرة ذاتية، ص 46، وأمير داغ، الملاحق ج2 ص 361.

(3) المصدر نفسه، ص 48 ـ 49.

المطلب الثاني

المرحلة الأولى: سعيد القديم

تبدأ هذه المرحلة من السنوات المبكرة لشبابه حتى نفيه إلى (بارلا) سنة (1926م) وخلال هذه المرحلة حاول **النورسي** خدمة الإسلام عبر الانخراط في الحياة السياسية ومحاولة التأثير فيها، وعبر دعوته للإصلاح السياسي والتعليمي في عهد السلطان **عبد الحميد**، وإلقائه الخطب في الجوامع والساحات، ونشره للمقالات السياسية العنيفة في جريدة «وولقان»، ومحاولته استمالة رجال الاتحاد والترقي وتسخيرهم لخدمة الإسلام، وتصديه للتيارات المُعادية للدين.

لكن انتقال **بديع الزمان** من المرحلة الأولى إلى الثانية لم يكن سريعاً، إذ مرّ بمرحلة انتقالية، دامت أكثر من ثماني سنوات (أي: من فترة وجوده في الأسر (1917م) حتى نفيه إلى (بارلا) (1926م)، وهي المرحلة التي شهدت أخطر التحولات في الدولة العثمانيّة، وما أعقب ذلك من هجوم غربي وعلماني استهدف عقيدة الأمة وقيمها ومبادئها.

في هذه السنوات يُمكن القول إنَّ **النورسي** بدأ نشاطه السياسي، في (ماردين) سنة (1892م) عندما أخذ في إلقاء الدروس بجامع المدينة والإجابة عن أسئلة قاصديه حتى ذاع صيته. وبدأت منذ ذلك الوقت حياته السياسية الأولى، حيث قابل طالبين أسهما في توسيع آفاقه الفكرية، أحدهما كان من أتباع **جمال الدين الأفغاني** (1839 ـ 1897م)، الذي يرى **النورسي** أنه استطاع الجمع بين العلم والدين. وسيراً على نهجه أصبح يستخدم مصطلحات **الأفغاني** في أدبياته. أما الطالب الثاني

فكان من أتباع الطريقة السنوسية التي بدأت تعمل منذ (1840م) لتوحيد القبائل البدوية[1].

وبسبب نشاطه في (ماردين)، وُشي به إلى الوالي، فنفاه إلى (بتليس) تحت حراسة مُشدّدة. غير أنَّ والي بتليس عرف بعد مدة قصيرة فضله ومنزلته، فطلبَ منه أن يقيم معه في بيته.

أقام النورسي مع والي (بتليس)، واستفاد من مكتبة الوالي الغنية بأصناف من العلوم، واطلع على أمهات الكتب في علم الحديث، وعلم الكلام، والمنطق، والنحو، والتفسير، والحديث، والفقه، فحفظ منها شيئاً كثيراً، كما كانت الكتب والصحف الصادرة من استانبول مصدراً آخر لمعلوماته، الأمر الذي ساهم في إثراء تكوينه العلمي[2].

تلقيبه بـ «بديع الزمان»:

في عام (1894م) رحل النورسي إلى (وان) على إثر دعوة من واليها (حسن باشا)، حيث أقام فيها خمس عشرة سنة، قضاها في التدريس متبعا في ذلك طُرقاً جديدة غير التي كانت سائدة في المدارس الدينية، ولم يقتصر نشاطه على التدريس، إذ كان يخرج بين الحين والآخر لإرشاد القبائل والإصلاح بينها، وحقق في ذلك نجاحاً لم يستطع مَسؤُولو الدولة تحقيقه، نظراً لما كان يحظى به من احترام وتقدير في تلك الأوساط[3].

---

(1) أحمد النعيمي، الحركات الإسلامية الحديثة في تركيا، ص 56.

(2) النّورسي، سيرة ذاتية، ص 63.

(3) أورخان علي، النّورسي رجل القدر، ص 25 و26.

خلال هذه المرحلة التقى ببعض أساتذة العلوم الحديثة، حيث شعر بقصوره في تلك العلوم، الأمر الذي دفعه إلى تعلمها والتمكن منها في فترة وجيزة، فاطلع على علوم الجغرافيا، والجيولوجيا، والفيزياء، والكيمياء، والفلك، والفلسفة، والتاريخ، وأصبح قادراً على التأليف في بعضها، ومناقشة المتخصصين في مجالاتها، ولحدة ذكائه ونبوغه العلمي ذاعت شهرته، فلُقِّب: بـ«بديع الزمان»[1].

يقول النورسي في هذا المجال، جواباً لسؤال وُجِّه له: أنت تُذيّل مقالاتك وتمضيها باسم بديع الزمان وهذا يُومئ إلى المدح؟

فكان جوابه: كلا، ليس للمدح! وإنما أريد أن أُبين ـ بهذا الإمضاء ـ تقصيري. وتعليلي هو: إنَّ البديع يعني الغريب فأخلاقي غريبة كمظهري، وأسلوب بياني غريب كملابسي، كلها مخالفة للآخرين. فأنا أرجو بلسان حال هذا العنوان عدم جعل المحاكمات العقلية والأساليب المتداولة والرائجة مقياساً لمحاكماتي العقلية ومِحَكاً لأساليب بياني، ثم إنَّ قصدي من البديع هو العجيب، ولقب بديع الزمان الذي مُنحته مع عدم استحقاقي له، ليس لي وإنما هو اسم معنوي لرسائل النور، فقد قُلّد مؤلفها الظاهر إعارة وأمانة. والآن أعيد ذلك الاسم الأمانة إلى صاحبه الحقيقي[2].

الإنقلاب الفكري (1316هـ ـ 1899م):

في هذه السنّة حدث له انقلاب مهم، ففي حين كان يهتم بالعلوم

---

(1) النّورسي، سيرة ذاتية، ص 64.

(2) النّورسي، سيرة ذاتية، ص 64، الرمز السابع ـ الشعاع الثاني.

المتنوعة إلى هذا التأريخ لأجل استيعاب العلوم والتنور بها. أما بعده فقد علم أنّ أوروبا تحيك مؤامرة خبيثة حول القرآن الكريم، حيث قرأ خبراً عن خطاب لوزير المستعمرات البريطانية (وليم غلادستون) في مجلس العموم البريطاني، الذي خاطب النواب وبيده نسخة من القرآن الكريم قائلاً: «ما دام هذا القرآن بيد المسلمين فلن نستطيع أن نحكمهم، فلا مناص لنا من أن نزيله من الوجود، أو نقطع صلة المسلمين به»[1].

فغضب.. وغيّر اهتمامه ليشكل ذلك النبأ بداية الانقلاب الفكري عنده.. حيث استفاد من جميع العلوم المتنوعة المخزونة في ذهنه واتخذها طريقاً لإدراك معاني القرآن الكريم وإثبات حقائقه. ولم يعرف بعد ذلك سوى القرآن هدفاً لعلمه وغاية لحياته. وأصبحت المعجزة المعنوية للقرآن الكريم دليلاً ومرشداً وأستاذاً له[2].

حتى إنّه أعلن لمن حوله: لأُبرهننّ للعالم بأنَّ القرآن شمس معنوية لا يخبو سناها ولا يمكن إطفاء نورها[3].

ولإنجاز وعده فكَّر في إنشاء جامعة إسلامية في كردستان تحت اسم «مدرسة الزهراء»! تكون مركزاً لخدمة القرآن الكريم على غرار «الجامع الأزهر» بمصر، وفق نظام حديث، يجمع في التدريس بين العلوم القرآنية والعلوم الحديثة، حتى تخرج شباباً مثقفاً ثقافة أصيلة، مستوعباً لما استُجد من العلوم، فيسهم حينئذ في نشر حقائق الإسلام والدفاع عنها..

ومن أجل تحقيق هذا المشروع شدَّ النّورسي الرحال إلى استانبول

---

(1) إحسان صادق، بديع الزمان، ص 25.

(2) النّورسي، سيرة ذاتية ، ص 65.

(3) المصدر نفسه، ص 66.

وهو لم يتجاوز بعد الثالثة والعشرين من عمره، ومكث هناك سنة ونصف سنة، محاولاً إقناع المسؤولين بمشروعه، غير أنّه لم يُفلح في مسعاه، فرجع إلى (وَانْ)[1].

خادم القرآن: (1324هـ ـ 1906م)

يُعتبر هذا التاريخ بداية اعتبار النورسي نفسه خادم القرآن، وذلك بتوجهه المباشر إلى الحكمة القرآنية، بعد أن أكمل العلوم الآلية. وبعد هذا التاريخ بسنة ذهب إلى استانبول وبدأ بجهاده المعنوي، وظلَّ خادماً للقرآن طوال حياته حتى أنه أجاب القاضي في آخر محكمة له:

إنَّني لست أهلاً لكلمات الثناء التي أضفاها عليّ مُوكليَّ المحترمون، إذ إنَّني لست سوى خادم عاجز للقرآن وللإيمان. ليس عندي ما أقوله سوى هذا[2].

وتعتبر هذه الخطوة المحطة بداية خطواته في الإصلاح.

المحاكمة الأولى لبديع الزمان:

عام (1907م) عاد النورسي مُجدداً إلى استانبول، وهو يدرك بأنَّ الإصلاح التعليمي والسياسي هما أساس أي نهضة، لذا قدَّم ـ أثناء إقامته في استانبول ـ التماساً إلى السلطان عبد الحميد الثاني يطلب فيه فتح مدارس للعلوم الرياضية والفيزياء والكيمياء بجانب المدارس الدينية، ولا سيما في كردستان حيث يَسُود الجهل والفقر والتخلف.

---

(1) النورسي، سيرة ذاتية، ص69.

(2) المصدر نفسه، ص66.

كما طلب من السلطنة القيام بواجبها نحو المسلمين في كل الأنحاء قائلاً: «إنَّ مقام الخلافة لا ينحصر في إقامة شعائر صلاة الجمعة، فكما أنَّ للخلافة قدرة وقوة معنوية، يجب أن تكون لها القُدرة المادية التي تكفل مصالح الأمة المحمدية في أقطار الأرض جميعاً»(1).

كما انتقد النّورسي نظام الحكم، وسياسة الاستبداد المُتبعة من السلطة، مبيناً نظام الحكم الصحيح حيث يقول: «لا استبداد في الإسلام، فما يصدر حول فرد من الأفراد من قرار يجب أن يصدر بعد استكمال جميع مراحل المحاكم التي يجب أن تكون علنية وضمن العدالة الشرعية، وليس من الجائز صدور القرار من قبل أشخاص غير معروفين ونتيجة دسائس معينة، واعتماداً على تقارير سرية»(2).

لكن انتقادات النّورسي أثارت غضب حاشية السلطان، فأحيل إلى محكمة عسكرية، وأثناء المحاكمة تكلم بجرأة كبيرة جعلت رئيس المحكمة يأمر بإحالته على لجنة طبية، لفحص قواه العقلية، فأصدرت قراراً بوضعه في مستشفى للأمراض العقلية،

حيث قضى فيه قُرابة الثمانية أشهر، ثم أُرسل بعد خروجه إلى وزارة الداخلية حيث حاولت السلطة استمالته وإسكاته(3).

النّورسي وجمعية الاتحاد والترقي:

قُبيل إعلان المشروطية الثانية عام 1908م اتجه النّورسي إلى

---

(1) أورخان علي، مصدر سابق، ص30.

(2) المصدر نفسه، ص30 ، 31، أنظر: سيرة ذاتية، ص70.

(3) إحسان قاسم الصالحي، بديع الزمان سعيد النورسي، نظرة عامة، دار سوزلر، استانبول 1987، ص 29، انظر سيرة ذاتية، ص71.

(سلانيك) فرحَّب به كبار شخصيات الاتحاد والترقي لكونه من دعاة الحرية ومبدأ الشورى الإسلامي ومُنتقدي الاستبداد. يقول النورسي حول ذلك: «إنّني رضيت بالمشروطية بالدلائل الشرعية، وليس كما رضي بها بعض دعاة المدنية الغربية، إذ قبلوها تقليداً وفهموها خلافاً للشريعة. فلم أتنازل عن الشريعة ولم أُعطها أتاوة لشيء»[1].

لقد جمعت الدعوة إلى الحرية ومقاومة نُظم الحكم الاستبدادية بين النّورسي والاتحاديين، لذا مال إليهم لبعض الوقت، حيث حاولوا استخدامه لخدمة أهدافهم الخاصة، لكنه ظل مستقلاً عنهم، وعندما اتّضح له انحرافهم عن الدين، واجههم بقوله: «لقد اعتديتم على الدين وأدرتم ظهوركم للشريعة»[2].

لقد أدرك النّورسي وجود جهات تحاول استغلال (المشروطية) لخدمة أهداف معادية للدين، إذ أصبحت الحرية ـ كما فهمها الاتحاديون ـ تعني التحلل من الأخلاق، لذا وجّه جلّ جهوده في إلقاء الخطب وكتابة المقالات لتوضيح مفهوم الحرية في الإسلام، ولبيان أنَّ الحرية الشرعية هي التي يرسم حدودها الشرع وفي ذلك يقول: «بني وطني لا تُسيئوا فهم الحرية كي لا تذهب من أيديكم... إنَّ الحرية لا تنمو إلا بتطبيق أحكام الشريعة ومراعاة آدابها»[3].

تمرّد الجيش ومُحاكمة النّورسي:

لقد تمرّد بعض أفراد القوة العسكرية المُكلفة بحماية (المشروطية)،

---

(1) النّورسي، صيقل الإسلام، المحكمة العسكرية، 442.
(2) أنظر النّورسي، سيرة ذاتية، الباب الأول، الفصل الثالث، ص 81 وما بعدها.
(3) أورخان علي، النّورسي، رجل القدر، ص 41.

في (31/ 3/ 1909م)، وانضم إليهم بعض الجنود من المعسكرات الأخرى مطالبين بالشريعة، ومعلنين عصياناً دام أحد عشر يوماً ساد فيها الاضطراب والفوضى.

ولم تنته الحادثة إلا بعد وصول جيش الحركة إلى استانبول في (23/ 4/ 1909م)، حيث سيطر على الوضع، وأعلن الأحكام العُرفية، وعزل السلطان عبد الحميد الثاني في السابع والعشرين من الشهر نفسه، لاتهامه بالوقوف وراء الحادثة التي عُدّت محاولة انقلاب.

وعلى إثر ذلك شكلت محاكم عسكرية لمحاكمة المسؤولين، فكان النّورسي من بين الذين قُدموا إلى المحكمة، وأثناء المحاكمة شرع الحاكم العسكري في استجواب النّورسي قائلاً: «أنت أيضاً تدعو إلى تطبيق الشريعة؟ إنَّ من يُطالب بها يُشنق. وأشار إلى جُثث المشنوقين التي تُرى عبر النافذة».

فردّ على الحاكم العسكري قائلاً: «.. لو أنَّ لي ألف روح لما تردّدت أن أجعلها فداء لحقيقة واحدة من حقائق الإسلام... فقد قلت إني طالب علم؛ لذا فأنا أزن كل شيء بميزان الشريعة. إنني لا أعترف إلا بملّة الإسلام، إنّني أقول لكم وأنا واقف أمام البرزخ الذي تُسمونه (السجن) في انتظار القطار الذي يمضي بي إلى الآخرة، لا لتسمعوا أنتم وحدكم بل ليتناقله العالم كله...

إنّني مُتهيّء بشوق لقدومي إلى الآخرة.. وأنا مستعد للذهاب مع هؤلاء الذين عُلقوا في المشانق.. تصوّروا ذلك البدوي الذي سمع عن غرائب استانبول ومحاسنها فاشتاق إليها، إنّني مثله تماماً في شوقي إلى الآخرة والقدوم إليها. إنَّ نفيكم إياي إلى هناك لا يُعدّ عقوبة.. إن كنتم

تستطيعون فعاقبوني المعاقبة الوجدانية. لقد كانت هذه الحكومة تُخاصم العقل أيام الاستبداد، والآن فإنها تعادي الحياة، وإن كانت هذه الحكومة هكذا، فليعش الجنون، وليعش الموت، وللظالمين فلتعش جهنم...»[1].

وانتقد التوجّه التغريبي الذي سار عليه الاتحاديون باسم المدنية.

وأمام الدفاع القوي لم تستطع المحكمة أن تُثبت عليه أيّ تهمة، وصدر الحكم ببراءته في الجلسة نفسها.

ومن ثمّ غادر النّورسي استانبول عام (1910م) مُتجهاً إلى مدينة (وَانْ)، حيث واصل نشاطه في إرشاد الناس، وتعليمهم أمور دينهم من خلال دروس دينية واجتماعية، لخصها في كتابه «المناظرات»[2].

وهكذا فقد شكّلت سنوات وجوده في في مقر السلطنة، أهم سنوات العمل السياسي لخدمة الدين.

في عام (1911م) قام النّورسي بزيارة لبلاد الشام، حيث ألقى خطبة باللغة العربية في المسجد الأموي سُميت فيما بعد (الخطبة الشامية)، خاطب فيها علماء الشام، محللا أوضاع العالم الإسلامي ومُبيناً أمراض الأمة والعلاج اللازم لها. وقد لخّص هذه الأمراض فيما يلي:

1 ـ اليأس والقنوط.

2 ـ انعدام الصدق في الحياة الاجتماعية والسياسية.

---

(1) النّورسي، سيرة ذاتية ص 108، وصيقل الإسلام، المحكمة العسكرية العرفية، ص 35.
(2) النّورسي، صيقل الإسلام، ص 454، وسيرة ذاتية، ص 109 ـ 110.

3 ـ حُب العداوة.

4 ـ تجاهل الرابطة الروحية التي تربط المؤمنين بعضهم ببعض.

5 ـ ذيوع الاستبداد، ذيوعَ الأمراض المُعدية.

6 ـ حصر الهمة في المنفعة الشخصية، وتجاهل النفع العام.

وبعد أن شخّص الأمراض التي تُعاني منها الأمة الإسلامية، وصف العلاج لكل مرض مبتدئاً بـ«الأمل»...[1].

لقد ركَّز النورسي على إصلاح أوضاع الدولة الداخلية، لكن جهوده لم تتوقف على الإصلاح، بل تجاوزته إلى المشاركة المسلحة في الدفاع عن كيان الدولة ضد الاعتداءات الخارجية. ففي سنة (1912م) في «حرب البلقان» كان قائداً للقوات الفدائية التي تشكلت من المتطوعين المسلمين القادمين من كردستان، كما اخْتُير عضواً في التشكيلات الخاصة قُبيل اندلاع الحرب العالمية الأولى.

وقد قام بديع الزمان بمعية لجنة من العلماء، بإصدار فتوى للجهاد بعد اندلاع الحرب العالمية، بالرغم من أنه لم يكن من أنصار المشاركة فيها قبل بدايتها، لعدم تقدير جمعية الاتحاد والترقي لوضع الدولة، ولقلة فهمها للأوضاع الدولية.

وتولَّت «التشكيلات الخاصة» طبع الفتوى ونشرها بجميع اللغات، وتوزيعها في الدولة العثمانيّة وباقي أنحاء البلاد الإسلامية، وعلى إثر ذلك رجع النورسي إلى (وَانْ)، وهناك شكّل فرقاً مقاتلة ـ من طلابه

(1) النّورسي، سيرة ذاتية ص 115 و ما بعدها. أنظر: الخطبة الشامية.

ومن الأهالي ـ بدأت التدريب لمواجهة الجيش الروسي الزاحف على الحدود. وكان **النورسي** يُشاركهم بنفسه في التدريب والإعداد، ويحضهم بقوله: «تهيأوا واستعدوا.. إنَّ زلزالاً رهيباً على الأبواب»[1].

لقد تمكن الجيش الروسي من الزحف نحو الأناضول، وأثناء التصدّي لهذا الزحف وفي وسط الخنادق ألّف **النورسي** كتاب **«إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز»** باللغة العربية[*].

وعندما وقع **النورسي** في الأسر (1916م)، وأُرسل إلى أحد معسكرات الاعتقال، في الأسر حاول الروس استمالته ليُقنع العشائر الكردية بتسليم أسلحتها، غير أنه لم يستجب لهم، بل كانت مواقفه تترجم صلابته وشجاعته. وكان له موقف جريء أمام قائد روسي، أدَّى إلى صدور حكم بالاعدام عليه، وأمام ثباته تراجع القائد الروسي وأصدر عفواً عنه[2].

وبعد معانات شديدة في الأسر تمكن **النورسي** من الفرار مستغلاً أحداث الثورة البلشفية التي انطلقت سنة (1917م) التي أنهت نظام القيصر.

النورسي في الأَسْر:

استغل **النورسي** فترة الأسر التي دامت أكثر من سنتين في مراجعة

---

(1) النورسي، سيرة ذاتية، ص 120 وما بعدها، وإحسان قاسم، مصدر سابق، ص 39.

(*) هو كتاب في التفسير أملاه في جبهات القتال على تلميذه الملا حبيب.

(2) النورسي، سيرة ذاتية، ص 130 وما بعدها، والنورسي، الشعاعات، ص 571 و572.

مسيرة حياته، وتقييم أحوال العالم الإسلامي، ويبدو أنه لم يكن راضياً عن مسيرته ولا عن أوضاع البلاد الإسلامية، وهذا ما عمّق من حزنه وألمه. وبعد فراره من الأسر وعودته إلى استانبول، استُقبل استقبالاً بطولياً، وكوفئ بتعيينه عضواً في دار الحكمة، إلا أنه لم يكن راغباً في هذه العُضوية ـ على ما كان لها من مكانة اجتماعية ـ إذ تكرر غيابه عن الاجتماعات إلى أن طلب إعفاءه بحجة حاجته إلى الراحة بعد عناء الأسر[1].

لكني لا أرجح أنَّ مُجرد الحاجة إلى الراحة كان السبب الوحيد في عزوف النّورسي عن المشاركة في دار الحكمة، وإنما أرى أنَّ السبب الأهم هو الانقلاب النفسي الذي حدث له أثناء الأسر، وجعله يرجع إلى نفسه ويعيد تقيّيم منهجه ومسيرته. يقول في هذا المجال: «إنّه لشيء عجيب، لقد كنتُ عضواً في دار الحكمة لأضمد جراح الأمة الإسلامية، على حين كنت في نفسي مريضاً أكثر من أي شخص آخر»[2].

بعد الهُدنة التي زادت من سيطرة الحلفاء، اضطرت الدولة العثمانيّة إلى توقيع معاهدة «سيفر»! التي كانت استسلاماً شبه مطلق، فأحس النّورسي أن طعنة قوية قد وُجّهت إلى العالم الإسلامي، وشعر بصدمة هذه الأحداث، فقال: «إنني أستطيع أن أتحمل كل آلامي الشخصية، ولكن آلام الأمة الإسلامية سحقتني، إنني أشعر بأنَّ الطعنات التي وُجّهت إلى العالم الإسلامي كأنها وُجهت إلى قلبي أوّلاً، ولهذا ترونني

---

(1) النّورسي، سيرة ذاتية، ص 33 وما بعدها.

(2) النّورسي، اللمعات ص 366.

مسحوق الفؤاد، ولكنني أرى نوراً ينسينا هذه الآلام إن شاء الله تعالى»[1].

لكن هذه الهزّة النفسية لم تُفقده صوابه أو تُثنه عن عزمه، بل حرَّكت فيه روح الأمل، وجعلته يستبشر ـ في وقت مبكر ـ ببعث إسلامي جديد، فالمصيبة التي ابتلي بها العالم الإسلامي لم تكن ـ في رأيه ـ شراً محضاً، لأنها عجّلت بعث الأخوة الإسلامية، وأيقظت الشعور بالمصير الواحد ونبهت المسلمين جميعا إلى ما يُهدد عقيدتهم ووجودهم[2].

وبدأ النّورسي تصديه للإنجليز وحلفائهم، بتأليفه كتاب «الخُطوات السِّت» سنة (1920م)، حيث ردّ على الحرب النفسية التي حاول الاحتلال من خلالها أن يُوهم الشعب المسلم أنَّ انهزام الدولة العثمانيّة وانتصار الحلفاء عقاب رباني للمسلمين، وقدر إلهي ليس لهم معه إلاّ التسليم المُطلق، وليس الإنجليز وأعوانهم سوى أدوات لتحقيق هذه الإرادة الإلهية.

فهاجم النّورسي الإنجليز بلهجة عنيفة، وردّ شبهاتهم بأدلة مقنعة، وبيّن أطماعهم الاستعمارية، داعياً المسلمين إلى مقاومتها، وإلى شدّ العزائم ومحاربة مشاعر اليأس والقنوط التي رافقت هزيمة الدولة العثمانيّة وتمزقها.

وعلى إثر عثور قوات الاحتلال على نسخة من كتاب «الخطوات الست»! الذي كان يوزع سرّاً، صدر حكم غيابي بالإعدام على

---

(1) النّورسي، سيرة ذاتية، ص 137.

(2) المصدر نفسه، ص 138.

النّورسي، غير أنه لم يتراجع، وكانت مواقفه تعبيراً واضحاً عن روح الاستعلاء والتحدي للمستعمر[1].

وبالرغم من فداحة الهزيمة التي حلّت بالدولة العثمانيّة، فقد قامت في الأناضول حركة مقاومة ضد الاحتلال، ونتيجة الدعم الكبير الذي تلقته المقاومة من الأهالي والضباط والجنود، تقوّى مركزها في (أنقرة) بقيادة (مصطفى كمال أتاتورك).

وقد دُعي بديع الزمان إلى مركز المقاومة (أنقرة)، ومع تكرر الدعوات وإلحاح بعض الشخصيات المُحبة له توجه إلى (أنقره)، حيث أُقيم حفل في مجلس النواب تكريماً له، إلاّ أنه انزعج كثيراً لما رآه من انصراف النواب عن الدين وتركهم للصلاة، لذا وجّه إليهم بياناً من عشر نقاط يذكرهم فيه بالإسلام، ووجوب الالتزام بتعاليمه، واستهله بقوله: «أيها المبعوثون. . . إنكم لمبعوثون ليوم عظيم».

ترك هذا البيان تأثيراً واضحاً في النواب، إذ عقب إلقائه بيانه التزم ما يقارب ستّين نائباً بالصلاة حتى، إن مسجد بناية المجلس لم يعد يتّسع للمصلين.

وتضايق (مصطفى كمال) من هذا البيان، فاستدعى النّورسي ليعاتبه قائلاً: «لا ريب أننا بحاجة إلى أستاذ قدير مثلك. لقد دعوناك إلى هنا للاستفادة من آرائك المهمة، ولكن أول عمل قُمت به هو الحديث عن الصلاة، فكان أول جهودكم هنا هو بثّ الفرقة بين أهل هذا المجلس».

---

(1) المصدر نفسه، ص 144.

فأجابه بديع الزمان في حدّة: «باشا.. باشا.. إنَّ أعظم حقيقة بعد الإيمان هي الصلاة، وإنَّ الذي لا يُصلي خائن، وحُكم الخائن مردود..»[1].

وعلى إثر ذلك حاول أتاتورك إبعاده إلى شرق الأناضول بحجة تعيينه واعظاً عاماً لكردستان؛ لكنه رفض، وظل في أنقرة يكتب ويُؤلف الرسائل في إثبات وجود الله وترسيخ العقيدة، والردّ على الانحراف الجديد الذي ظهر نتيجة موجة الشك والإلحاد التي تسربت إلى المسؤولين والموجِّهين المتأثرين بالمذاهب المادية الغربية.

ورسالة (الطبيعة) التي ألفها في هذه الأثناء تصف بوضوح الأحوال التي دفعته إلى مجابهة الاتجاه الإلحادي والمسلك الذي اتبعه لتحقيق هدفه، يقول النورسي: «فجِئتُ ـ ضمن هذه الرسالة ـ ببرهان قوي حاد قاطع، يقطع رأس تلك الزندقة ويدحرج أشلاءها، وقد صنفتها بالعربية، واستقيت معانيها وأفكارها من نور هذه الآية الكريمة ﴿قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ (سورة إبراهيم: 10)، لإثبات بداهة وجود الله سبحانه ووضوح وحدانيته...»[2].

بعد ثمانية أشهر في (أنقرة) رجع النورسي إلى (وَانْ)، ليقضي جُلَّ وقته قرب إحدى الخرائب المهجورة على جبل (أراك) في التفكير، والتأمل، وتدريس جماعة صغيرة من الطلاب، لكنه تألم كثيراً لما حلّ بمدينته من خراب ولما فقدَ من أقارب وأصدقاء، إذْ دمّر الرُّوس والأرمن بيوت المسلمين في المدينة كلياً، ولم تبق إلاّ محلة للأرمن.

(1) أورخان محمد، النّورسي، رجل القدر، ص 101.

(2) النّورسي، اللمعات، ص 266.

وإزاء هَوْل الأحداث اختار النّورسي أن يدخل في مُجاهدات نفسية، سعياً للوصول إلى الصفاء الروحي، وتمهيداً لمواجهة مرحلة جديدة من حياته.

النّورسي وموقفه من ثورة الشيخ سعيد البيراني:

أثار **أتاتورك** وحكومته المُعادية للدين السَّخط والنقمة بين أوساط الشعب، لذا قامت حركات تمرد ضد السلطة، كان أهمها حركة سعيد البيراني عام (1925م)، وهو زعيم للعشائر الكردية.

لم تختلف المصادر في عدم مشاركة **النّورسي** في ثورة عام (1925م)، وإنَّما الخلاف بينها في سبب عدم المشاركة. رغم أنه لم يُهادن للحظة واحدة نظام **أتاتورك**.

ويبدو أنّ عدم مشاركة **النّورسي** في هذه الثورة يرجع في الأساس إلى الإحباط الشديد الذي أُصيب به بعد هزيمة العالم الإسلامي ووقوعه تحت الاستعمار، ثم الانحراف الكبير الذي أصبح يقوده من ينتسبون إلى الإسلام، وهو انحراف استهدف القضاء على العقيدة والترويج للمذاهب المعادية للدين، الأمر الذي جعله يعود للذات بحثا عن وسيلة فعاله لإصلاح هذه الأوضاع.

وهكذا قرّر **النّورسي** الرجوع إلى (وَانْ)، لينزوي في قمة جبل (أراك) وليمضي أغلب أوقاته في التأمل والتفكير والتدريس.

غير أنَّ هذه العزلة التي اختارها **النّورسي** لم تُعفه من تحمل تبعات ثورة (بيران) إذ عقب فشل الثورة، سِيق من الجبل الذي كان يتعبد فيه إلى استانبول، وبدأت رحلة المنافي.

يقول عن خياره هجر العمل في السياسة «لقد خاض سعيد القديم غمار السياسة ما يقارب العشر سنوات علّه يخدم الدين والعلم عن

طريقها. فذهبت محاولته أدراج الرياح، إذ رأى أنَّ تلك الطريق ذات مشاكل، ومشكوك فيها. وإنَّ التدخل فيها فضول ـ بالنسبة إليّ ـ فهي تحول بيني وبين القيام بأهم واجب. وهي ذات خطورة. وإنَّ أغلبها خداع وأكاذيب. وهناك احتمال أن يكون الشخص آلة بيد الأجنبي دون أن يشعر. وكذا فالذي يخوض غمار السياسة إما أن يكون موافقاً لسياسة الدولة أو معارضاً لها، فإن كنت موافقاً فالتدخل فيها بالنسبة إليّ فضول ولا يعنيني بشيء، حيث انَّني لست موظفاً في الدولة ولا نائباً في برلمانها، فلا معنى ـ عندئذٍ ـ لممارستي الأمور السياسية، وهم ليسوا بحاجة إليّ لأتدخل فيها. وإذا دخلت ضمن المعارضة أو السياسة المخالفة للدولة، فلا بد أن أتدخل إما عن طريق الفكر أو عن طريق القوة. فإن كان التدخل فكرياً فليس هناك حاجة إليّ أيضاً؛ لأنّ الأمور واضحة جداً، والجميع يعرفون المسائل مثلي، فلا داعي إلى الثرثرة. وإن كان التدخل بالقوة، أي بأن أظهر المعارضة بإحداث المشاكل لأجل الوصول إلى هدف مشكوك فيه. فهناك احتمال الولوج في آلاف من الآثام والأوزار، حيث يُبتلى الكثيرون بجريرة شخص واحد. فلا يرضى وجداني الولوج في الآثام وإلقاء الأبرياء فيها بناء على احتمال أو احتمالين من بين عشرة احتمالات، لأجل هذا فقد ترك سعيد القديم السياسة ومجالسها الدنيوية وقراءة الجرائد. .[1].

أعوذ بالله من الشيطان والسياسة لكي أحافظ على نور القرآن. واعتصمت بكلتا يديّ بذلك النور، مُلقياً مطرقة السياسة جانباً[2].

---

(1) النّورسي، سيرة ذاتية، ص 206، والنّورسي، المكتوبات 76.

(2) النّورسي، سيرة ذاتية، ص 204.

المطلب الثالث

المرحلة الثانية: سعيد الجديد

تبدأ هذه المرحلة من وصوله منفياً إلى (بارْلا) سنة (1926م)، وتستمر إلى غاية خروجه من سجن (آفيون) سنة (1949م).

في هذه المرحلة اتّبع النّورسي منهجاً جديداً، اشتركت في تحديد معالمه عدّة عوامل، كان أهمها: التحولات السياسية التي عرفتها تركيا والعالم الإسلامي، والتحولات النفسية التي رافقت تلك الأحداث، حيث رأى النّورسي عُقم الأسلوب السياسي، خاصة بعد انعدام الحرية واتساع موجة العداء للدين، فوجه جميع جهوده لتجديد أمر الدين، وبناء العقيدة السليمة القادرة على دعم البناء الإسلامي وإسناده.

وفي الواقع لم يكن أمام النّورسي في تلك الظروف ـ ظروف السجن والنفي ـ إلا سلوك هذا النهج لإنقاذ ما يمكن إنقاذه، ولعل أسلوبه الهادئ الذكي جرّد السلطة من أي حُجة لضرب حركته بالرغم من المحاكمات المتعاقبة التى أقحم فيها.

النّورسي في منفى (بارلا):

في شتاء عام (1926م) وصل بديع الزمان إلى منفاه في (بارْلا)، وهي بلدة صغيرة تابعة لنواحي اسْبارطة، اختارتها السلطات لتتخلص من معارضة النّورسي للتيار المُعادي للدين، غير أنَّ النتيجة جاءت مُخالفة لما خطط له الحكام، إذ غدت (بارْلا) ـ وهي المنطقة النائية ـ مركز الإشعاع الأول لدعوة النور، حيث أنجز فيها القسم الأكبر من مؤلفاته التي سماها: «رسائل النور» فكان منها رسائل: الكلمات، والمكتوبات،

واللمعات، وركزت كلها على بيان حقائق الإسلام، ومحاربة التيارات الإلحادية، ودعوة المسلمين إلى المحافظة على عقيدتهم.

وخلال مدة النفي في (بارْلا) التى دامت ثماني سنوات ونصف سنة، استطاع النّورسي أن يكسر طوق العزلة، فعلى رغم مراقبة السلطات له، تعرّف عليه بعض شباب البلدة، وبتوالي اللقاءات أصبح هؤلاء الشباب من أخلص طلبة النّورسي، إذ أخذوا على عاتقهم مهمة استنساخ رسائل النور بمئات الآلاف من النسخ، وتوزيعها سراً في أرجاء تركيا كلها، مُتحملين تبعات هذا العمل من اعتقال ومطاردة وتعذيب عن طيب خاطر واطمئنان نفس[1].

وفي الوقت الذي بدأت تتّسع فيه دائرة رسائل النور، وتجمع حولها الآلاف من الشباب، والموظفين، والتجار، وغيرهم، أصدرت الحكومة أمراً بمنع الأذان بالعربية عام (1931م)، وأصبح يُردّد باللغة التركية. وبسبب عدم تنفيذ بديع الزمان ومجموعة من طلابه هذا القرار قامت السلطات في (بارْلا) بنفيهم إلى (إسبارطة).

النّورسي في إسبارطة:

استمر النّورسي في تأليف رسائله إلى غاية سنة (1935م)، حيث بدأت موجة اعتقالات لطلبة النور شملت مائة وعشرين طالباً، وطالت النّورسي وكذلك أدخل الجميع إلى سجن مدينة (أسكي شهر)، بانتظار محاكمتهم لاتهامهم بما يلي:

(1) إحسان قاسم الصالحي، بديع الزمان، ص 69.

1 ـ تأليف جمعية سرية.

2 ـ السعي لهدم أسس الثورة الكمالية.

3 ـ تشكيل طريقة صوفية في الوقت الذي منعت فيه الحكومة هذه الطرق.

4 ـ إثارة روح التدين بنشر رسالة التّستر (الحجاب) التي تدعو النساء إلى الاحتشام والتستر واتباع توجيه الإسلام، وقد عدَّت الحكومة هذه الرسالة عملاً ضد قانون (الزي)[1].

وحُكم على النّورسي بأحد عشر شهراً، بسبب رسالته عن الحجاب. وبعد انقضاء المدة في سجن (أسكي شهر)، نُفي إلى مدينة (قسطموني) سنة (1936م) دون أن يوجه إليه أي اتهام. وبقي هناك تحت الإقامة الجبرية في بيت مقابل لمركز الشرطة لمدة سبع سنوات، أنجز خلالها قسماً من رسائل النور، حيث كتب: (الشعاع الثالث) الذي هو رسالة (المناجاة)، و(الشعاع الرابع)، و(الشعاع الخامس)، و(الشعاع السادس)، و(الشعاع السابع) و(الشعاع الثامن)، و(الشعاع التاسع).

وقد استطاع طلابه نشر هذه الرسائل بسرعة كبيرة، فوصلت إلى كُل مدينة وقرية من أنحاء تركيا، الأمر الذي كان مصدر إزعاج للحكومة، فحاولت التخلص منه بواسطة دسّ السُم له في الطعام في أغسطس عام (1943م)، حيث أصيب بحمى شديدة؛ لكنه نجا من الهلاك، فقامت

---

(1) النّورسي، سيرة ذاتية ص 251 وما بعدها (المدرسة اليوسفية الأولى). سجن أسكي شهر.

الشرطة بمداهمة منزله في (31/ 8/ 1943م)، وبعد تفتيشه لم تعثر إلا على بعض الرسائل التي تتناول قضايا العقيدة والأخلاق. . .

وبعد أيام قليلة عاودت الشرطة مداهمة بيته على أمل أن تجد ما يُدينه، فلم تعثر إلا على بعض الكتب الدينية، وبالرغم من ذلك ألقت عليه القبض في (18/ 9/ 1943م) مع ستة وعشرين ومائة من طلابه، وساقتهم إلى (أنقرة) للتهم السابقة ذاتها، وهي تكوين جمعية سرية ومحاولة قلب نظام الحكم[1].

النّورسي أمام محكمة «دنيزلي»:

نُقل النّورسي وطلابه من (أنقرة) إلى (إسبارطة)، ثم إلى (دنيزلي) ليمثل أمام محكمتها. وتمهيدياً للمحاكمة شكلت السلطات لجنة للتدقيق في «رسائل النور» ودراستها. وبعد دراسة متأنية لجميع الرسائل، أصدرت اللجنة تقريراً يُبرئ النّورسي ومؤلفاته، ومما جاء فيه: «ليس لبديع الزمان فعالية سياسية، كما لا يُوجد أى دليل على أنه يؤسس طريقة صوفية أو قام بإنشاء أية جمعية. وإنَّ موضوعات كتبه تدور كلها حول المسائل العلمية والإيمانية، وهي تفسير للقرآن الكريم»[2].

ومع ذلك بقي النّورسي في سجن (دنيزلي) تسعة أشهر، حضر خلالها عدة جلسات لمحاكمته، تولى فيها الدفاع عن نفسه بأسلوب شجاع مدعوم بالحجة والبرهان[3]، الأمر الذى حمل المحكمة على

(1) النّورسي، سيرة ذاتية، ص 328، المدرسة اليوسفية الثانية (سجن دنيزلي).

(2) النّورسي، اللمعات، ص404، 405، وسيرة ذاتية ص 328.

(3) النّورسي، الشعاعات، الشعاع الثاني عشر (دفاع محكمة دنيزلي ص 329 ـ 347).

إصدار قرارها بتبرئة النّورسي وجميع طلابه في (16/ 6/ 1944م)، لكن السلطات لم تُطلق سراحه، إلى أن تقرر نفيه إلى قضاء «أمير داغ» من أعمال ولاية (آفيون) حيث وضع تحت الإقامة الجبرية. ولاحقته المضايقات وبلغت ذروتها بمحاولة تسميمه، حيث دُسّ له السُّم في الطعام، فقضى أياماً على فراش المرض، ومُنع من أداء صلاة الجماعة في المسجد حتى لا يختلط بالناس[1].

لم تمنع كل الإجراءات التى اتُّخذت ضده، رسائل النور من الانتشار، والتأثير في مختلف طبقات الشعب، الأمر الذي حدا بالسلطة إلى إصدار أمر جديد باعتقاله، حيث داهمت الشرطة منزله في (23/ 1/ 1948م)، ومنازل مجموعة من طلابه في مدن مختلفة، وساقتهم إلى سجن مدينة (آفيون) في انتظار مثولهم أمام المحكمة التي أصدرت حكمها بسجن النّورسي عشرين شهراً. فقام بالاعتراض على الحُكم أمام محكمة التمييز التى قضت ببطلان الحكم، لكن المماطلة في إجراءات إطلاق سراحه، لم تسمح له بالاستفادة من حكم البراءة، فقضى في السجن عشرين شهراً، هي مدة الحكم الأول[2].

وبالرغم من الظروف القاسية التي عاشها النّورسي في سجن (آفيون) فإنّه واصل تأليف رسائله، وتسريبها إلى طلابه الذين نقلوها إلى الخارج، كما واصل دعوة السجناء الذين تابوا على يديه، وأصبحوا من أخلص (طلاب النور).

---

(1) النّورسي، سيرة ذاتية، ص 386، تكررت حوادث التسميم 3 مرات في سجن أفيون و بذلك تبلغ عدد مرات التسميم إلى هذه الفترة 14 حالة.

(2) النّورسي، سيرة ذاتية، ص 384.

وبعد مُكوثه سنة ونصف سنة، خرج بديع الزمان من سجن (أفيون) سنة (1949م)، ليجد نفسه في بيت تحت الإقامة الجبرية، ولتبدأ مرحلة جديدة من حياته.

المطلب الرابع:

المرحلة الثالثة: النورسي بعد خروجه من السجن

تبدأ هذه المرحلة بخروجه من سجن (آفيون) في (20/ 9/ 1949م) إلى غاية وفاته سنة (1960م) وقد شهدت تركيا تطورات سياسية مهمة خلال هذه الفترة، إذ بعد سيطرة نظام الحزب الواحدعلى الحياة السياسية منذ الاستقلال حتى سنة 1950م، تمَّ السماح بتشكيل الأحزاب، فكان أقوى حزب معارض: (الحزب الديمقراطي) الذي شكله كل من جلال بايار وعدنان مندريس، وقد استطاع الفوز في انتخابات (عام 1950م).

مع وصول الحزب الديمقراطي للحكم خفَّت موجة العداء للدين، وسُمح لأول مرة لرسائل النور بالطبع، وللنورسيّ بالتدريس الجماعي مع استمرار تقييد حركته.

مُستفيداً من هذه التطورات شرع النّورسي في توجيه الرسائل إلى السياسيين ورجال الحُكم في تركيا يدعوهم فيها إلى اتباع الإسلام والالتزام بتعاليمه[1]، إلا أنَّ جُل همه ظلَّ مركزاً على التربية والتكوين ونشر رسائل النور وإنشاء جيل جديد.

المرحلة الأخيرة من حياة النّورسي:

بعد خروجه من السجن سنة (1949م)، مكث النّورسي (بآفيون)

(1) المصدر نفسه، 437 وما بعدها.

لمدة شهرين، ثم توجه مع بعض طلابه إلى (أميرداغ)، حيث أقام هناك سنتين انتهز فيها صدور قرار المحكمة بتبرئة (رسائل النور) وعدم معارضتها للقانون، فقام بمعية طلابه بطبع آلاف النسخ منها على جهاز السَّحب (الرونيو) وتوزيعها.

تبرئة رسائل النور:

قامت محكمة (آفيون) سنة (1948م) بتشكيل لجنة خُبراء لدراسة محتويات «رسائل النور» وإبداء الرأي حولها من الناحية القانونية، وبالرغم من أنَّ هذا التدقيق دام فترة طويلة، فإنَّ اللجنة انتهت سنة (1956م) إلى إصدار تقرير يُفيد أنَّ الرسائل تخلو من أي عنصر مخالف للقانون[1].

واستناداً إلى هذا التقرير، بدأ النورسي بنشر رسائله في أنحاء تركيا، حيث شعر عندئذ بأنَّ مهمته قد أنجزت، فقال:

«هذا هو عيد رسائل النور، كنت أنتظر مثل هذا اليوم، لقد انتهت مُهمتي، إذن فسأرحل قريباً».

لقد كانت تبرئة (رسائل النور) نتيجة للتغييرات في الساحة السياسية آنذاك، وهذه التغييرات جعلت النورسي نفسه يشارك في انتخاب عام (1957م)، حيث أعطى صوته إلى «الحزب الديمقراطي» ودعا طلابه إلى تأييده، ليس لأنَّ هذا الحزب كان ذا اتجاه إسلامي، وإنَّما لكونه أقل ضرراً من «حزب الشعب».

---

(1) النورسي، سيرة ذاتية، 385.

الأيام الأخيرة من حياة بديع الزمان:

أقام النّورسي في أواخر أيامه بمدينة (إسبارطة) مُقيد الحركه، وفي شهر رمضان من عام (1379هـ/ 1960م) مرض النّورسي مرضاً شديداً حتى فقد وعيه مرَّات عدّة، إلا أنه في الثامن عشر من الشهر ذاته استدعى طلابه وودَّعهم واحداً واحداً، قائلاً: «استودعكم الله إنِّي راحل» ثم توجّه إلى إسبارطة، حيث اشتد عليه المرض، وبالرغم من ذلك ألح على طلابه بالذهاب إلى (أورفة)، وعند وصوله بتاريخ (21/ 3/ 1960م)، أقام في الفندق يوماً واحداً، ثم حاصرته الشرطة؛ لأنَّ الحكومة لم تصرح له بالتنقل خارج (أميرداغ) أو (إسبارطة) وبعد إبلاغ المسؤول له بوجوب عودته إلى (إسبارطة) ردّ النّورسي بقوله: «عجيب أمركم.. إنّني لم آت هنا لكي أغادرها.. إنّني قد أموت.. ألا ترون حالي؟»[1].

ومع شدّة مرضه ظلّ محاصراً في فندق (أورفة) إلى يوم الأربعاء 26 رمضان 1379هـ/ 23/ 3/ 1960م) حيث فارق الحياة.

وبعد انتشار خبر وفاته في جميع أنحاء تركيا، تقاطر على (أورفة) سيل من الناس للاشتراك في تشييعه وتوديعه إلى مثواه الأخير بمقبرة «أُولو جامع».

لكن النورسي بقي مطارداً رغم وفاته، فبعدها بشهرين وقع انقلاب عسكري[*] حيث أمر قادة الانقلاب بنقل رفات النّورسي من قبره في أورفة إلى جهة أخرى ظلَّت مجهولة إلى حدِّ الآن.

---

(1) إحسان الصالحي، مصدر سابق، ص 129، 130.

(*) أطاح الانقلاب بحكومة «الحزب الديمقراطي» وسيق أعضاؤها إلى «محكمة الدستور»، فقضت بإعدام رئيس الوزراء «عدنان مندريس» واثنين من وزرائه، وبالسجن=

لكن وفاة النّورسي لم توقف دعوته، إذ ظل موجوداً ومؤثراً بمؤلفاته ورسائله التي حملت أفكاره واستمرت في أداء وظيفته. ولا شك أنه كان صادقا حينما قال:

«إن (رسائل النور) تقوم بإيفاء وظيفتها أفضل مني عشر مرات... لذا فلم تبق هناك حاجة لوجودي».

= للمسؤولين السابقين في حزب مندريس. بعد خشية العسكريين من نسف مبادئ أتاتورك نتيجة استمرار سياسة الحزب الديمقراطي، وسيمكن للحركة الإسلامية التي اتسع نفوذها وتأثيرها، فأبدوا عداء واضحاً للتيارات الإسلامية، ولاسيما حركة «طُلاب النور».

المبحث الثاني

بيئته وطبيعة عصره

مُنذ قيامها ظلّت الدولة العثمانية في حالة صراع مُتواصل، وحروب لا تتوقف، لقد كانت تتولى مهمة الدفاع عن قلب العلم الإسلامي في وجه الأطماع الغربية التي لم تتوقف منذ الفتوحات الإسلامية وسيادة الإسلام على هذه المساحة الجغرافية المترامية الأطراف، ويبدو أنَّ صراع الإمبراطوريات عبر التاريخ للسيطرة على العالم بقيت تمر في هذه المنطقة التي تُعتبر بحق تاج وقلب العالم القديم والحديث،

في هذه المنطقة وطبيعتها وأهمية دورها، عاش **النّورسي** متأثراً ومؤثراً في بيئته وعصره، وعصر **النّورسي** كان متصلاً مع العصور التي سبقته والتي تليه.

لقد شكّل وجود الدولة العثمانية ضمانة للوجود الإسلامي واستمراره في القارة الأوروبية، فأصبحت المواجهة بين الغرب والعالم الإسلامي أكثر حدّة وتعقيداً، وبسبب ذلك بدأت أوروبا ولاسيما إسبانيا والبرتغال المسؤولتان عن إخراج المسلمين من الأندلس، خُطة لمحاصرة وتطويق العالم الإسلامي، عبرالسيطرة على السواحل الإفريقية شمالاً وغرباً،

وصولاً للاكتشافات الجغرافية التي قادها الأوروبيون وسيلة لوصولهم إلى أقصى مكان في الشرق الأقصى لإحكام الطوق حول العالم الإسلامي وبحثاً عن طرق بديلة توصلهم إلى الطرف الآخر من العالم.

كان الهدف هو القضاء على الدولة العثمانيّة، وتمزيقها، والسيطرة على أجزائها المختلفة، وفرض حصار اقتصادي كامل حول العالم الإسلامي، وذلك بنقل طريق التجارة من قلبه إلى طريق الرجاء الصالح.

ومع حلول عصر النّورسي أي القرن التاسع عشر الميلادي، كان الطريق ممهداً للاستعمار، مترافقاً مع اندفاعة قوية لنهضة العالم الغربي علماً وصناعةً، وفي المقابل وقف العالم الإسلامي عاجزاً عن استيعاب مُستجدات العصر، وأصبح هدفاً تتسابق على اقتسام جغرافيته الدول الطامعة، مستغلة الضعف والفساد اللذين تغلغلا في مختلف مفاصل الحياة فيه، السياسية والاقتصادية والثقافية والعسكرية والاجتماعية...

المطلب الأول

واقع الدولة العثمانية

البيئة السياسية

وُلد النّورسي ونشأ في أكثر مراحل حياة الدولة العثمانيّة صعوبة وخطراً، فبالإضافة إلى التحديات الداخلية من ضُعف الحكام والسلاطين، وفساد الإدارة ومؤسسات الدولة، توالت الثورات على الحكومة المركزية، وأيدت الدول الغربية (خاصة روسيا وبريطانيا) هذه الثورات، وحرَّضتها على التمرد والانفصال ومدَّتها بالمساعدات المادية والمعنوية.

ونتيجة لذلك، وللضغوط الخارجية، أعلن عام (1355هـ/ 1839م) عن: (التنظيمات)، الأمر الذي أدّى إلى اتساع الصراع والجدل الداخلي بين مُؤيد ومعارض.

و(التنظيمات) هي حركة سياسية إصلاحية رسمية «قامت بهدف تنظيم الدولة على غرار نُظم الدول الغربية، وتقريب العالم الإسلامي من العالم الغربي الذي عاش بعيداً عنه، وذلك تحت ضغوط الهزائم العسكرية التي مُني بها الجيش العثماني، وقد ساعد ذلك على ترويج الرأي القائل بأنَّ أخذ الدولة بأشكال الحُكم الأوروبية سيتلوه تلقائيا قيام دولة قوية حديثة»[1].

مرت التنظيمات عبر ثلاث مراحل:

المرحلة الأولى: حلّ الإنكشارية[*]. وحلول الجيش النظامي مكانها، المرحلة الثانية التأكيد على الامتيازات الأجنبية. والمرحلة الثالثة توجه نحو علمانية الغرب والخضوع لقيمه ومبادئه[2].

---

(1) سهيل صابان، الأوضاع الثقافية في تركيا، ص 413. وأنظر حسين بكير، النّورسي في الفكر والدعوة، ص 19.

(*) الإنكشارية: تشكل هذا الجيش في عهد السلطان (أورخان)، حيث كان يؤخذ الشبان من أسرى الحرب ويفصلون عن كل ما يذكرهم بجنسهم وأصلهم، ويُربون تربية إسلامية عثمانيّة، فلا يعرفون أباً إلا السلطان، ولا حرفة إلا الجهاد في سبيل الله، دعا لهم الشيخ بكطاش شيخ الطريقة البكطاشية بالنصر على الأعداء، وقال: فليكن اسمهم (يني تشاري)، أي الجيش الجديد، ثم حُرّف في العربية فصار (إنكشاري). تطور نظام هذا الجيش فأصبح لا يعول إلا عليه في الحرب. وكان أكبر عوامل امتداد الدولة العثمانيّة وأهمها، غير أن الانكشارية خرجوا فيما بعد عن حُدودهم واستبدوا، وهذا ماجعلهم سبباً في تأخر الدولة وتقهقرها. أنظر: فريد بك المحامي، تاريخ الدولة العلية العثمانيّة، ص: 123.

(2) سهيل صابان، مصدر سابق، ص605.

وقد كان من نتائج (التنظيمات) تعزيز قوة الأقليات، من خلال حُصولها على امتيازات لم يحصل عليها مُواطنون في الدولةالعثمانية. والإجراءات التي قامت بها حركة التنظيمات لتحسين المستوى المعيشي اقتصرت على مناطق الأقليات (مثل بلغاريا واليونان)، وأهملت المناطق الإسلامية[1].

ونتيجة توسيع عهد التنظيمات لصلاتها السياسية والثقافية والاجتماعية مع الغرب، سارعت الدول الغربية إلى إقامة مؤسساتها التي ترعى مصالحها وامتيازاتها وتعمل على تحقيق أهدافها ومطامعها الاستعمارية.

أهم الأطوار السياسية التي مرت بها الدولة العثمانيّة أواخرأيامها وهي:

1 ـ المشروطية.

2 ـ الاتحاد والترقي.

3 ـ إلغاء الخلافة وإحلال النِّظام الجمهوري.

1 ـ المشروطية

وهي تنقسم قسمين:

المشروطية الأولى: وهي الدستور الذي أصدره السلطان **عبد الحميد الثاني** في (16/ 3/ 1876م)، وبموجبه تمّ تشكيل أول مجلس نيابي في الدولة العثمانيّة. وكان الهدف من هذه المشروطية تقييد السُّلطة

---

(1) يوسف الحكيم، سوريا و العهد العثماني، ص 151 وما بعدها.

المُطلقة للسلاطين وإعطاء الأقليات من أصحاب المذاهب والأديان المختلفة مزيداً من الحرية والامتيازات.

وبسبب الصراعات التي شهدها المجلس، ومطالبة بعض النواب باستقلال ولاياتهم أو إعطاء امتيازات للطوائف التي يمثلونها، اتخذ السلطان عبد الحميد قرار تعطيل مجلس المبعوثان[*] في (14/ 2/ 1878م) لأجل غير مُسمى، حفاظاً على وحدة الدولة التي كانت تتعرض لتهديد خارجي.

المشروطية الثانية: في سنة (1908م) أصدر السلطان عبد الحميد الثاني مرسوماً بإعادة مجلس المبعوثان بعد قرابة ثلاثين عاما على تعطيله. وقد استهدف إعلان المشروطية الثانية الحفاظ على كيان السلطنة ووحدتها ضد أي تدخل أجنبي أو انفصالي في الداخل[1].

لقد كانت المشروطية الأولى نتيجة سلسلة الإصلاحات في الدولة العثمانيّة غير أنَّ هذه الإصلاحات لم تتبلور في مفاهيم مُحددة، لأنَّ شعاراتها كانت دعائية ولم تكن حقائق ثابتة، خاصة لاسيما والدولة العثمانيّة المحاطة بدول قوية طامعة كانت تتألف من قوميات وعناصر وأديان ولغات ومذاهب مختلفة، وهذا ما شكّل أرضاً خصبة لتدخل الدول الأجنبية في شؤونها الداخلية، عبر إثارة هذه العناصر والقوميات، لذلك لاقت التجربة الأولى لتطبيق نظام نيابي عام (1876م) الإخفاق التام، واستُغلت ضد الدولة العثمانيّة.

(*) أطلق عليه اسم (المبعوثان) وكان يتألف من (116) عضواً منهم أربعون مسيحياً. أنظر: زكريا فايد، العلمانية النشأة والأثر في الشرق والغرب، ص 107.

(1) سهيل صابان، الأوضاع الثقافية في تركيا، ص 9.

ورغم محاولات السلطان عبد الحميد الإصلاحية في بعض المجالات السياسية والاقتصادية والتعليمية، فإنَّ الضغوط الخارجية والتناقضات الداخلية لم تمنحه الفرصة لمواصلة الإصلاح، وإن كان قد نجح في تأخير السقوط النهائي للدولة.

2 ـ جمعية الاتحاد والتّرقي(*)

وهي تيار فكري وقومي انتظم في حركة سرية، هدفها خلع السلطان عبد الحميد الثاني، وقد رفعت شعارات: الحرية، والمساواة، والعدالة، وحظيت بدعم ومساعدة الدول الأوروبية، والمحافل الماسونية التي انتسب إليها كثير من قياديي هذه الجمعية.

وتمكنت من استمالة عدداً من أفراد الشعب، ونجحت في أوساط الإداريين والعسكريين وبخاصة في مدينة سلانيك التي كانت مقراً ليهود ومركز الماسونية، وفي هذه المدينة انضم الجيش الثالث العثماني للاتحاد والترقي.

وقد تمّ إعلان التمرد ضد السلطان عبد الحميد في ليلة 23/7/1908م، وأرسلت إليه برقيات تطالبه بإعلان الدستور وإعادة مجلس المبعوثان «النواب» خلال أربع وعشرين ساعة وإلا تحرك الجيش الثاني والثالث لاحتلال مقر الخلافة.

وحقناً للدماء اضطر السلطان إلى إعلان المشروطية الثانية، وافتتح

(*) جمعية سرية شكلها طالب ألباني في المدرسة الطبية العسكرية السلطانية، يُدعى «إبراهيم تيمو» مع قسم من أصدقائه من الطلبة سنة 1889م. وقد كان طلاب مدرسة الطب العسكرية الأكثر تأثراً بالحياة الفكرية والسياسية الأوروبية. أنظر: علي سلطان، الدولة العثمانيّة، ص 353.

مجلس المبعوثان في آخر سنة 1908م، وبهذا وصلت جمعية الاتحاد والتَّرقي إلى الحكم وشرعت في تنفيذ سياستها[1].

بعد إعلان الدستور بسنة تمّ خلع السلطان **عبد الحميد الثاني**، ونُفي إلى «سلانيك» ونُصِّب أخوه محمد رشاد مكانه.

وبدل أن يحقق الاتحاد والتّرقي وعوده من شعارات: الحرية، والمساواة والعدالة، أقام دكتاتورية حزبية، وفشل في محاولة تطوير الجيش، فقد انهزم هذا الجيش في أكثر من موقع، مثل: حرب طرابلس سنة 1911م، وحرب البلقان سنة حزيران 1913م، إضافة إلى تورط الاتحاديين في الحرب العالمية الأولى وتحالفهم مع ألمانيا الأمر الذي عجَّل بنهاية الدولة العثمانيّة.

3 ـ سقوط الخلافة

بعد هزيمة الاتحاد والترقي وفُقدان الدولة لاستقلالها، هرب أغلب زعماء الاتحاد إلى الخارج وخاصة إلى ألمانيا، واستنجد السلطان وحيد الدين بمصطفى كمال(*) لتنظيم المقاومة في الأناضول ضد الاحتلال

---

(1) حسين بكير، النّورسي في الفكر والدعوة، ص 23.

(*) وُلد بسلانيك سنة 1880م وتوفي سنة 1938م: مؤسس النظام الجمهوري التركي، التحق في صباه بالكلية الحربية، واشترك كضابط في الثورة التى قامت سنة 1908م كما شارك في حرب البلقان سنة 1913م، والحرب العالمية الأولى سنة 1914م. نظم حزب الشعب الجمهوري وكوّن جيشاً لمحاربة الجيش اليوناني والإنكليزي الذي كان قد احتل أزمير وسامسون، خرج عن طاعة السلطان محمد وحيد الدين، وأقام معارضاً في أنقرة، وانتهز فرصة قيام خلافات بين الحلفاء فشنّ هجوماً قوياً على اليونانيين وطردهم عامي (1921 . 1922م)، وفي 1/ 11/ 1922م أعلن إلغاء السلطنة، وعقد سنة 1923م معاهدة «لوزان» مع الحلفاء، وأقام جمهورية تركيا وانتخب رئيساً لها، وظل محتفظاً بالرئاسة طوال حياته، وفي سنة 1934م منحته الجمعية الوطنية لقب «أتاتورك». فصل بين الدين=

الأجنبي، وقد نجح فعلاً في قيادة المقاومة؛ لكنه كان يعمل لحسابه الخاص، وحاول أن يعطي ثورته طابعاً إسلامياً لينال تأييد الشعب.

في مؤتمر «الوزان» فرضت إنجلترا شروطهاً للاعتراف باستقلال تركيا كما يلي:

1 ـ إلغاء الخلافة الإسلامية إلغاء تاماً.

2 ـ طرد الخليفة خارج الحدود.

3 ـ مصادرة أمواله.

4 ـ إعلان علمانية الدولة.

وفي 29/ 10/ 1923م تمّ إعلان الجمهورية، وتلاه إعلان إلغاء الخلافة الإسلامية في 3/ 3/ 1924م وإصدار قانون توحيد التعليم، وقامت الدولة بإغلاق المدارس الدينية ووكالة الأوقاف الشرعية في التاريخ نفسه[1].

ومنعت الطرق الصوفية، وأغلقت التكايا والزوايا، ومنع الزي الديني والوطنى، وألزموا موظفي الدولة بلبس القبعة، وتوالى فرض القوانين المخالفة للدين، وشُكِّلت لجنة من رجال القانون لتريك القانون المدني السويسري وأخرى لشرحه، وأُلغي العمل بالشريعة الإسلامية ، واستبدال الحروف اللاتينية بالعربية والتقويم الإفرنجي (الميلادي) بالتقويم الهجري.

= والدولة، واستبدل الحروف العربية بالحروف اللاتينية، وجعل القانون المدني يقوم على أصول التشريعات الأوروبية. أنظر: محمد فريد بك، الدولة العلية العثمانيّة، ص 747.

(1) سهيل صابان، الأوضاع الثقافية في تركيا، ص 126.

ويقول أتاتورك في هذا المجال: «إنَّه ليس لتركيا الجديدة علاقة بالدين، وإن ذِكْر الدين الإسلامي في الدستور التركي (عام 1924 م إثر إلغاء الخلافة) لم يكن إلا مجاراة للأفكار القديمة البالية، ولكن ذلك مقضي عليه بالزوال»[1].

وحاربت السلطة الجديدة الدين، وطال اضطهادها كل من رأت منه عدم الامتثال لها، فأعدمت عدداً كبيراً من علماء الإسلام، وأصدرت بحقهم قانون الخيانة الوطنية، وهو القانون نفسه الذي تم بموجبه إعدام (الشيخ سعيد بيران) وستة وأربعين عالماً من أصحابه بحجة قيامهم بحركة مقاومة كردية مدعومة من قبل الإنجليز، على حين كانت في حقيقتها حركة إسلامية ضد النظام العلماني، كما أُعدم كثيرون غيرهم، وسجن وعذب آخرون في محاكم الاستقلال التي أُنشئت لتصفية الخصوم[2][*].

---

(1) محب الدين الخطيب، أنقرة والدين الإسلامي، مجلة الفتح، عدد69 ص 280 ـ 282. وأنظر: حسين بكير، مصدر سابق، ص 26.

(2) سهيل صابان، الأوضاع الثقافية في تركيا، ص 128.

(*) أصبحت العلمانية أساساً من أسس الحكم في تركيا، وظل مصطلح العلمانية فضفاضاً، مرناً، حيث تُرك بصيغته العامة التي تقول بفصل الدين عن الدولة حتى تفسره الدولة الحاكمة بما يوافق مصلحتها، فاستناداً إلى العلمانية مُنِع الآذان باللغة العربية عام 1931م ثم سُمِح به بعد ستة عشر عاماً استناداً إلى العلمانية كذلك. وتمشياً مع علمانية أتاتورك تم إغلاق كثير من المساجد وحوّل بعضها إلى مراكز لحزب الشعب، وجرى تأجيرها للمصارف والشركات التجارية، بل إنّ بعض المساجد حُوّل إلى أماكن للخمور والميسر.

واستناداً لتفسير أتاتورك للعلمانية تمّ إصدار قرارات تمنع قراءة القرآن الكريم وكل ما يمُت إلى اللغة العربية بصلة، و تتريك كل ما يتعلق بالصلاة وغيرها من الشعائر الإسلامية. ، فأصبح تعلُّم القرآن الكريم أو أي علم إسلامي باللغة العربية جريمة يُساق صاحبها إلى المحاكم بحجة معارضة قانون الحروف (اللاتينية). =

البيئة التعليمية والثقافية الاجتماعية

1 ـ البيئة التعليمية والثقافية

قامت الدّولة العثمانيّة على الجُندية، وشغلتها الحروب، ولم تستطع التوفيق بين العلم والقوة، وكانت خدمة الأغراض العسكرية الأساس في توجهها للعلم، فالعلوم الرياضية والطب. نشأت في المدارس العسكرية، خاصة في عهد السلطان عبد الحميد.

ومؤسسات التعليم كانت تابعة على الأغلب للأوقاف، وهي مؤسسات شبه مستقلة وغير مقيدة بمقررات أو مناهج تعليمية محدّدة، ولم تستطع بمناهجها الجامدة أن تصمد أمام متغيرات العصر، وقاومت المشاريع الإصلاحية التي دعا إليها بعض العلماء في فترات مختلفة كما عارضت فكرة إقامة المطبعة، لأنها قادمة من الدول (النصرانية)[1].

غير أنَّ بعض السلاطين استطاع القيام بمشاريع إصلاحية سمحت بابتعاث الطلاب إلى المدارس الأوروبية وافتتاح مدارس متوسطة ذات مناهج حديثة، وهو ما عرف «بالمكتب»! وبذلك حدث صراع بين اتجاهين: اتجاه التعليم القديم، واتجاه التعليم الجديد، ودام هذا الصراع

= وشكلت لجان لاستبدال الألفاظ العربية المتداولة في الحياة بألفاظ تركية، إمعاناً في قطع الشعب التركي عن كل ما يربطه بميراثه الإسلامي ـ بخاصة ـ وباللغة العربية بعامة. وهذه المؤسسات لازالت موجودة إلى حدِّ الآن تحت اسم «مُؤسسة اللسان التركي».

وأصبحت العلمانية في المجتمع التركي أداة للحكم على الناس، ووسيلة لإقصاء كل معارضة للتوجه التغريبي في تركيا، بل إنّ العلمانية أضحت تعني بصراحة واضحة، معاداة الإسلام ومحاربة هوية الشعب التركي المسلم وتاريخه. أنظر: سهيل صابان، الأوضاع الثقافية في تركيا، ص 270.

(1) سهيل صابان، الأوضاع الثقافية في تركيا، ص 12.

فترة طويلة انتهت بغلبة التعليم الحديث، نظراً لما كان يجلبه من امتيازات لطالبيه، ونظراً لانحياز الدولة له[1].

في عهد التنظيمات استقدمت الدولة المدرسين الغربيين للعمل في المدارس والكليات العسكرية، وسمحت بإقامة مؤسسات تعليمية أجنبية بإشراف الحكومات الأوروبية مباشرة في عاصمة الخلافة، وبذلك بدأ الغزو الثقافي الغربي للدولة، وقويت حركة ترجمة الفكر الأوروبي[2]، فلسفة وأدباً وتاريخاً إلخ، وبذلك تشكل تيار أخذ المجتمع أشواطاً بعيدة في التغريب، وبلغ مداه بعد الانقلاب الكمالي الذي قرر المناهج الغربية في جميع مراحل التعليم دون نقد أو تعديل، وألغى التعليم الديني ـ الذي كان يعاني أصلاً من الجمود والانغلاق ـ، ليقطع صلة الشعب التركي بعلوم الإسلام ومناهجه التعليمية، فنشأت بذلك أجيال لا تؤمن إلا بالعلوم المادية وما تحكم به التجربة الحسيَّة، وفي هذا كان يقول أتاتورك: «نحن نأخذ قوتنا من العلم وفنون الحضارة، ونسير حسب ذلك، ولا نعرف شيئاً غيره»[3].

2 ـ البيئة الاجتماعية:

ظهرت في عهد «التنظيمات» تغيرات اجتماعية وأخلاقية خطيرة في المجتمع العثماني، حيث ظهر الاقتباس واضحاً لمظاهر الحياة الغربية في مختلف المجالات. حتى أصبح شرب المسكرات في المراسم أمراً مسموحاً به وغير معاقب عليه.

---

(1) المصدر نفسه، ص 14.

(2) المصدر نفسه، ص 29.

(3) سهيل صابان، مصدر سابق، ص 163

ومع الانقلاب الكمالي صدرت ـ تحت طائلة أشد عقوبات المخالفة ـ قوانين معادية للشريعة الإسلامية، وممهِّدة لتنصير مسلمي تركيا باسم التقدّم وتحرير المرأة؛ حيث أصبح يحقّ للمرأة المسلمة التركية الزواج بالنصراني أو اليهودي أو غيرهما من ذوي الديانات الأخرى، وأصبح من المباحات بنص القانون شُرب الخمر، ولعب الميسر، وأكل الخنزير، والارتداد عن الإسلام، وارتكاب الفاحشة، وأصبح الطلاق من المحرمات، وكذلك تعدّد الزوجات والحجاب الشرعي. وقام عدد من المؤسسات بنشر ما أطلق عليه «الأدب المكشوف» الذي يُروج للخلاعة والمجون والفساد بدعوى الفن والأدب، بأسلوب جذّاب مُحكم لهدم بنية المجتمع، وتخريب معتقداته.

يصف كاتب غربي أوضاع المرأة إثر الانقلاب قائلاً: «إنَّ المرأة التي كانت تظهر من خلال عباءتها السوداء، لم يبق لها وجود في تركيا الجديدة. إنَّ البيئة الشرقية اختفت تماماً. إنَّ المرأة التركية التي نجت من أحكام القرآن [الكريم] الثيوقراطية، تعيش الآن كأخواتها الغربيات وتتزوج وتلبس، بل هي مثلهن تماماً في كل شيء، كما أنها تعمل وترقص»[1].

المطلب الثاني

واقع العالم الإسلامي

عاش العالم الإسلامي الواقع الذي فرضه التحدي الغربي على الدولة العثمانية حيث ترابط المصير وتشابه، فالهجمة ذات توجه وهدف

(1) سهيل صابان، مصدر سابق، ص304. وانظر: حسين بكير، النورسي في الفكر والدعوة، ص 29.

واحد وهو السيطرة على العالم الإسلامي وجعله تابعاً للغرب وإلغاء هويته الحضارية بعد تغريبه وفرض التجزئة على الأرض والشعوب.

وهكذا شهد القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين اشتداد التنافس الاستعماري على المنطقة الإسلامية.

وجاءت نتائج الحرب العالمية الأولى (1914 ـ 1918م) تتويجاً للجهود الغربية لإنجاز الأهداف، وظهرت بوضوح صور التواطؤ الاستعماري في (اتفاقية سايكس بيكو) و(وعد بلفور)، كما عمل الاستعمار على تعميق النزعات القومية عند المسلمين لتمزيق البلدان الإسلامية، حيث استطاعت إنجلترا وفرنسا أن تستقطبا التيارات القومية التركية، وتوجهها للقضاء على النظام السياسي للدولة العثمانيّة، واستمالة العرب الذين رغبوا في الاستقلال والتخلص من الحكم العثماني.

أمام هذا الواقع لم تستسلم شعوب العالم الإسلامي للهجمة الاستعمارية بل برزت روح الرفض لدى الشعوب للأوضاع التي آلت إليها البلاد الإسلامية، عبر طريقين: بدعوة الحكام للاصلاح أحياناً، وبالثورة والتمرد عليهم حيناً آخر، وبمقاومة جيوش الاستعمار والتصدي لها.

وعلى سبيل المثال لا الحصر:

- ثورة الأمير **عبد القادر الجزائري**، وقد استمرت لسنوات (1832 ـ 1847م).
- وفي عام 1871م استؤنِفت الثورة في الجزائر من جديد على يد عائلتي الحاج **محمد المقراني** والشيخ **محمد الحداد**.

- أعلن سيدي **محمد ولد امْحمد** (سنة 1880م) الجهاد ضد فرنسا في صحراء مالي.

- سنة 1881م ثار **(دول سعيد)** ضد بريطانيا في ولاية «لجرِ سمبيلان» (بماليزيا)، ووقعت عدة معارك بين الثوار والبريطانيين.

- 1881م انطلقت ثورة **محمد أحمد المهدي** في السودان، ضد بريطانياً.

- 1881م، الشيخ **بوعمامة** يقود الثورة ضد فرنسا في الجزائر.

- 1882م قام **أحمد عرابي** بقيادة الثورة ضد الإنجليز في مصر.

- 1886م قاد الشيخ **محمد الأمين** ثورة ضد فرنسا بغرب إفريقيا.

- 1891م انطلقت ثورة في ولاية (باهنج) بماليزيا ضد بريطانيا.

- 1899م ثار **رابح فضل الله** على الفرنسيين في بحيرة تشاد ومملكة برنو.

- 1900م اشتعلت ثورة في الصومال ضد بريطانيا بقيادة الشيخ **محمد عبد الله**، واستمرت إلى عام 1921م، أي حوالي عشرين سنة.

- 1903م تزعم الشيخ **ماء العينين ولد محمد الفاضل** ثورة ضد الاستعمار الفرنسي في بلاد شنقيط جنوب المغرب.

- 1911م المجاهد **عمر المختار** يقود الجهاد ضد الاستعمار الإيطالي طيلة عشرين سنة.

- 1921م واصل **محمد عبد الكريم الخطابي** في المغرب قيادة الثورة بعد والده، وأحرز انتصارات كبرى ضد الاستعمار الإسباني لشمال المغرب.

- 1925م، قاد الشيخ **سعيد بيراني** ثورة مسلحة ضد حكومة أتاتورك العلمانية، شملت أغلب المقاطعات الكردية.

- 1925م انطلقت الثورة السورية الكبرى ضد فرنسا.

وفي فلسطين الشيخ **محمد عز الدين القسام** يقود الثورة، التي بلغت أوجها عام 1935م بعد استشهاده، حيث عمت الثورة كل فلسطين.

ولا زال العالم الإسلامي في حالة صراع مع الاستعمار الغربي على جميع المستويات السياسية والاقتصادية والثقافية... إلخ في محاولة للتحرر من أوجه الاستعمار غير المباشر هذه المرة.

دعوات الإصلاح

بموازاة هذه الثورات ظهرت شخصيات تدعو إلى الإصلاح والتغيير حيث ركّزت كل شخصية على جانب من الجوانب التي رأت أنّها أولى بالإصلاح. ولئن وجد تنوع في هذه الجوانب، فإنها كانت متكاملة، شملت الإصلاح الديني، والسياسي، والاجتماعي.

فدعوة **جمال الدين الأفغاني**، ركّزت على معالجة أسباب التخلف في العالم الإسلامي بإحداث حركة دينية علمية قوية تضع المسلمين على الطريق الصحيح في فهم الإسلام، وفي صد الهجوم الفكري الشامل الذي يقوده الغرب، يقول الأفغاني في هذا الصدد: «إذا لم يُؤسس نهوضنا وتمدننا على قواعد ديننا وقرآننا فلا خير فيه، ولا يمكن التخلص من وصمة انحطاطنا وتأخرنا عن هذا الطريق»[1].

---

(1) محمود قاسم، جمال الدين الأفغاني، ص 94.

كما ركّز الأفغاني على الإصلاح السياسي ورأى أنَّ إعادة التنظيم السياسي للعالم الإسلامي هو طريق التقدم، كما وقف موقفاً مناهضاً للاستعمار، وبيّن أن الاتحاد والجهاد هما سبيلا الخلاص.

الشيخ محمد عبده المصري اعتمد الإصلاح الاجتماعي طريقاً للنهضة، ونظر إلى أزمة الواقع الإسلامي باعتبارها مشكلة اجتماعية، في حين نظر إليها الأفغاني على أنها مشكلة سياسية.

وعلى نهج محمد عبده واصل الشيخ رشيد رضا ـ صاحب جريدة المنار ـ الدعوة إلى الإصلاح، وقد تجاوز تأثير دعوته مناطق كثيرة خارج مصر.

في تونس تزعم جماعة من العلماء حركة الإصلاح على خطى **جمال الدين الأفغاني** و**محمد عبده**، وبرز منهم الشيخ **محمد الطاهر بن عاشور**، والشيخ **عمر النخلي**، والشيخ **عبد العزيز الثعالبي** الذي قام بدور أساسي في حركة مقاومة الاستعمار الفرنسي بعد الحرب العالمية الأولى.

في الجزائر بدأت الحركة الإصلاحية على يد **عبد الحميد بن باديس** في عام (1922م)، وقد أخذت هذه الحركة صورتها المتكاملة مع تأسيس «جمعية العلماء المسلمين» عام 1931م برئاسة **ابن باديس**، حيث استطاعت هذه الجمعية الجمع بين النشاط العلمي والسياسي، فكانت التربة المناسبة التي نمت فيها حركة تحرير الجزائر (1954 ـ 1962م).

في المغرب قامت حركة إصلاح ديني في جامعة القرويين بفاس، وجامعة ابن يوسف بمراكش، كان من أبرز أعلامها **علال الفاسي**، و**محمد المختار السوسي**، ما لبثت أن تطورت إلى حركة سياسية قادت

معركة الاستقلال عن فرنسا، وتوّجت جهودها بإلغاء معاهدة الحماية الفرنسية للمغرب في (2 مارس 1956م).

إنَّ المتتبع لهذه الأحداث ـ خلال القرنين الأخيرين ـ يكتشف أن ضعف العالم الإسلامي وتمزُّقه مهّدا لسقوطه تحت السيطرة الاستعمارية، وكان للفشل في مقاومة هذا السقوط أثر في إيقاظ المسلمين، وتنبيههم إلى وجوب الاتجاه إلى البناء الداخلي وتحصين معاقل المقاومة.

وتمثل هذا الاتجاه في ظهور حركة الإصلاح والتجديد التي شملت العالم الإسلامي، وكانت ـ على تعددها ـ تهدف إلى محاربة التخلف، وبناء الذات الإسلامية، ومقاومة العدو الخارجي، وأثمرت جهودها بعد النصف الثاني من القرن العشرين عندما قامت ثورات أكثر نضجاً وأصلب عوداً، حيث تمكنت من تحقيق الانتصار العسكري في كثير من البلاد الإسلامية.

في إطار هذه الحركات الإصلاحية يَبْرزُ النّورسي كواحد من أعلام الجهاد والاصلاح الذين تصدّوا للإصلاح والتجديد في تلك المرحلة الحرجة من التاريخ الإسلامي، في المرحلة الأولى دعا إلى التغيير والإصلاح في النظام السياسي للدولة العثمانيّة، وعندما اقتضت مصلحة الأمة مواجهة العدو الأجنبي كان النّورسي قائداً عسكرياً في جبهة القتال إلى أن وقع في الأسر، وبعد سيطرة الكماليين على السلطة توجه للبناء الداخلي.

الفصل الأول

النّورسي وقضايا الإعجاز القرآني

المبحث الأول

النّورسي ومنهجه في إعجاز القرآن الكريم

اهتم النّورسي باكراً بقضية الإعجاز يُؤيّد ذلك تأليفه لكتاب «إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز» خلال وجوده في جبهة القتال أثناء الحرب العالمية الأولى؛ حيث لم تشغله مشاركته في الجهاد بالسلاح، عن الاهتمام بسلاح مهم هو القرآن الكريم؛ لأنه كان يدرك أنَّ الهجوم على العالم الإسلامي ليس مجرد هجوم عسكري، وإنما هو هجوم فكري وعقائدي.

لقد قبل التحدِّي الذي أبداه الغرب على لسان وزير المستعمرات البريطاني (وليم غلادستون) في مجلس العموم البريطاني، حيث خاطب النواب وبيده نسخة من القرآن الكريم قائلا: «ما دام هذا القرآن بيد المسلمين فلن نستطيع أن نحكمهم، فلا مناص لنا من أن نزيله من الوجود، أو نقطع صلة المسلمين به[1]. لقد غضب النورسي عندما سمع هذا الخبر، وغيّر اهتمامه في بداية لانقلاب فكري عنده.. وعمل على

(1) إحسان صادق، بديع الزمان، ص 25.

الاستفادة من جميع العلوم المتنوعة والمخزونة في ذهنه لفهم وإدراك معاني القرآن الكريم وإثبات حقائقه. ولم يعرف بعد ذلك سوى القرآن هدفاً لعلمه وغاية لحياته. واصبحت المعجزة المعنوية للقرآن الكريم دليلاً ومرشداً وأستاذاً له،[1]

وأعلن لمن حوله: لأبرهننّ للعالم بأنَّ القرآن شمس معنوية لا يخبو سناها ولا يمكن إطفاء نورها[2].

وسلك طريقاً جديداً في التفسير، يتمثل في إثبات أنَّ الإسلام هو الدين الحق الذي تتحقّق به السعادة في الدنيا والآخرة، وأنَّ القرآن معجز في ألفاظه ومعانيه، فما فيه من الأخبار الغيبية والتشريعات الحكيمة والأساليب البليغة التي تفوق طاقة البشر دليل على أنه من عند الله تعالى.

وفي سبيل إثبات ذلك استعمل كل معارفه وقدراته من أجل الكشف عن الحقيقة وإقناع الإنسان إقناعاً تاماً بكون هذا القرآن مُعجزاً، بل إنّه حوّل إعجاز القرآن إلى معركة يتحدى فيها الإسلام كل التيارات المعادية له في اطار الصراع الحضاري مع الغرب.

لذلك عمل على إنجاز تفسير يضم مختلف وجوه الإعجاز، فخصَّص الجزء الأول من كتاب «إشارات الإعجاز» لتوضيح الإعجاز النظمي في القرآن، أما الأجزاء الباقية فأراد أن يخصّص كلَّ جزء منها لبيان سائر أوجه الإعجاز، لكن لم يَتَسَنَّ له إنجاز هذا المشروع، كما كانت رغبته، بسبب ظروف السجن والنفي والمراقبة المستمرة، لذلك

---

(1) النّورسي، سيرة ذاتية، ص 65.

(2) النّورسي، سيرة ذاتية، ص 66.

نجده في رسائل النور يُوردُ كثيراً مما كان ينوي تحقيقه، حيث حاول أن يبيّن وجهاً من وجوه الإعجاز القرآني كلما توفرت له الظروف.

الإعجاز(*) عند النّورسي:

المعجزة في الاصطلاح: أمر خارق للعادة، مقرون بالتحدي، وهو دليل يُجريه الله تعالى على يد النبي تصديقاً له.

وإعجاز القرآن: كون الخلق عاجزين عن الإتيان بمثله، فهو من إضافة المصدر لفاعله، والمفعول وما بعده محذوف للعلم به، وليس الإثبات المذكور مقصوداً لذاته، بل المقصود لازم ذلك، أعني إظهار أنَّ القرآن حق من عند الله وأن الذي جاء به رسول صادق أرسله الله تعالى، فينتقل الناس من العلم بأنّهم عاجزون عن الإتيان بمثله إلى العلم بأنه صادر عن الله تعالى الذي لا يعجزه شي، ثم إلى العِلم بأنه تأييد منه تعالى للآتي به وتصديق له، فيلزم الإيمان به واتباعه.

وتعريف النّورسي لا يخرج عن هذا المعنى، فهو يرى أنَّ المعجزة

(*) الإعجاز لغة: مأخوذ من العجز (العين والجيم والزاء أصلان صحيحان)، يدلُّ أحدهما على الضعف، والآخر على مُؤخر الشيء. أنظر: معجم مقاييس اللغة، تحقيق محمد عبد السلام هارون ـ 4 ـ 232، أنظر: حسين بكير، ص111.

فالأول عجز عن الشيء يعجز عجزاً، فهو عاجز، أي ضعيفٌ، ومن هذا قولهم: إنَّ العجز نقيض الحزم، لأنه يضعف رأيه، ويقال: أعجزني فلان، إذا عجزت عن طلبه وإدراكه. ولن يعجز الله تعالى شي، أي لا يعجز الله تعالى عنه متى شاء. ورد في القرآن الكريم: ﴿وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن نُّعْجِزَ ٱللَّهَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَن نُّعْجِزَهُۥ هَرَبًا﴾ [سورة الجن: آية 12]، وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ [العنكبوت: آية 22].

فالعجز هو إسم للقصور عن فعل الشيء، وهو ضد القدرة، قال تعالى: ﴿أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ﴾ [المائدة: آية 31]، وأعجزت فلاناً، وعاجزته: جعلته عاجزاً. أنظر: الراغب الأصفهاني، المفردات، ص322، 323. أنظر: حسين بكير، مصدر سابق، ص 111).

هي تصديق من الله تعالى لدعوى رسوله (ص)، أي كأنّ المعجزة تقوم مقام قول الله: صدق عبدي فأطيعوه[1].

كما يرى أنَّ المعجزة تأتي لإثبات دعوى النبوة عن طريق إقناع المُنكرين، وليس إرغامهم على الإيمان[2].

وجوه الإعجاز عند النّورسي:

أورد العلماء وجوهاً كثيرة في إعجاز القرآن الكريم، واختلفوا في عددها. وللنورسيّ أقوال مختلفة في ذلك، حتى إنه من الصعب تحديد عددها عنده، ففي مواضع يقرر أنها أربعون وجهاً، وفي عبارات أخرى يوصلها إلى مائتي وجه[3].

لكنه ربما لم يقصد الحصر في ذكره لعدد أوجه الإعجاز، لأنه عند تناوله للمعات إعجازية كثيرة يوضح في النهاية أنها تندرج تحت نوع واحد من أنواع الإعجاز القرآني، وبذلك يتضح وجود وجوه إعجازية رئيسية تندرج ضمنها وجوه أخرى ثانوية أو فرعية[4].

وفيما يلي بعض الأوجه الرئيسية للاعجاز كما تناولها النّورسي.

الوجه الأول: الإعجاز النظمي:

يقول النّورسي، إنَّ النظم القرآني هو الوجه الأول والأبرز من وجوه

---

(1) بديع الزمان، المكتوبات، ترجمة إحسان قاسم، ص 114.

(2) المصدر نفسه، ص 272، والنّورسي، الكلمات، ص 703.

(3) بديع الزمان، إشارات الإعجاز، ص 64، والنّورسي، الكلمات، ص 517.

(4) أحمد خالد شكري، آراء النّورسي في وجوه إعجاز القرآن، ص 4. أنظر: حسين بكير، مصدر سابق، ص 113.

إعجاز القرآن الكريم، ولإظهاره وبيانه ألّف كتابه «إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز».

لكن يصعب فهم هذا التفسير لما فيه من المباحث العقلية والمناقشات الفلسفية والمنطقية، والأدلة الأصولية، والإشارات، والنكت البلاغية إلا لخاصة الخاصة، وذلك لما فيه من الغموض وإثارة المعاني الخفية والاحتمالات البعيدة، والنّورسي يؤكد هذه النزعة بما يستعمله من نحو: (إشارة، رمز، تلويح، إيماء...)[1].

وهذا ما يؤكده بقوله: «إنَّ هذا التفسير القيم بين دفتيه نكت بلاغية دقيقة، قد لا يفهمها كثير من القراء ولا يُعيرون لها اهتمامهم»[2]..

أما الهدف من ذلك فيقول: «إنَّ مقصدنا من هذه الإشارات تفسير جملة من رموز نظم القرآن، لأن الإعجاز يتجلّى من نظمه، وما الإعجاز الزاهر إلا نقش النظم»[3].

ولبيان بلاغة القرآن يوضح لنا التناسب بين الآيات وعلاقة لاحقها بسابقها، وعلاقة كل جُملة بأختها، وعلاقة كلمات الجملة الواحدة فيما بينها، وموقع كل كلمة قرآنية، والسِّر في التعبير بها دون غيرها من الكلمات القريبة منها، يهدف من كل ذلك التأكيد على أنَّ «أدق وجوه إعجاز القرآن الكريم، في بلاغة نظمه»[4]..

---

(1) حسين بكير، النّورسي، في الفكر والدعوة، ص 113.
(2) بديع الزمان، إشارات الإعجاز، ص 18.
(3) المصدر نفسه، ص 23.
(4) المصدر نفسه، 226.

وهذا ما جعل مُقدم كتاب «إشارات الإعجاز»[*] يقول: «وكأني بالأستاذ النّورسي درس نظرية النّظم[**] هذه دراسة مُتقنة، ثم ظهر له أنَّ المُفسرين الذين سبقوه كالزمخشري والرازي وأبي السعود لم يحاولوا تطبيقها من حيث هي منظومة متكاملة تشمل ترتيب السور والآيات والألفاظ سورة بعد سورة، وآية بعد آية ولفظاً بعد لفظ بتفاصيلها الكاملة، فأراد أن يقتدي بهؤلاء المفسرين العظام فيؤلف تفسيراً يطبق فيه نظرية النظم تطبيقاً تفصيلياً شاملاً من حيث المباني والمعاني، ومن حيث المعارف اللغوية والعقلية والذوقية الكلية منها والجزئية...»[1].

وتأثّر النورسي بكبار البلاغيين واضح من خلال كتاباته، فهو ينقل كثيراً عن كتابَيْ عبد القاهر الجرجاني «دلائل الإعجاز» و«أسرار البلاغة» في المباحث البلاغية، وهو مُعجب بنظريته في النظم، ويتبنى آراءه البلاغية ويرجحها على آراء غيره[2].

ويرى النّورسي أنّ البلاغة المعجزة للقرآن نبعت من جزالة لفظه ومتانة نظمه ومن بديع أساليبه وجودتها، ومن براعة بيانه وتفوقه، ومن قوة معانيه وصدقها، ومن فصاحة ألفاظه وسلاستها، وكتاب »إشارات

(*) الكلام للدكتور محسن عبدالحميد، أستاذ التفسير والفكر الإسلامي في جامعة بغداد. وله أبحاث حول النّورسي.

(**) (نظرية النظم)، النظم هو تعليق الكلمة بعضها على بعض وجعل بعضها بسبب من بعض، أي وضع الكلام الموضع الذي يقتضيه علم النحو وإعمال قوانينه وأصوله ومعرفة مناهجه دون الزيغ عنها.

أنظر: عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص 42 ـ 46، و61 ـ 64.

(1) بديع الزمان، إشارات الإعجاز، ص 7.

(2) النّورسي، إشارات الإعجاز، ص 188.

الإعجاز» من أوله إلى آخره هو بيان لجزالة اللفظ ومتانة النظم القرآني[1].

أما الأمثلة على تمكُّن النورسي من بيان أسرار النظم فهي:

المثال الأول:

في قوله تعالى: ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [البقرة: آية 3].

وجه النظم: كما أنّ الصلاة عماد الدين وبها قوامه، كذلك الزكاة قنطرة الإسلام، وبها التعاون بين أهله.

ثم إنَّ من شروط الإنفاق المشروع أن تقع الصدقة في موقعها اللائق أي:

- عدم إسراف المتصدق فيقعد ملوماً...
- أن لا يأخذ من هذا ويُعطي لذاك، بل من مال نفسه.
- عدم مخافة الفقر.
- عدم اقتصارالإنفاق والتصدّق على المال، بل بالعلم والفكر والفعل أيضاً...
- وأن لا يصرفها الآخذ في السفاهة، بل في النفقة والحاجة الضرورية.

فلإحساس هذه النكت، وإحساس هذه الشروط تصدّق القرآن على الأفهام بإيثار ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [البقرة: آية 3] على (يتصدّقون) أو (يُزكون) وغيرها، إذ أشار: بـ(من) للتبعيض، إلى ردِّ الإسراف...

---

(1) النورسي، الكلمات، ص 424.

وبتقديم (مما) إلى كونه من مال نفسه. . .

و(برزقنا) إلى قطع المنَّة، أي: إنَّ الله هو المُعطي وأنت واسطة. .

وبالإسناد إلى (نا) إلى: (لا تخف من ذي العرش إقلالاً).

وبالإطلاق إلى تعميم التصدق بالعلم والفكر وبغيرهما. . .

وبمادة (يُنفقون) إلى شرط صرف الآخذ في النفقة والحاجات الضرورية.

ولا يقف النّورسي عند حُدود بيان هذه النكات، بل يتجاوز ذلك إلى الغوص في فلسفة التشريع الإسلامي الذي يُمثل حلاً لمشاكل المجتمع الإنساني، فالزكاة ـ كما يؤكد بديع الزمان ـ هي الرابطة لجريان مادة الحياة بين الناس، بل هي أنجع علاج لما يُعانيه النظام الاقتصادي، فاستقراء التاريخ البشري يُبيّن أنَّ منبع اختلال النظام الاجتماعي يمكن اختصاره في جُملتين، الأولى: (إن شبعتُ فلا عليّ أن يموت غيري من الجوع، والثانية: (اعْملْ أنت لآكل أنا، وإتعب أنت لأستريح أنا)، فعلاج الأولى يكمن في إيتاء (الزكاة)، كما أن الدواء النافع والمُستأصل لسلبيات ما تتضمنه الجملة الثانية يكمن في (تحريم الربا)[1].

ومن خلال هذا النموذج وغيره يتضح أنَّ النورسي لم يكتف ببيان أسرار النظم القرآني، وإنّما لامس قضايا الواقع مستثمرا هذه الأسرار كي يوظفها لصالح الإسلام وقضاياه الواقعية في عصر التحدي الذي عاشه، حيث تعرض فيه العالم الإسلامي لهجوم واسع من الماديين استهدف عقيدة الإسلام ونظامه الاجتماعي والاقتصادي. . . . .

---

(1) النّورسي، إشارات الإعجاز، ص 53، 54.

المثال الثاني:

في قوله تعالى: ﴿وَبِٱلْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ [البقرة: آية 4].

أما وجه النظم في أجزاء (وبالآخرة هم يُوقنون):

إنَّ نكت النظم تظهر في: «الواو»! ثم تقديم «بالآخرة» ثم الألف واللام فيها، ثم التعبير بهذا العنوان، ثم ذكر «هُم»! ثم ذكر «يوقنون» بدل «يُؤمنون».

- «الواو» وفيها التخصيص بعد التعميم، للتنصيص على هذا الرُّكن من الإيمان، اذ هو أحد القطبين اللذين تدور عليهما الكتب السماوية.

- تقديم (بالآخرة) ففيه حصر، وفي الحصر تعريض بأنَّ أهل الكتاب بُناء على قولهم ﴿وَقَالُوا۟ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً﴾ [البقره: آية 80] ونفيهم اللذائذ الجسمانية، فإنّ آخرتهم آخرة مجازية إسمية، وما هي بحقيقة الآخرة.

- الألف واللام للعهد. أي إشارة إلى المعهود بالدوران على ألسنة كل الكتب السماوية.. وفي العهد لمحٌ إلى أنها حق وإشارة إلى الحقيقة المعهودة الحاضرة بين أهداب العقول بسبب الدلائل الفطرية المذكورة.. وفي العهد حينئذ رمز إلى أنّها حقيقة.. وأما التعبير بعنوان «الآخرة» الناعتة للنشأة فلتوجيه الذهن إلى النشأة الأولى، ليُشير إلى إمكان النشأة الأخرى.

- (هم) فيه حصر وفي الحصر تعريض بأنَّ إيمان من لم يُؤمن بمحمد عليه الصلاة والسلام من أهل الكتاب ليس بيقين، بل إنما يظنونه يقيناً.

ـ قوله (يُوقنون) بدل «يُؤمنون» مع إن الإيمان هو التصديق مع اليقين، ليضع الأصبع على مناط الغرض قصداً لإثارة الشكوك، إذ القيامة محشر الريوب.. وأيضاً بالتنصيص تنسد طرق التعلل بـ «إنّا مؤمنون فليؤمن من لم يؤمن»(1).

المثال الثالث:

في قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدٗى مِّن رَّبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾ [البقرة: آية 5].

ـ إنَّ المظان التي تلتمع فيها النّكت هي: نظمها مع سابقتها، ثم المحسوسية في «أولئك»! ثم البُعْدية فيها، ثم العُلو في «على»! ثم التنكير في «هُدى»! ثم لفظ «من»! ثم التربية في «ربهم».

ـ أما النظم، فاعلم! أنّ أولاً مرتبطة بسابقتها بخطوط ومناسبات. منها الاستيناف، وهي جواب لثلاثة أسئلة مقدرة:

منها: السؤال عن المثال، كأن السامع بعدما سمع أنَّ القرآن من شأنه الهداية لأشخاص من شأنهم ـ بسبب الهداية ـ الاتصاف بأوصافٍ معينة، أحبَّ أن يراهم وهم بالفعل مُتلبسون بتلك الأوصاف وهم متكئون على أرائك الهداية. فأجاب السامع بقوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدٗى مِّن رَّبِّهِمۡۖ﴾.

ومنها: السؤال عن العلة، كأن السائل يقول: ما بال هؤلاء استحقوا الهداية واختصوا بها؟ فأجاب: بأنَّ هؤلاء الذين امتزجت واجتمعت فيهم تلك الأوصاف ـ إن تأملت ـ لجديرون بنور الهداية.

---

(1) النّورسي، إشارات الإعجاز، ص 67.

فان قُلت: التفصيل السابق أجلى للعلة من الاجمال في (أولئك)؟

قيل لك: قد يكون الإجمال أوضح من التفصيل لاسيما إذا كان المطلوب مُتولداً من المجموع، إذ بسبب جزئية ذهن السامع، والتدرج في أجزاء التفصيل، وتداخل النسيان بينها، وتجلي العلة من مزج الأجزاء قد لا يُتفطن لتولد العلة. فالإجمال في (أولئك) لأجل الامتزاج أجلى للعِلية.

ومنها: السؤال عن نتيجة الهداية وثمرتها، والنعمة واللذة فيها. كأن السامع يقول: ما اللذة والنعمة؟ فأجاب بأنَّ فيها سعادة الدارين. أي إنَّ نتيجة الهداية نفسها وثمرتها عينها، اذ هي بذاتها نعمة عظمى ولذة وجدانية، بل جنة الروح، كما إنَّ الضلالة جهنمها.

وأما المحسوسية في (أولئك) فإشارة إلى أنَّ ذكر الأوصاف الكثيرة سبب للتجسُّد في الذهن، والحضور في العقل، والمحسوسية للخيال... وينظر إلى تلألئهم في نوع البشر فإذا رفع رأسه وفتح عينيه لا يتراءى له إلا هؤلاء.

وأما البُعدية في (أولئك) مع قُربيتهم في الجملة فللإشارة إلى تعالي رُتبتهم، اذ الناظر إلى البُعداء لا يرى الا أطولهم قامة، مع أنّ حقيقة البُعد الزماني والمكاني أقضى لحق البلاغة... كما أنَّ عصر السعادة لسان ذاكر لها وهي تنزل، كذلك كلٌّ من الأعصار الاستقبالية كأنه لسان ذاكر لها.... فأوائل الصفوف المشار اليهم بـ (أولئك) يتراءون من بُعْدٍ. ولأجل الرؤية مع بُعدهم يُعلم عظمتهم وعلوّ رتبتهم.

وأما لفظ (على) فاعلم! أنّ سر المناسبة بين الأشياء صيَّر أكثر الأمور كالمرايا التي تتراءى في أنفسها، هذه في تلك وتلك في هذه.

فكما أنَّ قطعة زجاجة تريك صحراء واسعة، كذلك كثيراً ما تذكِّرك كلمةٌ فذة بخيال واسع، وتمثل نصب عينيك هيئة كلمة حكاية عجيبة. ويجول بذهنك كلام في عالم المثال المثالي. كما أنَّ لفظ «بارَزَ» يفتح لك معركة الحرب، ولفظ «ثمرة» في الآية يفتح لك باب الجنة وقس على ذلك! فعلى هذا لفظ (على) للذهن كالكُوَّة إلى أسلوب تمثيلي هو أنّ هداية القرآن بُراقٌ إلهي أهداه للمؤمنين ليسلكوه، وهم عليه في الطريق المستقيم سائرين إلى عرش الكمالات........

وأما لفظ (من) فيشير إلى أنَّ الخلق والتوفيق في اهتدائهم ـ المكسوب لهم ـ من الله.

وأما لفظ الـ «رب» فيشير إلى أنَّ الهداية من شأن الربوبية، فكما يربيهم بالرزق يغذيهم بالهداية[1].

المثال الرابع:

في قوله تعالى ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [البقرة: آية 5].

- إعلم! أنَّ مظان تحرِّي النكت هي: عطف «الواو»! ثم تكرار «أولئك»! ثم «ضمير الفصل»! ثم الألف واللام، ثم إطلاق «مُفلحون» وعدم تعيين وجه الفلاح.

- أما العطف فمبني على المناسبة، إذ كما أنّ (أولئك) الأول إشارة إلى ثمرة الهداية من السعادة العاجلة، فهذه إشارة إلى ثمرتها من السعادة الآجلة. ومع أنَّ كلاً منهما ثمرة لكل ما مرّ، إلا أنّ الأَوْلى أَنَّ (أولئك) الأول يرتبط عِرْقُه بـ(الذين) الأول، والظاهر أنهم المؤمنون

(1) المصدر نفسه، ص 68 ـ 70.

من الأميين، ويأخذ قوته من أركان الإسلام، وينظر إلى ماقبل (وبالآخرة هم يوقنون). و(أولئك) الثاني ينظر برمز خفي إلى (الذين) الثاني، والظاهر أنهم مُؤمنو أهل الكتاب. ويكون مأخذه أركان الإيمان واليقين بالآخرة. فتأمل!

- وأما تكرار (أولئك) فإشارة إلى استقلال كل من هاتين الثمرتين في العلة الغائية للهداية والسببية لتميزهم ومدحهم، إلا أنّ الأوْلى أن يكون (أولئك) الثاني إشارة إلى الأول مع حكمه كما تقول: ذلك عالم وذلك مكرّم.

- وأما ضمير الفصل فمع أنه تأكيد الحصر الذي فيه تعريض بأهل الكتاب الذين لم يؤمنوا بالنبيّ عليه السلام، فيه نُكتة لطيفة وهي: إنَّ توسط (هُم) بين المبتدأ والخبر من شأنه أن يُحوّل المبتدأ للخبر الواحد موضوعاً لأحكام كثيرة يُذكَر البعضُ ويُحال الباقية على الخيال، لأن (هُم) ينَبِّه الخيال على عدم التحديد ويشوّقه على تحري الأحكام المناسبة. فكما إنّك تضع زيداً بين عَيْنَيْ السامع فتأخذ تغزل منه الأحكام قائلاً: هو عالم، هو عامل، هو كذا وكذا. ثم تقول قس! كذلك لمَّا قال (أولئك) ثم جاء (هُم) يُهيّج الخيال لأن يجتني ويبتني بواسطة الضمير أحكاماً مناسبة لصفاتهم، ك: أولئك هم على هدى.. هم مفلحون.. هم فائزون من النار.. هم فائزون بالجنة.. هم ظافرون برؤية جمال الله تعالى إلى آخره.

- وأما الألف واللام فلتصوير الحقيقة.كأنه يقول: إنَّ أحببت أن ترى حقيقة المُفلحين، فانظر في مرآة (أولئك) لتمثل لك.. أو لتمييز ذواتهم، كأنه يقول: الذين سمعت أنهم من أهل الفلاح ان أردت أن

تعرفهم فعليك بـ (أولئك) فهم هُم. . أو لظهور الحكم وبداهته نظير «والده عبدٌ» إذ كون والده عبداً معلوم ظاهر. .

- وأما إطلاق «مفلحون» فللتعميم، اذ مخاطب القرآن على طبقات مطالبهم مختلفة. فبعضهم يطلب الفوز من النار. . وبعض إنّما يقصد الفوز بالجنة. . وبعض إنما يتحرّى الرضا الالهي. . وبعض مايحب الا رؤية جماله. . وهلم جرّا. . فاطلق هنا لتعم مائدة احسانه فيجتني كلٌّ مشتهاه(1).

المثال الخامس:

في قوله تعالى: ﴿وَلَئِن مَّسَّتۡهُمۡ نَفۡحَةٞ مِّنۡ عَذَابِ رَبِّكَ﴾ [الأنبياء: آية 46].

- هذه الجملة - يعني قوله تعالى - مسوقة لإظهار هول العذاب، ولكن بإظهار التأثير الشديد لأقله، ولهذا فإنَّ جميع أساليب التعبير التي تفيد التقليل تبدو جلية من خلال الآية، وهو بذلك يشير إلى المبالغات الثلاث التي وردت فيها، وهي:

1 - ذِكر المس وهو أقل شيء، بل هو شيء رفيق جداً، فما بالك إذا انثال عليهم؟ أي يكفي للدلالة على ذلهم، وهوان أمرهم، ووهن عزيمتهم، أنَّ أقل مس يكفيهم ليذعنوا، ويُعلنوا ذُلهم وخضوعهم والإقرار على أنفسهم بأنهم أعرضوا.

2 - وما في النفحة من مدلول القِلة والنزارة، إذ النَّفح هو الربح اليسير، يقال: نفح له من العطاء نفحة، إذا أعطاه نصيباً.

---

(1) المصدر نفسه، ص 70 - 71.

3 ـ بناء النَّفح، فمصدره مرة يأتي على وزن فعلة، أي نفحة واحدة لا ثاني لها تكفي لتشتيت أمرهم وتوهين كيانهم وتصدع صفوفهم، فكيف إذا عُززت بثانية أو ثالثة؟

ويضيف النّورسي موضحاً إن:

ـ لفظ (من) هو للتبعيض، بمعنى جزء، فيفيد القِلّة.

ـ ولفظ (عذاب) هو نوع خفيف من الجزاء بالنسبة إلى النّكال والعقاب، فيشير إلى القِلّة.

ـ ولفظ (ربك)، بدلاً من القهار، الجبار، المنتقم، يُوحي بالشفقة والرحمة. وهكذا تفيد الآية أنه: إذا كان العذاب خفيفاً ـ نفحة ـ، ومع ذلك لا يطيقه البشر، فيسارع إلى الولولة والاعتراف بالظلم، فما موقف العصاة إذا نالهم الله بأشد العقاب؟[1]. .

الوجه الثاني : شُمولية القرآن المُطلقة:

يلخص النّورسي هذه الشمولية فيما يلي[2].

ـ شمولية الألفاظ القرآنية:

فقد وُضعت الألفاظ القرآنية وضعاً بحيث تتضمن وجوهاً كثيرة في كل كلمة وكل حرف، ومثل لذلك بقوله تعالى: ﴿وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا﴾ [النبأ: آية 7].

فالعامي والشاعر والبدوي البليغ والجغرافي والأديب والفيلسوف. . . لكل منهم نصيب من هذا اللفظ[3].

---

(1) النّورسي، الكلمات، ص 426، 427. أنظر: حسين بكير، مصدر سابق، ص 115.

(2) النّورسي، الكلمات، ص 451، 467.

(3) عبد الرزاق السعدي، إعجاز القرآن اللغوي في فكر النّورسي، ص 12.

ومع ذلك فهذه السعة والشمول في اللفظ القرآني قد تكون مدخلاً لأصحاب الأهواء، ومدعاة لهم إلى توجيه أي قول أو اختيار تأويل حسب الرغبة والهوى، لذلك وضع النّورسي شروطاً لكل قول ووجه في فهم الآية. فتلك الوجوه لابد أن تستحسنها البلاغة ويستصوبها علم اللغة العربية، وتليق بسرّ التشريع[1].

ـ الشمولية المُطلقة في مباحثه وعلومه:

فقد جمع القرآن المباحث الكلية لما يخص الإنسان ووظيفته، والكون وخالقه.

ـ الشمولية المُطلقة في أسلوبه وإيجازه:

وهذه الشمولية تتضمن عدة عناصر هي:

1 ـ إنَّ لأسلوب القرآن شمولية مُطلقة، بحيث إنَّ كل سورة هي في حُكم قرآن صغير أو مختصر.

2 ـ إنَّ الآيات القرآنية شاملة بدلالاتها وإشاراتها لأنواع الكلام والمعارف الحقيقية والحاجات البشرية.

3 ـ الإيجاز المُعجز للقرآن، فقد يذكر القرآن سِلسلة طويلة من الأحداث ومُنتهاها ذكراً لطيفاً يختصر السلسلة بكاملها، وقد يدرج في كلمة واحدة براهين كثيرة لدعوى صراحة وإشارة ورمزاً وإيماءً..

4 ـ إيجاز القرآن شامل ومُعجز: فبإنعام النظر في القرآن يُشاهد بوضوح

(1) النّورسي، الكلمات، ص 880.

أنّه قد بيّن في مثال جُزئي وفي حادثة خاصة دساتير كُلية واسعة وقوانين عامة، فتعليم الأسماء لآدم. عليه السلام. يُفيد تعليم جميع العلوم والفنون المُلهمة لبني آدم.

5 ـ الشمولية المطلقة لمقاصد القرآن ومسائله ومعانيه وأساليبه ولطائفه، واجتماع هذه الأجناس المختلفة الكثيرة في موضع واحد من دون أن ينشأ منه اختلال نظام أو اختلاط وتشوش دليل آخر على إعجاز القرآن[1].

الوجه الثالث: الوحدة البنائية للقرآن:

وتعني أنَّ القرآن الكريم وحدة واحدة، نزل ليصدق ويفسر بعضه بعضاً، وليس فيه موطن شبهة أو اختلاف، فقد نزل مُنجماً في ثلاث وعشرين سنة، ومع ذلك فإنَّه يظهر من التلاؤم الكامل كأنه نزل دفعة واحدة، ونزل مُنجماً في تلك المدة لأسباب نزول مختلفة، ومع ذلك فإنه يظهر من التساند التام، كأنه نزل لسبب واحد، وجاء جواباً لأسئلة مكررة متفاوته، ومع ذلك فإنه يظهر من الامتزاج التام والاتحاد الكامل كأنّه جواب عن سؤال واحد، وجاء مُبيناً لأحكام حوادث مُتعددة مُتغايرة، ومع ذلك، فإنه يظهر من الانتظام الكامل كأنه بيان لحادثة واحدة، ونزل مُتضمناً لتنزلات كلامية إلهية في أساليب تناسب أفهام مُخاطبين متنوعين وحالات من التلقي مختلفة ومتنوعة، مع أنه يُبيّن من السلاسة اللطيفة والتماثل الجميل كأنَّ الحال واحدة والفهم واحد، وجاء مكلماً متوجهاً إلى أصناف متعددة متباعدة من المخاطبين، مع أنه يُظهر

(1) زياد الدغامين، منهج بديع الزمان في بيان إعجاز القرآن، ص 22، 23.

من سهولة البيان وجزالة النّظام ووضوح الفهم كأنَّ المخاطبين صنف واحد، بحيث يظن كل صنف أنه المُخاطب وحده بالأصالة، ونزل هادياً وموصلاً إلى غايات إرشادية متدرجة متفاوتة، مع أنه يُبين من الاستقامة والموازنة الدقيقة والانتظام الجميل كأن المقصود واحد[1].

هذا الوجه من إعجاز القرآن الكريم لا تُدركه العامة، وإنّما يُدركه من كانت له دراسة واسعة للقرآن الكريم وعلومه.

الوجه الرابع: إخباره بالغيب:

تضمن القرآن الكريم ثلاثة أنواع من الإخبارات الغيبية:

- غيب الماضي، فقد ذكر أخباراً من لدن آدم عليه السلام إلى عصر التنزيل.
- وغيب المستقبل، كالأخبار بعصمته، وهزيمة أعدائه، وغلبة الروم، ودخول البيت الحرام.
- وإخباره الغيبي المُتعلق بالحقائق الإلهية والحقائق الكونية، والأمور الأُخروية[2].

ويقول النورسي في تعقيبه على ذكر الأخبار الغيبية التى تضمنتها سورة الفتح، إنَّ الإخبار الغيبي له لمعات كثيرة لا تُعد ولا تُحصى، لذا فإنَّ حصر أهل الظاهر تلك الإخبارات الغيبية في أربعين أو خمسين آية فقط، إنّما هو نتاج نظرة ظاهرية سطحية، في حين هناك ما يربو على

(1) بديع الزمان، الكلمات، ص 481، 482.

(2) النورسي، الكلمات، ص 468.

الألف منها، بل قد تكون في آية واحدة فقط أربعة أو خمسة أخبار غيبية، ويعني بها الآية الأخيرة من سورة الفتح[1].

وقد توسّع النورسي كثيراً في استقصاء أجزاء هذا الوجه من الإعجاز، ولعلّ هذا مرجع ذلك إلى وَلَعِهِ بالكشف عن الجديد من أسرار القرآن الكريم، وإلى محاولته البحث عن كل سلاح يقوي به أبناء عقيدته في مواجهة التيار الجارف للإلحاد المشكك في القرآن وقدسيته.

الوجه الخامس: الإعجاز العلمي

ويرتبط بعلاقة وثيقة بالتفسير العلمي للآيات القرآنية، وقد اختلفت مواقف العلماء والمفسرين قديماً وحديثاً منه، بين شدّة الإعجاب والقبول وبين الرفض الكامل لهذا التفسير، وبين الفريقين توسط آخرون فلم يرفضوه كلياً ولم يقبلوه بدون شروط أو ضوابط، وإنما نبهوا إلى ضرورة عدم قصر النص القرآني على كشف علمي بشري قابل للخطأ أو الصواب، وقابل للتعديل والتبديل كلما اتسعت معارف الإنسان وتطورت وسائله المعرفية.

وقد سلك النورسي خُطى المفسرين الذين حاولوا فهم آيات القرآن الكريم في ضوء ما أثبته العلم، فهو يتحدث عن منجزات العلم الحديث، ويرى أنَّ القرآن لم يُهمل هذا الجانب؛ لأنه خطاب للبشرية قاطبة.. فمن وجوه إعجاز القرآن احتواؤه على إشارات مُجملة تتعلق بحقائق علمية ما زالت تتكشف وتظهر من خلال التقدم البشري.

وهنا يُلفت النورسي النظر إلى أنّ معجزات الأنبياء السابقين يُمكن

---

(1) النّورسي، اللمعات ص 49.

أن تؤخذ منها إشارات تشوق البشر وتشجعهم على العمل للوصول إلى أشباهها «وكأنّ القرآن يمسح ظهر الإنسان بيد التشويق والتشجيع قائلاً له: اسْعَ واجتهد في الوسائل التي توصلك إلى بعض الخوارق»[1].

ويقدم على ذلك أمثلة كثيرة منها مُعجزة سليمان (عليه السلام) التي ورد ذكرها في قوله تعالى: ﴿وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ﴾ [سبأ: 12].

فقد سُخرت له الريح فقطع في الهواء في يوم واحد ما يقطع في شهرين، فالآية ـ كما يُبين النّورسي ـ تشير إلى أنّ الطريق مفتوح أمام الإنسان لقطع مثل هذه المسافة في الهواء إذا نبذ كسل النفس واستفاد جيداً من سُنن الله تعالى الجارية في الكون[2].

كما تعرّض النّورسي إلى التفسير العلمي للقرآن من خلال بيانه لبعض الحوادث الجزئية، وأظهر مثال على ذلك ما جاء في تفسيره للرعد والبرق، حيث يقول: «اعْلم أنّ الرعد والبرق آيتان ظاهرتان من جهة العالم الغيبي في أيدي الملائكة الموكلين على عالم السحاب لتنظيم قوانينه، ثم إنَّ الحكمة الإلهية ربطت الأسباب بالمسببات، فإذا تشكّل السحاب من بُخار الماء المنتشر في الهواء، صار قسم حاملاً للإلكتريك المنفي، وقسم حاملاً للإلكتريك المثبت، فحينما يتقاربان يتصادمان دفعة فيتولد البرق. ثم بالهجوم والانقلاع دفعة، وامتلاء موضع بآخر لعدم الخلو يهتز، وتتموج الطبقات فيتولد صدى الرعد، ولا تجري هذه الحالات إلا تحت نظام وقانون يتمثلهما ملكُ الرّعد والبرق»[3].

---

(1) النّورسي، إشارات الإعجاز، 238.

(2) النّورسي، الكلمات، ص 280.

(3) النّورسي، إشارات الإعجاز، ص 141.

لقد ذهب النّورسي مذهباً وسطاً في بيانه للإعجاز العلمي، محاولاً توضيح قيمة العِلم وضرورته للعالم الإسلامي مُنبهاً لعدم تقديس العِلم، لأنّ العِلم الحق والمعرفة الصحيحة هما اللذان يُعرّفان بالله تعالى ويُعززان الإيمان به.

الوجه السادس: الإعجاز التشريعي:

وهو يحمل أهمية بالغة، لاسيما بعد التطور التاريخي لأنظمة الاجتماع البشري، فالإنسان لم يتوقف في البحث عن النظام الأمثل الذي ينبغي أن يحكم حياته في كل جوانبها. والنّورسي يبيّن هذا الوجه من خلال عقد مقارنة بين أُسس القرآن الكريم وأُسس المدنية الحديثة ودساتيرها، ليُثبت عجز هذه الأخيرة أمام القرآن من جميع الجوانب[*].

الوجه السابع: حاكمية القرآن وهَيمنته:

يقول النّورسي إنَّ القرآن قد بسط أحد جناحيه نحو الماضي والآخر نحو المستقبل، فالحقيقة التي اتفق عليها الأنبياء السابقون هي أساس القرآن وأحد جناحيه، فهو يُصدقهم ويُؤيدهم، وهم بدورهم يؤيدونه ويصدقونه، وكذلك فالعلماء اللاحقون كلهم يستمدون علمهم من القرآن، فهذا التكامل الحيوي يدل على أنّ القرآن الكريم هو ذو حياة وعطاء وذو حقيقة وأصالة[1].

ويخلص النّورسي إلى أنَّ بسط القرآن الكريم جناحيه على الماضي والمستقبل دليل على هيمنته، وتعديله وإكماله لما جاء في الكتب

(*) أنظر: مبحث النّورسي والحضارة.

(1) زياد خليل، منهج بديع الزمان في بيان إعجاز القرآن، ص 30.

السماوية السابقة دليل حاكميته، وتتلمذ الحجم الغفير من العلماء عليه دليل هيمنته، وأولى ما تكون هذه الهيمنة والحاكمية في الجانب العلمي والمعرفي، فضلاً عن الجانب الحياتي.

الوجه الثامن: تفوق المنهج القرآني على سائر المناهج المعرفية

يقول **النّورسي** إنَّ القرآن الكريم قد فاق مناهج الصوفية والمتكلمين والفلاسفة في الوصول إلى معرفة الله تعالى، ومع أنّ منهجي الصوفية والمُتكلمين قد تفرعا من القرآن، إلا أنهما قد أُفرغا في صُور شتّى، وأصبحا منهجين طويلين ذوي مشكلات، أما منهج القرآن الذي يعلنه ببلاغته المعجزة، فلا يُوازيه طريق في الاستقامة والشمول، فهو أقصر طريق وأقربه إلى معرفة الله تعالى، وهو أشمل للإنسان[1].

وحسب المنهج المعرفي عند **النّورسي**، تستمد هذه الشمولية في مصدرها من تصوره لمصادر المعرفة، وهي:

(أ) الكتاب المقروء وهو القرآن الكريم.

(ب) الكتاب المنظور، وهو الكون.

(ج) الآية الكبرى لهذا الكتاب العظيم وهو **محمد** (ص)[2].

ويُفهم من هذا أنَّ مصدري معرفة الخالق التي هي أهم المعارف والتي هي حق الله على عباده، ومصدري معرفة الحقائق الأخرى هما: مصدرالوحي، ومصدر الكون،

---

(1) النّورسي، الملاحق، ص 278.

(2) النّورسي، الكلمات، ص 254.

يعني: الحس والتجربة والمشاهدة، وهو كلام جدير بالفهم والتطوير ليستثمر في مناهج التعليم والتربية[1].

ويُؤكّد النّورسي أن لا تزاحم بين طرق الإعجاز[2]، رغم اختلاف المُحققين في هذه الطرق، فكل واحد اختار جهة من جهاته، فعند بعضهم إعجازُه: إخباره بالغيب، وعند بعضهم جمعه للحقائق والعلوم، وعند بعضهم الاخر سلامته من الاختلاف والتناقض... وليقينه أن وجوه الإعجاز لا تنقضي، فإنه حاول استقصاء أكثرها.

ويبدو أنَّ إفراط النّورسي في استقصاء وجوه الإعجاز القرآني، عائد إلى شعوره بالحاجة إلى كل سلاح مُمكن لمواجهة التشكيك في الإسلام، لاسيما القرآن الكريم.

رد الشبهات عن إعجاز القرآن:

تنبه النّورسي للشبهات التي أُثيرت حول القرآن الكريم في عصره، فتصدَّى لردها مؤكداً أن القرآن يحمي نفسه بنفسه وينفذ حكمه[3].

أما أهم الشبهات فهي:

وجود المتشابهات والمُشكلات في القرآن الكريم مُناف للإعجاز المؤسس على البلاغة المبنية ـ بدورها ـ على ظهور البيان ووضوح الإفادة.

(1) زياد خليل، بديع الزمان في بيان إعجاز القرآن، ص 33.
(2) النّورسي، إشارات الإعجاز، ص 179.
(3) النّورسي، الكلمات، ص 878.

إنَّ القرآن أطلق وأبهم في حقائق الخلقة وفنون الكائنات، وهذا مناف لمسلك التعليم والإرشاد.

إنَّ بعض ظواهر القرآن أميل إلى مخالفة الدليل العقلي.

لقد بيّن النّورسي أنَّ أساليب القرآن يُراعى فيها جمهور الناس حتى يتسنى للعوام إدراكها وفهمها، ولذلك جاءت متشابهة. كما أن الإشكال يقع في الأفهام لا في نص القرآن، وبتأمل الآيات التي زُعم أنها مُشكلة نجد اختلافاً بين المشككين في عددها وقضية إشكالها، فكل إشكال هو في فهم صاحبه لقلة علمه وضعف وسيلته، أما القرآن فبريء من إغلاق اللفظ وتعقيد العبارة.

كما ردّ النّورسي على الشبهات الأخرى بقوله: إنه لو فصّل القرآن في ذكر العلوم في ذلك الوقت ـ عند نزوله ـ لشوش أذهان الجمهور، والأوْلى أن يكلم الناس على قدر عقولهم. كما إنَّ هذا ليس من مقاصد القرآن، فذِكر العلوم والكائنات فيه إنّما هو تبعي واستطرادي للاستدلال، إذ ما نزل القرآن الكريم لدراسة الجغرافيا والفلك. ولكنه نزل كتاب هداية وإرشاد للإنسان[1].

وأبرز وأهم ملاحظة على منهج النّورسي في بيان إعجاز القرآن هو انطلاقه من قاعدة الصراع والتحدي للتيارات المُعادية للدين. فهو لم يتناول موضوع الإعجاز تناولاً نظرياً فقط، منفصلاً عن الواقع، بل أدخله في صلب المعركة ضد المشككين والماديين وغيرهم. لذلك حرص على بيان وجوه إعجاز القرآن لكافة الناس.

(1) أنظر: إشارات الإعجاز، مصدر سابق، ص 174.

ويبدو أنَّ تحديات الواقع وتحمُّلهِ لمهمة الداعية، وسعيه لمخاطبة الناس جميعاً ودعوتهم إلى العقيدة الإسلامية، قد حال دون **النورسي** وإتمام مشروعه في تفسير القرآن الكريم وكذلك تركه البحوث النظرية المُعمقة في الإعجاز القرآني، والذهاب إلى تأليف رسائل النور التوجيهية والتربوية.

المبحث الثاني

الإعجاز النبوي

المطلب الأول

النبوة والمعجزات

مقاصد القرآن الكريم، والتي نجدها في أغلب السورالمطولة، كما أوردها النّورسي هي: 1 ـ التوحيد ـ 2 ـ النبوة 3 ـ الحشر 4 ـ العدل مع العبودية[1].

و بقدر ما أسهب النّورسي في بيان (التوحيد) باعتباره قطب الكمال الإلهي ومحوره، نجده يقف مطولا مع (النبوة) في أماكن عديدة من رسائله.

ويُخصّص النّورسي جانباً مهماً لسنة الرسول (ص) وسيرته فيفرد ـ أحياناً ـ رسائل خاصة لتناول موضوع من هذه الموضوعات، أو يشير إليها ـ أحياناً أخرى ـ إشارات في معرض تناوله لغيرها من الموضوعات.

---

(1) النّورسي، الكلمات، ص 533.

والرسائل التي خُصصت بكاملها للحديث عن سنة رسول الله (ص) هي: «الرسالة الأحمدية»[1]، و«أصول في فهم أحاديث الساعة وثواب الأعمال»[2] و«المعراج النبوي»[3]، و«المعجزات الأحمدية»[4] و«منهاج السنة»[5] و«الإخبار بالغيب»[6]، و«مرقاة السُّنة وترياق مرض البدعة»[7] و«القسم الثالث من الشعاع الخامس عشر»[8].

وعند تعامله مع الحديث النبوي والسيرة الشريفة يتبع مسلكاً فريداً فلا هو مسلك المحدثين الذين يتقيدون بمنهج محدد، ولا هو مسلك المؤرخين الذين يدرسون السيرة النبوية أيضاً بمنهجهم الخاص.

وقد ركَّز على محورين أساسيين:

الأول: وهو الأكبر مساحة الموضوعات الغيبية، وتشتمل: المعجزات النبوية ـ المعراج ـ الإخبار بالغيب ـ أحاديث الساعة وثواب الأعمال.

الثاني: ويشمل جوانب متفرقة من السنة النبوية منها: ـ ضرورة الالتزام بالسنة النبوية والنتائج المترتبة عليه ـ منهاج السنة في محبة آل البيت، الرسول (ص) دليلاً إلى الله سبحانه ـ القرآن الكريم شاهداً أكبر على نبوته (ص).

---

(1) النّورسي، **الكلمات**، الرسالة التاسعة عشرة، ص 254 ـ 268.
(2) النّورسي، **الكلمات**، الكلمة الرابعة و العشرين، ص 386، 402.
(3) النّورسي، **الكلمات**، الكلمة الحادية و العشرين، ص 666، 706.
(4) النّورسي، المكتوب التاسع عشر، ص 111، 287.
(5) النّورسي، اللمعات (اللمعة الرابعة)، ص 28 ـ 38.
(6) النّورسي، اللمعة السابعة، ص 40 ـ 49.
(7) النّورسي، اللمعة الحادية عشر، ص 80 ـ 90.
(8) النّورسي، الشعاعات، ص 654 ـ 669.

ولقد أطال النورسي الوقوف مع المعجزة، فبيَّن حقيقتها، وأعطى لها مفهوما جديدا تجاوز به المفهوم الذي يجعل من معجزات الأنبياء مجرد حوادث تاريخية يؤتى بها على سبيل الحكاية عن أدلة تصديقهم أمام تحديات أقوامهم.

- ومن الجوانب التي ناقشها النورسي في موضوع المعجزة، مسألة مدى قبول العقل لخرق القوانين التي تحكم الطبيعة.

فالمنكرون للمعجزة يبنون إنكارهم على أساس استحا لة كسر (القوانين الطبيعية) وخرقها جاعلين من الارتباط بين الأشياء ارتباطا عقليا ضروريا لا مجرد ارتباط عادي يمكن أن يتخلف .فالقول - عندهم - بالمعجزة مما يناقض العقل والحس.

وهذا الإنكار هو الذي جعل بعض المصلحين في العالم الإسلامي يجدون حرجا في إقرار المعجزات النبوية، فراحوا يتجاهلون ما ثبت للنبي (ص) من معجزات مركزين على القرآن الكريم باعتباره المعجزة الخالدة تارة، وتارة أخرى يتكلفون التأويلات البعيدة، كي يجعلوا المعجزات أمورا ممكنة عقلا.

أما النورسي فلم يجد صعوبة في تقرير عدم مناقضة القول بالمعجزة كما يقرره العقل أو يحكم به الحسّ، منطلقا في ذلك من فكرة (الإمكان)، فيناقش إمكان المعجزة أو ما شابهها كالكرامة من هذه الزاوية.

ويقول: «للإمكان أنواع وأقسام هي: الإمكان العقلي والإمكان العرفي والإمكان العادي. فإن لم تكن الحادثة الواقعة ضمن الإمكان العقلي فإنها تُرَدُّ وتُرفَض، وإن لم تكن ضمن الإمكان العرفي أيضا فإنها

تكون معجزة ولا تكون كرامة بيسر، وإن لم تكن لها نظير عرفا وقاعدة فلا تقبل إلا ببرهان قاطع بدرجة الشهود.

هو هنا يُقرر بشأن المعجزة أمرين أساسيين:

الأول: إنّ المعجزة تكون ضمن الإمكان العقلي.

الثاني: إنّ المعجزة لا يُشترط فيها أن تكون ضمن الإمكان العرفي، بل هي خارقة له.

وبناء على ذلك ناقش منكري المعجزة ورد على أولئك الذين يحاولون تأويل النصوص لتتفق المعجزات مع مقتضيات العقل.

ويقول في رده على شخص حاول أن يؤول النصوص القرآنية لينكر معجزة كون (النبي عيسى ـ عليه السلام) ولد دون أب، ناقش معه المسألة من الجانب الحسي بأن أحاله إلى إمكان هذه الظاهرة في الطبيعة ومن الجانب العقلي ببيان مفهوم (القوانين الطبيعية) التي يتمسك بها منكر المعجزات.

يقول: وقد شعر الآن في هذه المسألة، بهجوم الزنادقة العنيف على الأسس الإسلامية، إنه لا والد لعيسى ـ عليه السلام ـ كما تبينه يقيناً الآية الكريمة:

﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ﴾ [آل عمران: الآية 59]، وأمثالها من النصوص القاطعة، لذلك لايؤخذ بكلام من يحاول تغيير هذه الحقيقة الرصينة الراسخة، بل لا يقام لقوله وزن ولا يستحق الاهتمام به أصلا، حيث يعد مخالفة قانون التناسل غير ممكن فيتشبث بتأويلات واهية. ولا شك أنه لا قانون دون شذوذ منه، ودون نوادر له، ودون أفراد خارجة عنه، وليست هناك قاعدة كلية لم تخصص بأفراد خارقة.

فأولا: إنّ هذا القانون، قانون التناسل قد خُرق باعتبار المبدأ، بمبادئ مائتي نوع من أنواع الحيوانات وختم بها، أي إنّ آباء تلك الحيوانات الأولين، وهم بمثابة أوادم لها، قد خرقوا قانون التناسل، أي أنّ مائتي ألف أب من أولئك الآباء لم يأتوا إلى الوجود من أب وأم، بل أعطي لهم وجود خارج ذلك القانون.

وإنّنا نشاهد بأبصارنا في كل ربيع، أن القسم الأعظم من مائتي نوع من الكائنات الحية ومما لا يعد ولا يحصى من أفرادها، تخلق خارج ذلك القانون، قانون التناسل، تخلق على وجوه الأوراق وعلى المواد المتعفنة ترى أنَّ قانونا يخرق بشواذ بهذه الكثرة، في مبدئه، بل في كل سنة، ثم يأتي أحدهم ولا يتمكن عقله لاتساع شذوذ فرد واحد لذلك القانون خلال ألف وتسعمائة سنة، فيتشبث بتأويلات تافهة تجاه النصوص القرآنية القاطعة. . أقول ترى كم يكون مرتكبا حماقة وبلاهة (!) قس بنفسك[1].

علما أنَّ الأشياء التي يطلق عليها أولئك الشُّقاة اسم (القوانين الطبيعية) إنّمَا هي قوانين هي تجل كلي للأمر الإلهي والإرادة الإلهية، بحيث يغير ـ سبحانه تعالى ـ عاداته تلك لبعض الحكم مظهرا هيمنة إرادته واختياره على كل شيء وعلى كل قانون، فيخرق العادة في بعض الأفراد الخارقين وقوله تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ﴾ يبين هذه الحقيقة[2].

فهذا النص ـ وإن كان في سياق مناقشة قضية جزئية يبين نظرته إلى المعجزة وكونها غير مناقضة للعقل بناء على:

---

(1) د. سعيد رمضان البوطي، كبرى اليقينيات الكونية، ص 221 ـ 228.

(2) النورسي، اللمعات، ص 99.

1 ـ إنَّ العقل والحس يثبتان أن ما من قانون إلا وله شواذ وما من قاعدة كلية إلا وتخصص بعض الأفراد الخارقين.

2 ـ إنّ (قوانين الطبيعة) ما هي إلا (العادة) التي أجراها الله تعالى في الوجود إظهارا لكمال مشيئته وإرادته، ويقول النّورسي: «إنَّ القدير العليم والصانع الحكيم، يظهر قدرته وحكمته، وعدم تدخل المصادفة في أي فعل من أفعاله قطعا، بالنظام والتناسق الذي تظهره عاداته التي هي على صورة القوانين الكوني.. وكذا يظهر ـ سبحانه ـ بشواذ القوانين الكونية وبخوارق عاداته بالتغيرات الظاهرية، وباختلاف الشخصيات، وبتبدل زمان الزوال والظهور.. يظهر مشيئته وإرادته وأنه الفاعل المختار، وأن اختياره لا يرضخ لأي قيد كان، ممزقا ستار الرتابة والاطراد فيعلم أن كل شيء، في كل آن، في كل شأن من شؤونه في كل ما يخصه ويعود إليه، محتاج إليه منقاد لربوبيته، وبهذا يشتت الغفلة ويصرف الأنظار، أنظار الجن والإنس من الأسباب إلى مسبِّب الأسباب[1].

ومما ناقشه مسألة الهدف من المعجزة، ومن ذكر القرآن لمعجزات الأنبياء السابقين.

فهو لم يقف عند القول بأنَّ المعجزة يؤتى بها للدلالة على صدق الرسول في ما يدّعيه من إخبار عن الله تعالى كما يذهب إلى ذلك كل من كتب في الموضوع، فيغدو بهذا الحديث عن المعجزات التي ذكرها

---

(1) عبد الوهاب بو خلخال، مباحث النبوة وعلاقتها بالإنسان من خلال رسائل النور، ص 129 ـ 131.

القرآن بالنسبة للأنبياء السابقين، حديثا تاريخيا يسجل ما طواه الزمن من حوادث ولا أثر لها في واقع الإنسان المخاطب بالقرآن ولا في مستقبله. وإنما ـ وسعيا منه ـ لربط مباحث العقيدة بالواقع، أعطى لدلالة المعجزة بعدا آخر فجعل منها إشارة لما يمكن ـ بل لما يجب ـ أن يصل إليه العقل البشري من كشف لسنن الله تعالى في الأنفس والآفاق.

فهو لا يرى المعجزة خرقا للعادة فحسب بل هدفاً وغاية لما يجب أن يصل إليه الإنسان في الجانب المادي، فهي بهذا لا تعطل الحاضر ـ حاضر النبي ـ وليست حديثاً عن الماضي بالنسبة للمخاطب بالقرآن وإنّما هي استشراف للمستقبل.

فالقرآن القرآن الكريم بإيراده معجزات الأنبياء إنّما يخط الحدود النهائية لأقصى ما يمكن أن يصل إليه الإنسان في مجال العلوم والصناعات، ويشير إلى أبعد غاياتها، وغاية ما يمكن أن تحقق البشرية من أهداف، فهو بهذا يعيِّن أبعد الأهداف النهائية لها ويحددها، ومن بعد ذلك يحثّ البشرية ويحضّها على بلوغ تلك الغاية ويسوقها إليها؛ إذ كما أن الماضي مستودع بذور المستقبل ومرآة تعكس شؤونه، فالمستقبل حصيلة بذور الماضي. ومرآة آماله»[1](*).

---

(1) النورسي، الكلمات، ص 221.

(*) ويقدم نماذج على سبيل التمثيل، وفيما يلي ملخص لبعضها:

ـ قوله تعالى: ﴿وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ﴾ [سبأ آية: 12] هذه الآية الكريمة تبين معجزة من معجزات سيدنا سليمان(عليه السلام) وهي تسخيرالريح له، أي أنه قد قطع في ما يقطع في شهرين في يوم واحد. فالآية تشير إلى أن الطريق مفتوح أمام البشر لقطع مثل هذه المسافة في الهواء، فيا أيها الإنسان حاول أن تبلغ هذه المرتبة واسع للدنو من هذه المنزلة مادام الطريق ممهدا أمامك. فكأن الله (سبحانه وتعالى)=

. . . .

= يقول في معنى الآية الكريمة « إنّ عبداً من عبادي ترك هوى نفسه فحملته فوق مُتون الهواء، وأنت أيها الإنسان إن نبذ ت كسل النفس وتركته واستفدت جيداً من قوانين سنتي ا لجارية في الكون يمكنك أيضاً أن تمتطي صهوة الهواء».

- قوله تعالى: ﴿فَقُلْنَا اضْرِب بِّعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا﴾ [البقره: آية: 60].

تُبين معجزة من معجزات سيدنا موسى(عليه السلام) وتُشير إلى إمكانية الاستفادة من خزائن الرحمة المد فونة تحت الأرض بآلات بسيطة، فهذه الآية تخاطب البشرية بهذا المعنى: يمكنكم أن تجدوا الماء الذي هو ألطف فيض من فيوضات الرحمة الإلهية بوساطة عصىً، فاسنعوا واعملوا بجد لتجدوه وتكشفوه، فأنت أيها الإنسان إن اعتمدت على قوانين رحمتي، يمكنك أيضا أن تخترع آلة شبيهة بتلك العصا أو نظيرة لها، فهيا اسعى لتجد تلك الآلة.

فأنت ترى كيف أن هذه الآية سباقة لإيجاد الآلة التي بها يتمكن من استخراج الماء في أغلب الأماكن، والتي هي إحدى وسائل رقي البشرية، بل إنّ الآية الكريمة قد وضعت الخط النهائي لحدود استخدام تلك الآلة ومنتهى الغاية منها، بمثل ما عينت الآية الأولى أبعد النقاط النهائية وأقصى ما يمكن أن تبلغ إليه الطائرة الحاضرة.

- قوله تعالى: ﴿وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ﴾ [سبأ: 10]، وقوله تعالى: ﴿وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطَابِ﴾ [ص: آية 20].

هاتان الآيتان تخصان معجزة سيدنا داود (عليه السلام) والآية الكريمة ﴿وأسلنا له عين القطر﴾ تخص معجزة سيدنا سليمان (عليه السلام)، فهذه الآيات تُشير إلى:

إنَّ تليين الحديد نعمة إلهية عظمى، إذ يُبين الله به فضل نبي عظيم في تليين الحديد وجعله كالعجين وإذابة النحاس وإيجاد المعادن وكشفها هو أصل جميع الصناعات البشرية وأساسها، وهو أم التقدم الحضاري من هذا الجانب ومعدنه. فكأن الله تعالى يُخاطب الناس من خلال هذه الآيا ت: إنه مثلما ألان الحديد وأذاب النحاس لعبد من عباده، فأنتم إن أطعتم أوامري التكوينية توهب لكم أيضا تلك الحكمة والصنعة.

هكذا فإنّ بلوغ البشرية أقصى أمانيها في الصناعة وكسبها القدرة الفائقة في مجال القوة المادية، إذ هو بتليين الحديد وبإذابة النحا س ـ القطر ـ ، فهذه الآيات تستقطب أنظار البشرية عامة إلى هذه الحقيقة، وتلفت نظر السالفين وكسالى الحاضرين إليها، فتنبه أولئك الذين لا يقدرونها حق قدرها.

أنظر التفاصيل ومزيد من الأمثلة، الكلمات، الكلمة العشرين، ص280 ـ 296.

وانظر: عبد الوهاب بوخلخال، مصدر سابق، ص: 129 ـ 132).

المطلب الثاني

مُعجزات الرسول محمد بن عبد الله (ص)

كما اهتمّ **النّورسي** في بحث الإعجاز القرآني، أفاض **النورسي** كذلك في الحديث عن المعجزات النبوية، ويرجع هذا الاهتمام لاعتقاده بوجود علاقة قوية بين الإعجاز القرآني والمعجزات النبوية،

فإعجاز القرآن دليل على صدق نبوته (ص)، وصدق نبوته ـ وبُرهان المعجزات النبوية ـ دليل على أنّ القرآن الكريم من لدنه سبحانه وتعالى.

وهو عند التعامل مع المعجزة يركز **النورسي** على السياق الذي وردت فيه، باحثاً عن الخلفية الروحية للظواهر والأحداث، ومعتمداً في رصده للمعجزة على الأحاديث الصحيحة التي أخبرت بها أو تحدثت عنها، ويقول **النّورسي** في مقدمة الرسالة: «... إن الأحاديث الواردة فيها ـ المعجزة ـ فضلاً عن كونها صحيحة ومقبولة لدى أئمة الحديث، فهي تبيّن الأكثر ثبوتاً وقطعية من الروايات»[1].

ومع أنه اهتم بملاحظة السياق الذي ترد فيه المعجزة، إلا أنّه لم يجعل المعجزة هدفاً في حد ذاتها، ولم يهمل المعاناة والواقعية والأخذ بالأسباب الذي وُوجهت به تحديات عصر الرسالة، ولذلك نجده في حديثه عن هذه المعجزات يخصص قسماً من الرسالة[2] لتقديم الضوابط والإضاءات والمعايير الضرورية في التعامل مع «المعجزة»! وهذه

(1) النّورسي، الكلمات، ص 279.

(2) النّورسي، الكلمات، ص 279.

الضوابط على درجة كبيرة من الأهمية؛ لأنها تُزيل كثيراً من اللبس، وتردّ على الشبهات والظنون.

لذلك اعتمد النورسي أسلوباً نقدياً انتقائياً وِفق الضوابط والمعايير المعتمدة لكي لا يبقى أمام القارئ إلا ما هو مقبول وفق تلك الضوابط والمعايير، فالمعجزة ـ كما يراها ـ في حدّ ذاتها تصديق من رب العالمين لدعوى رسوله الكريم، أي كأن المعجزة تقوم مقام قول الله سبحانه: «صدق عبدي فأطيعوه»[1].

كما أكد أنّ دلائل النبوة لا تنحصر في المعجزات، لذلك صنَّف الأدلة إلى قسمين:

أولهما: الحالات التي سُميت بالإرهاصات، وهي الحوادث الخارقة التي وقعت قبل النبوة ووقت الولادة.

وثانيهما: دلائل النبوة الأخرى التي تنقسم بدورها إلى قسمين:

1 ـ الخوارق التي ظهرت بعده، تصديقاً لنبوته.

2 ـ الخوارق التي ظهرت في فترة حياته عليه السلام وهذه أيضاً تنقسم إلى قسمين:

أ ـ ما ظهر من دلائل النبوة في شخصه وسيرته وصورته وأخلاقه وكمال عقله.

ب ـ ما ظهر منها في أمور خارجة عن ذاته الشريفة، أي في الآفاق والكون، وهذا أيضاً قسمان:

---

(1) النّورسي، المكتوبات، ص 112.

قسم معنوي قرآني، وقسم مادي كوني، وهذا الأخير قسمان أيضاً:

أولهما: المعجزات التي ظهرت خلال فترة الدعوة النبوية، وهي إما لكسر عناد الكفار، أو لتقوية إيمان المؤمنين.

وثانيهما: الحوادث التي أخبر عنها (ص) قبل وقوعها، بما علّمه الله سبحانه وظهرت تلك الحوادث وتحققت كما أخبرعنها[1].

ويرى النورسي أنَّه إذا كانت جميع أحوال الرسول (ص)، وأطواره دليلاً على صدقه وشاهداً على نبوته، فهذا لا يعني أن تكون جميع أحواله وأفعاله خارقة للعادة، ذلك لأن الله تعالى قد أرسله بشراً رسولا، ليكون بأعماله وحركاته كلها إماماً ومرشداً للبشر كافة، في كافة أحوالهم... فلو كان في جميع أفعاله خارقاً للعادة، خارجاً عن طور البشر لما تسنّى أن يكون أسوة يقتدى به، لذلك لم يكن يلجأ إلى إظهار المعجزات إلا بين حين وآخر وعند الحاجة، تحدياً للكفار المعاندين. ولما كان الابتلاء والاختبار من مقتضيات التكليف الإلهي، فلم تعد المعجزة مرغِمة على التصديق ـ أراد الإنسان أم لم يرد ـ لأنّ سر الامتحان وحكمة التكليف يقتضيان معاً فتح مجال الاختبار أمام العقل من دون سلب الإرادة منه[2].

ويُضيف النورسي مُبيناً بعض الأسس لفهم موضوع المعجزات النبوية، فيشير إلى أنّ الآثار المنقولة إن كانت متواترة فهي قطعية الثبوت وتُفيد اليقين. وهذا التواتر يأتي بصيغتين:

(1) النّورسي، المكتوبات، ص 113 ـ 124.

(2) النّورسي، المكتوبات، ص 114.

أولاهما: التواتر الصريح أو اللفظي.

ثانيهما: التواتر المعنوي، وهو قسمان:

1 ـ سُكوتي، أي: إبداء الرِّضا بالسكوت عنه.

2 ـ معنوي: وهو اتفاقهم على القدر المشترك بين أخبارهم، وإن كانت الروايات متنوعة.

وهكذا فالقسم الأعظم مما نُقل إلينا من دلائل النبوة ومعجزات الرسول (ص) هو بالتواتر الصحيح أو المعنوي أو السكوتي، وقسم منها بخبر الآحاد، إلا أنه وضمن شروط معينة ممحِّصة، أُخذ وقُبِل من قبل أئمة الجرح والتعديل من أهل الحديث النبوي فأصبحت دلالته قطعية كالتواتر. ولاشك أنّه إذا ما قُبل بصحة خبر الآحاد محدثون مُحققون من أصحاب الصحاح الستة وفي مقدمتهم البخاري ومسلم، فلا ريب إذن في قطعيته[1].

ويُشير النّورسي إلى أساس مُهم في التعامل مع الأفعال المعجزة للرسول (ص) وهو أنّ أحواله وأوصافه (ص)، الواردة في كتب السيرة والتاريخ تقدم صورة عن الجانب البشري من شخصيته، بينما الشخصية النبوية أرفع من ذلك بكثير، ومن ثمّ، فكي لا يقع أحد في الخطأ، يلزمه وهو يسمع أوصافه (ص) البشرية الاعتيادية «أن يرفع بصره دوماً عالياً لينظر إلى ماهيته الحقيقة، وإلى شخصيته المعنوية الشامخة في قمة مرتبة الرسالة، وإلا أساء الأدب الرفيع ووقع في الشبهة والوهم»[2].

---

(1) النّورسي، المكتوبات، ص 116، 117.

(2) النّورسي، المكتوبات، ص 118.

المُعجزات الدالة على صدق نبوة محمد بن عبدالله (ص)

يقول النّورسي يصف ويُمجد الذات النبوية: نصلي ونُسلم على ذلك الذات النوراني الهادي، ذي المعجزات بصلوات وسلام يشير إلى قسم من معجزاته، على من أنزل عليه القرآن الحكيم من الرحمن الرحيم من العرش العظيم.. على سيدنا محمد ألف ألف صلاة وسلام بعدد حسنات أمته. على من بشّر برسالته التوراة والإنجيل والزبور والزبر.. وبشّر بنبوته الإرهاصات وهواتف الجن وكواهن البشر، وانشق بإشارته القمر.. سيدنا محمد ألف ألف صلاة وسلام بعدد حسنات أمته. على من لبّى دعوته الشجر، ونزل سريعاً بدعائه المطر، وأظلته الغمامة من الحر، وشبع من صاع من طعامه مئات من البشر، ونبع الماء بين أصابعه كالكوثر، وأنطق الله له الضبع والظبي والذئب والجذع والذراع والجمل والجبل والحجر والمدر والشجر... صاحب المعراج وما زاغ البصر[1].

في هذا النص نجد النّورسي يُوسع من مفهوم (المعجزة) ليدخل في نطاقها كل ما دلَّ على نبوة الرسول (ص) من خوارق العادات، ولو كان ذلك قبل البعثة، فهو هنا لا يفرق - كما فعل في (الكلمة الحادية والثلاثين) بين (الإرهاص)[2]. و(المعجزة) و (بشارة الأنبياء من قبل)[3].

ويُمكن تلخيص هذه الدلائل (المعجزات) كما يلي:

---

(1) عماد الدين خليل، بديع الزمان، المكتوبات، ص 12.

(2) المصدر نفسه، ص 123.

(3) النّورسي، الكلمات، ص 262، 263.

أولاً: القرآن الكريم

جعل القرآن الكريم من أعظم الأدلة على وجود الله تعالى وهو هنا يعتبره من أعظم المعجزات الدالة على صدق الرسول (ص)[*].

وقد فصل النّورسي على امتداد (الكلمة الخامسة والعشرين) هذه الوجوه الخمسة، دون أن ينسى ربط مسألة الإعجاز بدلالة القرآن على صدق الرسول (ص)، ومن ثمّة إثبات وجود الله تعالى.

ويبدأ بتنبيه القارئ إلى أنَّ ما نجده في القرآن الكريم من السلاسة الرائقة والسلامة الفائقة والتساند المتين والتناسب الرصين والتعاون القوي بين الجمل وهيآتها والتجاوب الرفيع بين الآيات ومقاصدها.. كل هذا ليس من قبيل البلاغة الداخلة تحت قدرة البشر؛ لأن الظروف والملابسات التي نزل فيها القرآن ما كانت لتساعد على إخراجه بهذا السبك البديع لو أنه من صنع بشر محدود القدرات والمدارك.

يرى النّورسي أنَّ ثمة سبعة أمور ـ على الأقل ـ كانت تحول دون أن يخرج القرآن على ما هو عليه الآن، لو أنّه من وَضْع الرسول(ص)، وهذه الحوائل هي:

إنَّ القرآن المُبين نزل في ثلاث وعشرين سنة مُنجَّماً حسب الحاجة،

(*) عدّد النّورسي وجوه الإعجاز في (الكلمة الخامسة والعشرين) رسالة المعجزات القرآنية، حيث لخص فيها ما فصله في رسائل أخرى، يقول في مقدمتها: لقد أشرنا إلى نحو أربعين وجهاً من وجوه إعجاز لا تُحد للقرآن الحكيم الذي هو منبع المعجزات، والمعجزة الكبرى للرسول الكريم (ص)، ذلك في رسائلي العربية وفي رسائل النور العربية، وفي تفسيري المُوسم) بـ(إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز وفي الكلمات الأربع والعشرين.. وفي هذه الرسالة نشير إلى خمسة من تلك الوجوه ونبينها بشيء من التفصيل وندرج فيها سائر الوجوه. مُجملة. الكلمات، ص 421.

نزولاً متفرقاً متقطعاً، مع أنه يُظهر من التلاؤم الكامل كأنه نزل دفعة واحدة.

إنَّ القرآن المُبين مع أنه نزل في ثلاث وعشرين سنة لأسباب نزول مختلفة متباينة، إلا أنّه يُظهر من التساند التام كأنه نزل لسبب واحد.

إنَّ القرآن جاء جواباً لأسئلة مُكررة ومتفاوتة، مع أنه يظهر من الامتزاج التام والاتحاد الكامل كأنه جواب على سؤال واحد.

إنَّ القرآن جاء بياناً لأحكام حوادث متفاوتة مع أنّه يُبين من الانتظام الكامل كأنه بيان لحادثة واحدة.

إنَّ القرآن نزل مُتضمناً لتنزلات كلامية إلهية بأساليب تُناسب أفهام مختلفة وحالات تلقي متنوعة، ومع ذلك ففيه من السلاسة اللطيفة والتماثل الجميل، كأن الحالة واحدة والفهم واحد، حتى تجري تلك السلاسة كالماء السلسبيل.

إنَّ القرآن جاء مُكلِّماً ومتوجهاً إلى أصناف مُتعددة متباعدة من المخاطبين، مع أنه يظهر من سهولة البيان وجزالة النظام ووضوح الإفهام كأن المخاطبين صنف واحد بحيث يظن كل صنف أنه المخاطب وحده بالأصالة.

إنَّ القرآن نزل هاديا مُوصلاً إلى غايات إرشادية متدرجة متفاوتة، مع أنه يكشف من الاستقامة الكاملة والموازنة الدقيقة والانتظام الجميل كأنَّ المقصد واحد[1].

---

(1) النّورسي، الكلمات، مرجع سابق، ص481، 482. يعدِّد في الكلمة الحادية و الثلاثين، هذه الدلائل: 1 ـ بشارات الأنبياء 2 ـ بشارات الكهان 3 ـ الإرهاصات 4 ـ المعجزات. =

ويعتقد النّورسي أنَّ بيان وجوه الإعجاز كاملة يحتاج إلى بضعة مجلدات، لذا فهو يكتفي بالإشارات وهي تغني من كان ذا قلب غير سقيم وعقل مستقيم ووجدان غير مريض وذوق سليم، في الدلالة على كون القرآن الكريم هو أعظم معجزة دالة على نبوة محمد (ص) وصدّقه فيما أخبر به من حقائق الإيمان.

فالمتأمل المُنصف لا بد وأن يُسلم بأنَّ هذا القرآن ذو المعجزات الكثيرة «قد شهد في صورة الإثبات بالدلائل، على وجوب وجود واجب وجود واحد أحد، وعلى وحدته وصفاته وأسمائه، بإجماع سوره وباتفاق آياته، وبتوافق أسراره وأنواره، وبتطابق ثمراته وآثاره، فترشّحت ما لا حدّ لها من شهادات جميع أهل الإيمان من شهادته»[1].

فالقرآن عند النّورسي يثبت بإعجازه نبوة الرسول(ص) فيكون بذلك مُثبتاً لوجود الله تعالى ووحدانيته إذ هي أعظم حقيقة أخبربها هذا الرسول، وهو بإعجازه يثبت أيضاً وجود الله تعالى ووحدانيته فيكون بذلك مُثبتاً لنبوة الرسول(ص)[2].

ثانياً: المُعجزات الأخرى

ويجمع النّورسي فيها بين المعجزة والإرهاص، ويذكر منها الأمثلة التالية:

= الإرهاص: هو ما ظهر من الخوارق عن النبي (ص) قبل ظهوره كالنور الذي كان في جبين آباء نبينا (ص)، وإحداث أمر خارق للعادة دل على بعثه نبي قبل بعثته و ما صدر عن النبي (ص) قبل النبوة من أمر خارق للعادة، قيل انها من قبيل الكرامات، فإن الأنبياء لا يقصرون عن درجة الاولياء.

(1) المصدر نفسه، ص684.

(2) المصدر نفسه، ص 482.

- بشارات التوراة والإنجيل والزبور والزبر[1].

- ما حدث ليلة مولده صلى الله عليه وآله وسلم من سقوط الأصنام في الكعبة، وانشقاق ديوان كسرى، وأمثالها من مئات الارهاصات والخوارق المشهودة في كتب التاريخ[2].

- بشارات الكُهان وهواتف الجن[3]

- انشقاق القمر[4].

- نُزول المطر بدعائه[5]

- تكثير الطعام[6]

- أُنْطِق له الجذع[7] والشّجر[8]

- أُنطِق له الحجر[9]

---

(1) مجموعة عصا موسى، ص 154 ـ 155.

(2) اللمعات، مرجع سابق، ص 553 ـ 556.

(3) عبد الرحمن حبنكة الميداني: العقيدة الاسلامية وأُسسها، ص 328 ـ 337.

(4) وهي ثابتة بقوله تعالى: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ﴾ [سورة القمر: الآية 1]، وأنظر أيضاً: صحيح البخاري، ج4 الصفحات. 243 ـ 244.

(5) صحيح البخاري: ج4،ص 171.

(6) صحيح مسلم، مكتبة ومطبعة المشهد الحسيني، القاهرة، ج 7 ص .60 وفيه حديث آخر لجابر، ج7 ص 59 ـ 60 ـ 61.

(7) البخاري (4/ 240).

(8) حديث الجذع، البخاري (4 ـ 174).

(9) صحيح مسلم: 7/ 58 ـ 59.

ولعله يشير إلى ما أخرجه مسلم عن جابر بن سمرة قال: قال (ص) «إني لأعرف حجراً بمكة كان يُسلم علي قبل أن أبعث، . . . . . لأعرفه الآن . .

- نبعان الماء من بين أصابعه الشريفة وسقيه الجيش منه[1]
- تكليم الذراع المسمومة له[2]
- تكليم الجبل والضب والظبي والجمل[3].
- المعراج[4].

هذه بعض الأمثلة التي يسوقها لبيان بعض معجزات النبي(ص) عدا القرآن الكريم. ونُشير هنا إلى أنَّ النّورسي عند حديثه عن مسألة المعجزات أكد على أمرين:

الأول: أنَّ عددها كثير جداً، وإنما اكتفى في رسائله بالإشارة إلى بعض منها على سبيل التمثيل لا الحصر. يقول في الكلمة التاسعة عشرة: «إعلم أن دلائل النبوة الأحمدية لا تُعد ولا تُحد ولقد صنف في بيانها أعاظم المحققين»[5]، ويكرر الملاحظة نفسها في (اكلمة الحادية والثلاثين) بعد أن يُعطي أمثلة عن المعجزات فيقول: «. . . وأمثالها من المعجزات الثابتة لدى العلماء. المحققين والتي تبلغ الألف قد أثبتتها كتب السير والتاريخ»[6].

---

(1) ذكره النّورسي في الكلمات: ص 689، والأحاديث المثبتة لهذه المعجزة ثابتة عند الشيخين، وفيه تكثير الماء وعن أنس أربعة أحاديث، وعند البخاري: عن عمران بن الحصين ج4 ص 59 ـ 170). وعند مسلم: عن أنس أربعة أحاديث ج7 ص 169 ـ 170، وعن البراء ج4 ص 15، وليس فيهما تكليم الذرا ع.

(2) عن حديث ابن عباس ومثله عند أبي داود/ 109، أنظر محمد الغزالي، فقه السيرة، ص376.

(3) البخاري (7/ 241، 242)، وعند أحمد (2785/ 79)، والبخاري (4 ـ 99/ 250).

(4) استند إلى قوله تعالى ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الإسراء: 1].

(5) النّورسي، الكلمات، مصدر سابق، ص 689.

(6) النّورسي، الكلمات، مصدر سابق (الكلمة 31).

الثاني: المعجزات المادية في حياته(ص) لها دور مُحدَّد بالنظر لطبيعة الرسالة المحمدية ووظيفتها، فالرسول(ص) جاء للناس أجمعين وكُلف بهدايتهم إلى المناهج القويمة في حياتهم الفردية والاجتماعية على السواء، وهذان العاملان (عموم الرسالة وشمول الهداية(يجعلان من غالب أحواله(ص) السير وفق السنن الكونية والاجتماعية، فتكون المعجزة باعتبارها خرقاً لهذه السنن استثناء يُؤتى بها في حالات خاصة محددة لإرغام المعاندين والمكذبين.

ويقول النورسي مُجيباً عن سؤال: كيف يُغلب الرسول(ص) في بعض الغزوات (كأحد وحنين) على الرغم من كونه رسولاً مؤيداً من قبل الله تعالى بالمعجزات؟

الجواب: إنَّ الرسول صلى الله عليه وآله وسلم قد أُرسل إلى البشرية كافة، قدوة وإماماً ورائداً كي تتعلم منه مناهج الحياة الاجتماعية والشخصية ودساتيرها، وتتعود على الانقياد لقوانين الإرادة الإلهية الحكيمة وتنسجم مع دساتيرها الربانية.

فلو كان الرسول(ص) مستنداً إلى المعجزات وخوارق العادات في جميع أفعاله الشخصية منها والاجتماعية لما تسنّى له أن يكون إماماً مطلقاً ولا قدوة كاملة حسنة للبشرية قاطبة. ولهذا السبب لم يظهر(ص) المعجزات إلا تصديقاً لدعواه بشكل متفرق عند الحاجة لكسر عناد المنكرين[1].

وفي سائر الأوقات فقد كان(ص) مُراعياً بكل دقة لقوانين الله ولسُننه

---

(1) اللمعات، مصدر سابق، ص125.

الجارية، ومطيعا طاعة كاملة لنواميسه المؤسسة على الحكمة الربانية والمشيئة الإلهية، كطاعته ومراعاته للأوأمر الإلهية، لذا كان(ص)، يلبس الدرع في الحروب ويأمر الجند بالترس بالموانع ضد الأعداء، ويجرح ويتأذى ويتحمل المشقات.. كل ذلك لكي يُبين مدى طاعته الكاملة ومراعاته. للقوانين الإلهية الحكيمة وانقياده التام لشريعة الفطرة الكونية ونواميسها.

المعراج النبوي:

في الكلمة الحادية والثلاثين[1] يُعالج النّورسي موضوع المعراج النبوي، ويُوليه اهتماماً خاصاً لكونه يترتب على أصول الإيمان وأركانه فهو نور يستمد ضوءه من أنوار الأركان الإيمانية[2].

وعليه فالنّورسي لا يجد داعياً إلى إقناع مُنكري الإيمان أصلاً بثبوت المعراج، وإنّما يرى أنّ الخطاب ينبغي أن يوجه إلى المؤمن الذي ساورته الشكوك فاستبعد المعراج، لكن هذا لا يمنع ذلك المُنكر من أن يجد ما يفيده عرضاً.

لذلك يُقسم بحثه إلى أربعة أقسام، يعالج في كل منها جانباً من الموضوع:

- يعلل في الأول سر لزوم المعراج وحكمة ضرورته.
- ويتحدث في الثاني عن حقيقة المعراج.

---

(1) أنظر: سورة النجم: الآية 7 ـ الآية 17. وأيضاً: البخاري ج4 ص 109.

(2) النّورسي، الكلمات: ص 63.

ـ ويقدم في الثالث الجواب عن حكمته.

ـ أما في الرابع فيُعدد ثمراته وفوائده[1].

وفي كل جانب يستخدم قدرته على المقارنة والتحليل والاستنتاج، ويكثر من سرد الأمثلة التي تقرب الحقائق البعيدة وتصورها لقرائه وسامعيه، كما أنه يتفنن في إثارة الأسئلة والاعتراضات، ويجيب عنها واحدة واحدة، معتمداً، أحياناً، صيغة الحوار كي يكون انتباه السامع أكبر في إدراكه للحقائق.

الإخبار بالغيب:

الرسالة السابعة من «اللمعات» خصَّصها للحديث عن سبعة أنواع من إخبار الآيات الكريمة بالغيب. وقد جاءت هذه الآيات في سياق الحديث عن رُؤيا رسول الله (ص) بدخول المسجد الحرام، وتصديق الله سبحانه لها بالحق، وعن ظهور الإسلام على الدين كله، وعن صفات رسول الله (ص) وأصحابه (رض).

ويُوضح في هذه الرسالة الموجزة وجوهاً إعجازية عديدة:

وهي الرؤيا التي تخبر إخباراً قاطعاً بفتح مكة قبل وقوعه بسنتين، وارتباطه بُصلح الحديبية الذي وإن بدا أنه ليس في صالح المسلمين وأنَّ لقريش ظهوراً عليهم إلى حدٍّ ما، فقد كان فتحاً معنوياً مبيناً ومفتاحاً لبقية الفتوحات، كما كان دخول البيت الحرام والطواف حول الكعبة بأمان تام دون خوف على الرغم من أن مُعظم قبائل الجزيرة العربية حول مكة،

(1) المصدر نفسه، ص 689، .

وغالبية قريش أعداء للمسلمين، وهو إخبار ينطوي أيضاً على حقيقة أنَّ الجزيرة ستدين للمسلمين بالطاعة وستعتنق قريش الإسلام، ويعم الأمن والأمان ويتم ظهور الإسلام على الأديان كلها، علماً أنَّ أديان النصرانية واليهودية والمجوسية التي يعتنقها مئات الملايين من الناس، كانت أدياناً رسمية لدول كبرى كالصين وإيران وروما، والرسول (ص) لم يظهر بعد ظهوراً تاماً على قبيلته نفسها.. والإشادة بأصحاب وحواريي الأنبياء وأنهم أفضل البشر بعد الأنبياء (ع)، وما ستتميز به طبقات الصحابة في المستقبل من صفات خاصة بهم، والإخبار عن أوصاف الصحابة الواردة في التوراة والإنجيل، وهي في حكم الغيب بالنسبة للرسول (ص).

أحاديث الساعة وثواب الأعمال:

يُقدِّم النورسي مجموعة من الأصول والقواعد العامة للاستهداء بهذه الأحاديث دون الرجوع إلى منهج المحدثين وعلومهم وأدواتهم(*)، فهو يلجأ إلى أسلوبه في التدليل والمقارنة والاستنتاج معتمداً على الشاهد العقلي حيناً والشاهد الحسِّي حيناً آخر، والشاهد الوجداني أو الروحي حيناً ثالثاً[1].

في الأصل الأول يوضح أنَّ الدين امتحان يُميز بين الأرواح العالية والسافلة، لذا فهو يبحث في الحوادث المستقبلية بصيغة ليست مبهمة إلى حد استعصاء فهمها، وليست واضحة وضوحاً بدهياً يدعو إلى

(*) وذلك بسبب الغموض الذي يكتنف فهم الأحاديث التي تبحث في «علامات الساعة وأحداثها»، وفي «فضائل الأعمال وثوابها» والتي ضعفها عدد من أهل العلم وأنكرها آخرون.

(1) المصدر السابق، ص 666.

التصديق حتماً، وإنّما يعرضها عرضاً منفتحاً على العقول، لا يعجزها ولا يسلب منها القدرة على الاختيار. فلو ظهرت علامة من علامات الساعة ظهوراً واضحاً واضطر الناس للتصديق لتساوت عندئذ الاستعدادات الفطرية، ولضاع سر التكليف، ولهذا السبب ظهرت اختلافات كثيرة في مثل هذه المسائل (كمسألة المهدي المنتظر..)، وصدرت أحكام متضاربة نتيجة للاختلاف في الروايات[1].

ثم ينتقل للأصل الثاني، وفحواه أنَّ المسائل تختلف في طبقاتها ومراتبها فلا تحتاج كلها إلى برهان قطعي كما في مسائل العقائد، إذ يكتفي في بعضها بغلبة الظن، وفي أخرى بمجرد التسليم والقبول. لهذا لا يُطالب ببرهان قطعي وإذعان يقيني في كل مسألة من مسائل الفروع التي ليست من أسس الإيمان، وإنما يكتفي بالتسليم وعدم الرفض[2].

ويُضيف في أصل آخر أنه كما توجد في القرآن الكريم آيات متشابهات تحتاج إلى تأويل أو تطلب التسليم المطلق، كذلك في الحديث الشريف مشكلات تحتاج أحياناً إلى تفسير وتعبير دقيقين[3].

ويُوضح السبب في ظهور اختلاف حول بعض الحقائق، قائلا: «إنَّ نظر النبوة والتوحيد والإيمان يرى الحقائق في نور الألوهية والآخرة ووحدة الكون، لأنّه متوجه إليها، أما العِلم التجريبي والفلسفة الحديثة

---

(1) النّورسي، الكلمات، ص 671 ـ 684.
(2) النّورسي، الكلمات ، ص 40 ـ 49.
(3) النّورسي، اللمعات، ص 41.

فإنهما يريان الأمور من زاوية الأسباب المادية والطبيعية، لأنهما متوجهان إليها، فالمسافة ـ إذن ـ بين زاويتي النظر بعيدة جداً»[1]، وهذا ما يؤدي إلى ظهور حقيقتين مختلفتين مع أنهما قد تكونان حقيقة واحدة. ويؤكد النّورسي عدم تعارض الحقيقة العلمية القطعية مع حقيقة النص القرآني المقدس، فيدُ العلم التجريبي قاصرة عن بلوغ طرف من حقائق القرآن الرفيعة[2].

وبهذه الأصول والقواعد يكون النّورسي قد حدّد منهجاً دقيقاً للتعامل مع قسم من الأحاديث الشريفة الذي ضعفه عدد من أهل العلم وأنكره آخرون. ولعل هذا ما يفسر استشهاده ببعض الأحاديث الضعيفة ـ عند علماء الحديث ـ في تفسيره وكتاباته.

الولاية والكرامة:

لا بد من وقفة مع مفهومين كَثُر ذكرهما في كتابات النّورسي مع (النبوة) و(المعجزة)، وهما (الولاية) و(الكرامة). حيث حرص على بيان الحد الفاصل بين النبوة والمعجزة، من جهة وبين الولاية والكرامة من جهة أخرى، شأنه في ذلك شأن مُعتدلي الصوفية[3].

فيقرر الأمور التالية:

إنّ رُتبة النبوة أسمى وأرفع بكثير من درجة الولاية[4]، فالنبي

---

(1) حسين بكير، مصدر سابق، ص 132.

(2) عماد الدين خليل، مصدر سابق، ص 5.

(3) المصدر نفسه، ص 5 ـ 6.

(4) المصدر نفسه، ص 6.

صاحب وحي والولي صاحب إلهام، وأعظم ولي من الأولياء لا يبلغ أي نبي كان من الأنبياء[1].

إنّ قُرب النبوة والرسالة من الله تعالى يختلف عن قرب الولاية، فالولي يحتاج إلى طي المراتب للوصول إلى مقام الولاية، بينما الرسول لا يحتاج إلى ذلك، «الولاية سُلوك في مراتب القرب إلى الله، وهي بحاجة إلى زمان وطي مراتب كثيرة، أما الرسالة التي هي أعظم نور فهي متوجهة إلى انكشاف الأقربية الإلهية، الذي تكفيه لحظة خاطفة.....»[2].

يُثبت النّورسي الكرامة إنطلاقاً من فكرة الإمكان كما فعل مع المعجزة، فيعدها أيضاً داخلة ضمن (الإمكان العُرفي)، ويعني بذلك أن بعض الكرامات التي ثبتت للأولياءعند التأمل نجدها من قبيل (المُمكن عُرفاً)، بخلاف معجزات الأنبياء التي تقتضي خرق العُرف والعادة.

والنّورسي يأخذ موقفاً وسطاً بين مُثبتي الكرامة ومُنكريها.

- فالذين أثبتوها قالوا بأنَّ الكرامة هي «أمر خارق للعادة يظهر على يد الولي»[3].
- والذين أنكروها برّروا إنكارهم لها بالحرص على عدم الخلط بينها وبين المعجزة.

وقد توسط النّورسي الرأيين:

(1) النّورسي، الكلمات، ص 400.
(2) النّورسي، الكلمات، ص، 401.
(3) النّورسي، الكلمات، ص 402.

- فأثبت الكرامة؛ ولكنه لم يَعدَّها خرقاً (كاملا) للعادة، بل وإن بدت في ظاهرها خرقاً للعادة فهي في دائرة (الإمكان العُرفي(، أي هي أمر ممكن عُرفاً وعادة وليست خرقاً لها كالمعجزة، يقول النورسي عن الكرامة: «إن لم تكن ضمن الإمكان العُرفي فإنها تكون معجزة ولا تكون كرامة بيسر»[1].

ومن هنا، لا مسوغ لإنكارها بحجة خوف الخلط بينها وبين (المعجزة)، لأنَّ المعجزة خرق (للإمكان العُرفي) أما الكرامة فهي في حدود الإمكان العُرفي.

وبهذا الموقف جعل النورسي العقل مقياساً ما دامت (المعجزة) و(الكرامة) كلاهما مشروطتان بعدم مخالفة (الإمكان العقلي)، فحافظ على) مبدأ معقولية الحقائق الإسلامية) وأغلق أبواب الخرافة التي فتحها المفهوم القديم للكرامة.

ولا ينسى النورسي وهو يتناول موضوع الكرامة أن يُنبه إلى أنَّ البحث عن ترسيخ الإيمان وزيادة آثاره في واقع الناس أولى من تتبع الأذواق والكرامات لأن «زيادة الإيمان الذي هو مفتاح السعادة الأبدية إنّما هو على جانب عظيم من الأهمية فزيادته ولو بمقدار ذرة كنز عظيم... إنَّ انكشاف مسألة صغيرة من مسائل الإيمان لهو أفضل في نظري من مئات من الأذواق. والكرامات»[2].

(1) النّورسي، المكتوبات ، المكتوب الأول 89.

(2) النّورسي، اللمعات، ص36.

الفصل الثاني

النّورسي والمقاصد

المبحث الأول

مفهوم المقاصد

المقاصد:

جمع مقصد، وهو ما تقصده وتريد الوصول إليه، فهو مقصود لك ولسعيك. ولذلك يُستعمل المقصِد والمقصود بمعنى واحد، ومقاصد الشريعة هي الغايات المُستهدفة والنتائج والفوائد المرجوّة من وضع الشريعة جملة، ومن وضع أحكامها تفصيلا[1].

والشيخ الطاهر بن عاشور يعرِّف المقاصد العامة للشريعة قائلا: «هي المعاني والحِكم الملحوظة للشارع في جميع أحوال التشريع أو معظمها، بحيث لا تختص ملاحظتها بالكون في نوع خاص من أحكام الشريعة فيدخل في هذا: أوصاف الشريعة وغاياتها العامة والمعاني التي لا يخلو التشريع عن ملاحظتها، ويدخل في هذا أيضا معانٍ من الحِكم ليست ملحوظة في سائر أنواع الأحكام ولكنها ملحوظة في أنواع كثيرة منها»[2].

---

(1) د. أحمد الريسوني، الفكر المقاصدي قواعده وفوائده، منشورات الزمن، ط 1999م.

(2) محمد الطاهر بن عاشور، مقاصد الشريعة الإسلامية، الشركة التونسية للتوزيع، الطبعة الثالثة 1988م، ص 51.

وعرفها الأستاذ علال الفاسي موضحاً موجزاً فقال: «المراد بمقاصد الشريعة الغاية منها والأسرار التي وضعها الشارع عند كل حُكم من أحكامها»[1] وفيه إشارة إلى المقاصد العامة والمقاصد الخاصة، وبناء على هذين التعريفين ومن خلال ما كتبه العلماء في موضوع المقاصد خلُص د. الريسوني إلى هذا التعريف:

«إنَّ مقاصد الشريعة: هي الغايات التي وُضعت الشريعة لأجل تحقيقها، لمصلحة العباد»[2] وقد اختار الخادمي تعريفاً للمقاصد نحته من التعريفات السابقة فجعل المقاصد هي: «المعاني الملحوظة في الأحكام الشرعية والمترتبة عليها، سواء كانت تلك المعاني أحكاماً جزئية أم مصالح كلية أم سمات إجمالية، وهي تتجمع ضمن هدف واحد هو تقرير عبودية اللّه ومصلحة الإنسان في الدارين»[3].

ويبدو أنّ الريسوني رجّح كلمة الغايات مسايراً في ذلك علال الفاسي، في حين رجّح الخادمي كلمة المعاني مسايراً في ذلك ابن عاشور، للدلالة على لفظ المقاصد وإن كانت الكلمتين متداخلتين متقاربتين فالأرجح تغليب كلمة الغاية على كلمة المعنى لكونها أعم و أشمل.

وعرَّف الزّحيلي علم المقاصد بأنه: علم يُعنَى بالغايات التي رعاها

---

(1) علال الفاسي، مقاصد الشريعة الإسلامية ومكارمها، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، الطبعة الرابعة، 1411 ـ 1991م، ص 3.

(2) أحمد الريسوني، نظرية المقاصد عند الإمام الشاطبي، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، دار الأمان، الرباط، الطبعة الأولى 1411 ـ 1991م ص 7.

(3) نور الدين بن مختار الخادمي، الاجتهاد المقاصدي: حُجيته، ضوابطه، مجالاته، كتاب الأمة، رقم 65 / 66، 1419هـ ـ ص52 ـ 53.

المُشرع في التشريع أو هي المعاني والأهداف الملحوظة للشارع في جميع أحكامه أو معظمها[1].

ومن خلال ما سبق يبدو أنّ المقاصد كغايات أو كمعاني صرّحت بها الشريعة ووضعتها لاعتبارها عند استنباط الأحكام وتحقيقاً لمصلحة العباد، هي فنّ شرعي مُعتبر يُراعي إنسانية الإنسان وتنزيل نصوص الشريعة على الواقع البشري.

والنّورسي الذي انشغل ببيان معاني ومقاصد القرآن العظيم يُمكن القول بأنّ المقاصد عنده هي: المعاني والغايات والحِكم الملحوظة للشارع، الدّالة على أسرار أحكامه المرعية لمصالح الخلق، المُتجلية في كل سورة من سور القرآن، بل في كل آية من آياته وكلمة من كلماته وحرف من حروفه.

والمقاصد الأساسية للقرآن الكريم في نظر النّورسي أربعة: وهي: التوحيد والرسالة والحشر والعدالة مع العبودية[2].

لكن مراتب مقاصد الدين مختلفة، فكما أنّ لكل من الألماس والذهب والفضة والرصاص والحديد قيمتها الخاصة، وخاصيتها الخاصة بها، وهذه الخواص تختلف، والقيم تتفاوت. كذلك مقاصد الدين تتفاوت من حيث القيمة والأدلة[3]. وأهم مراتب المقاصد اثنان: المقاصد العامة والمقاصد الخاصة التي تندرج تحتها تقسيمات أخرى.

---

(1) الجرجاني، التعريفات، ص 167.

(2) النّورسي، المثنوي العربي النوري، ص 75.

(3) النّورسي، صيقل الإسلام، محاكمات، ص 47.

والنّورسي عندما يتناول موضوع المقاصد بشكل مباشر، فهو يتحدث عن مقاصد ليست من قبيل المتداول بين علماء الشريعة و أصول الفقه، وإنما ينطلق من مقاصد الخالق من الخلق ويحدها في أربعة. دون إغفال المقاصد المعروفة في علم أصول الفقه، التي لا تكاد تخلو منها رسائل النور.

ويمكن استعراض هذه المقاصد على الشكل التالي:

الأول: المقاصد الكُبرى

وهي حسب النّورسي مقاصد القرآن الأساسية وعناصره الأصلية المنبثة في كل جهاته وهي أربعة: إثبات الصانع الواحد، والنبوة، والحشر الجسماني، والعدل[1].

ومن استقرائه للقرآن وجد أنَّ هذه المقاصد لا تخلو منها سورة، ومن السّور ما يُعالج مقاصد إضافية، غير أنّ هذه أكبرها جميعاً، فأغلب السّور المُطولة والمتوسطة ـ التي كل منها كأنها قرآن على حدة ـ لا تكتفي بمقصدين أو ثلاثة من مقاصد القرآن الأربعة ـ أي التوحيد، النبوة، الحشر، العدل مع العبودية ـ بل كل منها يتضمن ماهية القرآن كلها والمقاصد الأربعة معاً، أي كل منها كتاب ذكر وإيمان وفكر، كما أنه كتاب شريعة وحكمة وهداية. فكل سورة من تلك السُوَر تتضمن كُتباً عدة، وترشد إلى دروس مُختلفة متنوعة. فتجد أنَّ كل مقام يفتح أمام الإنسان أبواباً للإيمان يُحقق بها إقرار مقاصد أخرى حيث إنَّ

---

(1) محمد الطاهر الميساوي، مقاصد الشريعة، الأردن، دار النفائس، ط2 ـ 2001م، ص251.

القرآن يذكر ما هو مسطور في كتاب الكون الكبير ويُبينه بوضوح، فيرسخ في أعماق المؤمن إحاطة ربوبيته سبحانه بكل شيء، ويُريه تجلياتها المهيبة في الآفاق والأنفس. لذا فإنَّ ما يبدو من مُناسبة ضعيفة، يُبنى عليها مقاصد كلية فتتلاحق مناسبات وثيقة وعلاقات قوية بتلك المناسبة الضعيفة ظاهراً، فيكون الأسلوب مطابقاً تماماً لمقتضى ذلك المقام...[1].

وكما هو ملاحظ فإنّ مقصد العدل أقرب المقاصد الأربعة إلى المجال الذي يبحثه علماء الشريعة في حديثهم عن علم المقاصد.

الثاني: المقاصد القريبة

وتتجلّى في التناول الأقرب إلى علم المقاصد عند علماء الشريعة، وهو ما يُمكن تلمسه في «...المقاصد الخادمة لمصلحة الإنسان عموما وفي هذه الحياة الدنيا خصوصا»[2].

وهي مقاصد وفَّرت على الإنسان عناء البحث عن سبل السعادة في الفلسفات الأرضية، فهو لضعف علمه وقلة تجربته يحتاج إلى شريعة إلهية حيّة خالدة تُحقق له سعادة الدارين معاً، مادةً ومعنىً، وتتوسع حسب قامة استعداداته ونموها...[3] فيتحقق بهذه الشريعة العادلة رُقي البشرية وسُمو نظامها ودقة اتزانها[4].

---

(1) علال الفاسي، مقاصد الشريعة الإسلامية ومكارمها، مكتبة الوحدة العربية: الدار البيضاء، ص 41 ـ 42.
(2) النورسي، الشعاع الثاني، ص 26.
(3) النورسي، الشعاع التاسع، ص 237.
(4) المصدر نفسه، ص3.

ومن ميزات هذه الشريعة الاستيعاب في الأحكام، ومن مقاصدها تحقيق الأمن والاطمئنان، وروابط الحياة الاجتماعية، ووسائل التربية، وحقائق الأحوال[1]. ولاسيما أنّ لخالق هذا العالم حكمةً عامةً عالية، بشهادات رعاية المصالح والفوائد في كل شيء. . .كما يشاهد أنّ له عدالة محضة حقيقية بشهادات وضعه كل شيء في الموضع اللائق، وإعطاء كل ذي حق حقه الذي يستعد له، وإسعاف كل ذي حاجة حاجته التي يطلبها لوجوده أو حفظ بقائه، وإجابة كل ذي سؤال سؤاله. . .[2].

والمقاصد بمفهوميها العام (مقاصد الشريعة) والخاص (المقاصد القرآنية) شغلت مساحة واسعة في كتابات النّورسي، غير أنه ركّز في فترة «سعيد القديم» على المعنى السياسي للمقاصد أي مقاصد الشريعة الإسلامية التي تسوس المجتمع وتُدير أمره.

أما في فترة «سعيد الجديد» فركزت مُعظم رسائله على تحقيق المقاصد القرآنية وإثباتها.

---

(1) الفروق، ج2 ص 33، عالم الكتب، بيروت (د.ت).

(2) إبن قيم الجوزية، أعلام الموقعين، ج3 ص 135. نشر دار الجيل، بيروت.

المبحث الثاني

النّورسي ومقاصد القرآن

لا خلاف بين العلماء في تحديد مقاصد القرآن ولا في الأهداف والمُبتغى، فهذه الأمور كلها متفق عليها من الجميع، لكنهم الاختلاف ينصبُّ على تحديدها بالضبط وتعدادها وترتيبها وطريقة الوصول إليها، فمنهم من فرّع ومنهم من خصص، ومنهم من فصّل ومنهم من أوجز، ومنهم من توسّع، ومنهم من قال بأنّها سبعة، ومنهم قال إنها أربعة، كما ذهب إلى ذلك النّورسي، ومنهم من قال بأكثر من ذلك أو أقل، وعلى الرغم من هذا فإنهم اتفقوا في كل ما ينجم عنها وعلى أدلتها.

إنَّ اختلاف العلماء في تحديد المقاصد بالضبط وكُنهها هو فقط حسب فهم كل عالم على حدة، ومن أفاض في تحديدها فقد مزج التحديد بالتحليل، فلا تعدو كثرتها من أن تكون تفريعاً وتفصيلا فحسب(*).

(*) والمُستقصِي لما قاله علماء الأمة في هذا الموضوع يجد أنه بُناء على مقولة الشاطبي مثلا أنّ أوامر الشارع ونواهيه لابد أن يكون وراءها قصد مُعين، لأنّ انعدام القصد والهدف عبث في عبث، وبما أنّ القرآن الكريم أُنزل مخاطباً مُكلّفين فلابد أن يكون قد جاء على نحوٍ تُراعَى فيه أحوالهم، فإنّه رحمه الله يحصرها في ثلاثة أصول فقط وهي الوحدانية، والنبوة، والبعث، التي ترجع في أصلها إلى معنى واحد وهو العبودية.

والنّورسي سلك منهجاً غير بعيد عن مسلك سابقيه من العلماء، إلا أنه تناول ذلك وفْقَ رؤية جديدة، يستخلص منها دقّة التعامل مع القرآن الكريم، فيحصرها في أربعة: وهي التوحيد والحشر والنبوة والعدالة ويضيف مُصطلح العبودية لا باعتباره مُستقلا بذاته، بل تابع للعدالة حيث يقول: «إعلم أنَّ مقاصد القرآن الأساسية وعناصره الأصلية أربعة: التوحيد، والرسالة، والحشر، والعدالة مع العبودية[1] بعد هذا يشير إلى أنّ سائر المسائل تصير وسائل لهذه المطالب، واعتماداً على قاعدة: عدم التعمق في تفصيل الوسائل لئلاّ ينتشر البحث بالاشتغال بما لا يعني فيفوت المقصد، لذلك أبهم القرآن وأهمل وأجمل، وإلا فصّل في كل هذه المسائل وفرّع، من هنا نفهم لماذا لم يُفصّل النّورسي في هذه المقاصد، وعلى العكس من ذلك نجد بقية العلماء قد أشاروا إلى هذه المقاصد بشيء من التفصيل.

ففي إشارات الإعجاز يقول: «إنَّ المقاصد الأساسية من القرآن وعناصره الأصلية أربعة: التوحيد والنبوة والحشر والعدالة»[2] ثم يعود فيؤكد بأنَّ المقصد الأصلي في القرآن إرشاد الجمهور إلى أربعة أساسات هي: إثبات الصانع الواحد والنبوة والحشر والعدالة[3].

أما الغزالي فيشير إلى أنَّ المقصد العام هو المعرفة الإلهية، وتتشعب عنها فروع كثيرة منها ذكر الذات والصفات والأفعال والمعاد... إلى غير ذلك.

---

(1) النّورسي، المثنوي العربي النوري، ص 75.
(2) النّورسي، إشارات الإعجاز، ص 23.
(3) النّورسي، إشارات الإعجاز، ص 177.

وفي «صيقل الإسلام» يُبين بوضوح انبثاثها في كل القرآن حيث يقول: «إنّ مقاصد القرآن الأساسية وعناصره الأصلية المُنبثة في كل جهاته أربعة: إثبات الصانع الواحد، والنبوة، والحشرالجسماني، والعدل»[1].

وتعريف النّورسي للقرآن الكريم يتميز بالشمولية وعلى أساس مقاصدي، وقد توخّى من خلاله المقاصد الكبرى له والأهداف العامة والكونية التي يهدف إليها ومن أجلها نزل، ومن خلال قراءة هذا التعريف الشمولي تبرز البراعة في جمع كل المقاصد التي أشار إليها القرآن الكريم، حيث يقول عنه . مفصلا مبيناً في القطرة الثانية من الرّشحة الرابعة عشرة المُتضمنة لقطرات من بحر المعجزة الكبرى .: هو الترجمةُ الأزلية لكتاب الكائنات الكبير. . والترجمانُ الأبدي لألسنتها المتنوعة التالية للآيات التكوينية. . ومفسّرُ كتاب عالَم الغيب والشهادة. . وكذا هو كشّافٌ لمخفيات الكنوز المعنوية للأسماء الإلهية المُستترة في صحائف السماوات والأرض. . وكذا هو مفتاح لحقائق الشؤون المضمَرة في سطور الحادثات. . وكذا هو لسان عالَم الغيب في عالم الشهادة. . وكذا هو خزينةٌ للمخاطبات الأزلية السّبحانية والالتفاتات الأبدية الرحمانية الواردة من عالم الغيب المستور وراء حجاب عالم الشهادة هذا. . وكذا هو شمسُ عالم الإسلام المعنوي وأساسُه وهندسته. . وكذا هو خريطةٌ مقدسةٌ للعوالم الأخروية. . وكذا هو القولُ الشارح والتفسيرُ الواضح والبرهانُ القاطع والتّرجمان الساطع لذات الله وصفاته وأسمائه وشؤونه. . وكذا هو المُربي لهذا العالم الإنساني. .

---

(1) النورسي، صيقل الإسلام، محاكمات، ص 29.

وكالماء والضياء للإنسانية الكبرى التي هي الإسلام.. وكذا هو الحكمة الحقيقية لنوع البشر.. وهو المرشد المهدي إلى ما يسوق الإنسانية إلى السعادة.. وكذا هو للإنسان: كما إنّه كتاب شريعةٍ، كذلك هو كتابُ حكمةٍ، وكما إنه كتابُ دعاءٍ وعبوديةٍ، كذلك هو كتابُ أمر ودعوةٍ، وكما إنه كتابُ ذكرٍ كذلك هو كتابُ فكرٍ.. وهو الكتاب الوحيد المقدس الجامع لكل الكُتب التي تحقق جميع حاجات الإنسان المعنوية، حتى إنّه قد أبرز لمشرَب كلٍّ واحدٍ من أهل المشارب المختلفة، ولمسلك كلٍّ واحدٍ من أهل المسالك المتباينة من الأولياء والصديقين ومن العرفاء والمحققين رسالةً لائقةً لمذاق ذلك المشرَب وتنويره، ولمساقِ ذلك المسلك وتصويره. فهذا الكتاب السماوي أشبهُ ما يكون بمكتبةٍ مُقدسةٍ مشحونةٍ بالكتب..[1].

هذا التعريف الشامل للقرآن الكريم يرسم المقاصد الأربعة التي يُحدِّدها النّورسي والتي يهدف إليها بذاتها والتي من أجلها نزل القرآن، ويُقرر بأن كل القرآن العظيم يهدف إلى هذه المقاصد الأربعة، بل إنّها منتشرة في كل سُوره بل إنّها مبثوثة حتى في كل آياته.

وفي هذا التعريف جُملة من المقاصد والمقامات والغايات التي نزل القرآن من أجلها ودعا القلوب إلى الإيمان بها، والعقول إلى معرفتها وبذلك تحققت الوظيفة الكبرى والغاية القصوى من القرآن العظيم وهي أنّه وبتعبير النّورسي: «قد بدّل الحياة الاجتماعية تبديلا هائلا، نوّر الآفاق وملأها بالسعادة والحقائق، وأحدث انقلاباً عظيماً سواء في نفوس البشر وقلوبهم، أو في أرواحهم وعقولهم، أو في

---

(1) النورسي، الكلمات، الكلمة الخامسة والعشرون، ص 422.

حياتهم الشخصية والاجتماعية والسياسية، وأدام هذا الانقلاب وأداره»[1].

وقول النّورسي: إنَّ القرآن كتابُ شريعة وكتاب حِكمة، وقوله الآخر في الشّعاع السابع إنَّ القرآن الكريم قد بيّن سبيل سعادة الدارين، ووضّح غايات خلق الكون، وما فيه من المقاصد الربانية موضحاً ما يحمله ذلك المخاطب الكريم من الإيمان السامي الواسع الذي يضم الحقائق الإسلامية كلها عارضاً كل ناحية من نواحي هذا الكون الهائل ومُقلباً إياه كمن يقلب خارطة أو ساعة أمامه[2]. فيه بيان واضح لشمول القرآن الكريم للكليات العامة والمصالح العليا التي تسع الدنيا والآخرة والتي تتفرع عنها مقاصد جزئية ومصالح فرعية، وفيه بيان أيضا لنوعي المقاصد: مقاصد الخلق وتتعلق بالأمر التكويني، ومقاصد الشريعة وتتعلق بالأمر التكليفي، ولم يُميز ـ في ما يبدو ـ بينهما النّورسي لتعلق أحدهما بالآخر: فالخلافة مثلا بوصفها مقصداً للخلق يقابلها على جانب مقاصد الشريعة أن يكون الإنسان قائماً مقام من استخلفه[3]، والنّورسي عمل بهذا الأمر بحسب رؤيته الموضوعية والكلية لآيات القرآن وأحكامه، ولم يكن يرى في مقاصد القرآن سوى بنية كلية جامعة تترابط أجزاؤها وتتداخل معانيها ودلالاتها، وهي تخضع في النهاية لناظم ينظمها، وهو هذه المفاهيم الكلية الأربعة التي عدَّها النّورسي المقاصد الأساسية.

---

(1) النّورسي، الشعاعات، ص174.

(2) النّورسي، الشعاعات، ص179.

(3) د. جمال الدين عطية، نحو تفعيل مقاصد الشريعة، ص109 و110.

وفي كثير من نصوص النّورسي تأكيد على أنَّ مقصد المقاصد ومطلب المطالب هو معرفة اللّه تعالى وعبادته وهو الذي تنتظم داخله أمهات المقاصد والكليات، فكل سورة وآية وحرف في القرآن الكريم يشهد شهوداً تاماً أزلياً على فُيوضات لا تنتهي من الأسرار والمعاني المقررة لهذه المقاصد والمبينة لها والضامنة لسعادة الإنسانية، ولذلك اكتسب خطاب القرآن الكريم: «صفة الكلية والسّعة المطلقة والرِّفعة السامية والإحاطة الشاملة، لصدوره مباشرة من المقام الواسع المُطلق للربوبية العامة الشاملة للمتكلم الأزلي سبحانه...»[1].

ويضرب النّورسي على ذلك مثالاً بقوله: إن قُلت: أَرِني هذه المقاصد الأربعة في «بسم الله» وفي «الحمد لله». قلت: لما أنزل «بسم الله» لتعليم العباد كان «قُلْ» مقدّراً فيه. وهو الأمُّ في تقدير الأقوال القرآنيّة. فعلى هذا يكون في «قُلْ» إشارةُ إلى الرسالة.. وفي «بسم الله» رمزُ إلى الألوهيّة.. وفي تقديم الباء تلويحُ إلى التوحيد.. وفي «الرحمن» تلميحُ إلى نظام العدالة والإحسان.. وفي «الرحيم» إيماء إلى الحشر. وكذلك في «الحمد لله» إشارةُ إلى الأُلوهيّة.. وفي لام الاختصاص رمزٌ إلى التوحيد.. وفي «ربّ العالمين» إيماء إلى العدالة والنبوة أيضاً، لأنّ بالرسل تربية نوع البشر.. وفي «مالك يوم الدين» تصريح بالحشر. حتى إنّ صدف ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ﴾ يتضمن هذه الجواهر. هذا مثالُ فانسج على منواله[2].

ويضيف ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ﴾ تدل على التوحيد، وكاف

(1) النّورسي، الشعاعات، ص303.

(2) النورسي، إشارات الإعجاز، ص 24.

الخطاب يدل على النبوة ونهر الكوثر هو نعيم الجنة الذي يدل على الحشر وعدالة الله تعالى، من هنا نرى أنَّ ما أشار إليه النَّورسي من وجود المقاصد الأربعة في كل القرآن، قد دل عليه بهذا المثال الواضح، وترك استخراج الباقي منها للقارئ عن طريق القياس.

وقد أوضح هذه المقاصد بتفصيل في رسائله كلها وساق أمثلة حية كثيرة لها:

فبالنسبة للحشر: انطلاقاً من الآية الكريمة: ﴿فَٱنظُرْ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحْمَتِ ٱللَّهِ كَيْفَ يُحْيِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾[1]

وقد فصَّل النَّورسي في مسألة الحشر وفْق فهم عامة الناس بطريقة سَلسة، وذلك بأمثلة مُقنعة وتصوير رائع وأدلة قاطعة قصمت ظهر المُلحدين وأسكتت أفواههم.

أما بالنسبة للتّوحيد: فنجد النَّورسي قد بث في كل رسائل النور هذا الموضوع باعتباره الأساس والمنطلق الأول حيث رسائل النور مكتوبات إيمانية هدفها الأساس إنقاذ الناس من العدم وإخراجهم من ظلمات العبث إلى نور الإيمان، فكان التوحيد والدلائل الساطعة التي أوردها النَّورسي له برهاناً على وحدانية الله تعالى وقدرته.

أما بالنسبة للعدالة: فإنَّه يراها من خلال الكون وتصميمه الدقيق، وعدالة الميزان كونية عنده لا يربطها بالعدالة الجزئية الدنيوية وإنما هي أكبر من ذلك.

---

(1) سورة الروم، الآية: 50.

أما بالنسبة للنبوة: فإنَّ المعجزات الأحمدية التي تجاوزت الثلاثمائة مُعجزة، تعبير واضح على اهتمام النّورسي بذلك المقصد القرآني الرفيع والإشارة الدائمة إلى تلك الشمس الساطعة في مختلف مباحث الرسائل، لهو الدليل الأقوى على أن تعامل النورسي مع القرآن الكريم وفهمه الثاقب هو الذي كان له الدور الكبير في تميزه في تحديد هذه المقاصد الأربعة الشاملة لكل المقاصد الذي أوردها العلماء من قبْله ومن بعده، حيث تتميز نظرة النّورسي إلى المقاصد بالشمول والإحاطة، لذلك أشار بأنّ كل المقاصد التي قال بها نجدها مبثوثة في كل آيات القرآن الكريم، وفعلا المُدقّق والمتفحص في آيات القرآن لا يكاد يمرّ على آية من غير أن يجد فيها هذه المقاصد الأربعة.

مقاصد السُّور

انتقل النّورسي من المقاصد الأربعة التي حدّدها للقرآن، إلى مقاصد السّور وحتى الآيات، إذ كما أنّ للقرآن ككل مقاصد فكذلك للسور القرآنية أيضا مقاصد، لأن إرجاع المعاني القرآنية إلى أربع وإجمال مقاصدها فيها إنّما هو باعتبار ملاحظة جميع المعاني القرآنية ككل مجموعي. وأما إذا نزلنا من الكُلي إلى الجزئي أي من القرآن الكلي إلى سوره الجزئية[1] فسنجد أنّ للسّور أيضاً مقاصد، كما أنّ للقرآن مقاصد. فلكل سورة مقصد أو مقاصد وهدف أو أهداف رئيسة ترتكز عليها معاني تلك السورة، كما أنَّ للبعض من الآيات أيضاً مقصداً أو مقاصد حسب رؤية النّورسي[2].

(1) النّورسي، آثار بديعية، إيكي مكتب مصيبت، ص 741.

(2) راجع النّورسي، المثنوي، ص 71.

وقد اهتمّ العلماء منذ القدم بمقاصد السُّور، مثل مجد الدين الفيروزآبادي في كتابه القيم «بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز» فإنّه خصَّص للبيانات الإجمالية عن كل سورة بصيرةً، ويأتي في بداية كل بصيرة بتلخيص مقاصد تلك السورة[1]. وأما المعاصرون فصلتهم بموضوع المقاصد أكثر. فالكثير من المفسرين المعاصرين بدأ بمحمد رشيد رضا ومروراً بابن عاشور والطباطبائي يذكرون في بداية كل سورة مقاصدها.

والموضوعات التي تدور عليها آيات سورة ما، هي التي تشكل المقاصد الرئيسة لسور القرآن الكريم.

ومدخل النورسي لفهم القرآن هو مدخل البِناءات الكُلية والمقدمات التأسيسية، وقد استمد هذا المدخل من خلال وعيه بنوعين من التحديات: أولها التحدي الداخلي، أي من داخل التراث الإسلامي الذي غلب عليه في القرون المتأخرة التفسير التجزيئي في فهم نصوص القرآن، وثانيها التحدّي الخارجي المتمثل في انتشار الفلسفات والإيديولوجيات ذات الطابع النظري والكُلي، وفي مقدمتها الفلسفة الماركسية. ومواجهة هذين التحدِّيين تطلّب الأمر من النورسي النظر إلى القرآن كوحدة معرفية متكاملة تتجاور فيها وتترابط وحدة الدلالة مع وحدة الموضوع ووحدة المعنى في جمالية باهرة وهندسة متناهية وبلاغة مُعجزة وكشف لحقائق الكون والحياة والإنسان، ويأتي ذلك نتيجه لأنه أبصر بعلمه وتجربته

---

(1) راجع: الفيروزآبادي مجد الدين محمد بن يعقوب، بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، المكتبة العلمية: بيروت (دون تاريخ)، ج 1، من ص 128 إلى ص566.

الإيمانية مقاصد القرآن، حتى رأى أن ما يقدمه هو «نوع تفسير شهودي لبعض الآيات القرآنية»[1].

وكل ما كتبه النّورسي هو تجسيد لمنهجية القرآن العظيم في عرض الحقائق وبيان الأحكام، وردّ وتحدّي للتصورات الغامضة التي غاصت فيها الفلسفة، ولذلك اشتدّ نكيره عليها، وبيّن عيوبها وأظهر عجزها أن تكون معراجاً إلى معرفة اللّه التي هي أعلى المقاصد وأسمى الغايات، بل هي (أي معرفة اللّه) عرش الكمالات.

لذلك يقول النّورسي: «هناك أصول أربعة للعروج إلى عرش الكمالات وهو «معرفة اللّه» جل جلاله:

أولها: منهج الصوفية، المُؤسس على تزكية النفس والسلوك الإشراقي.

ثانيها: منهج علماء الكلام المبني على «الحدوث والإمكان» في إثبات واجب الوجود.

ومع أنَّ هذين الأصلين قد تشعبا من القرآن الكريم، إلاّ أنه جرى إفراغهما بصور عديدة، لذا أصبحا منهجين طويلين، ولهما مشاكلهما فلم يبقيا مُصانين من الأوهام والشكوك.

ثالثها: مسلك الفلاسفة المشوب بالشكوك والشبهات والأوهام.

رابعها وأولاها: طريق القرآن الكريم الذي يُعلنه ببلاغته المُعجزة، وبجزالته الساطعة، فلا يوازيه طريق في الاستقامة والشمول، فهوأقصر طريق إلى اللّه، وأقربه إلى اللّه، وأشمله لبني الإنسان.

---

(1) النّورسي، المثنوي العربي النوري، ص 34.

ولبلوغ عرش هذا الأصل هناك أربع وسائل: الإلهام، التعليم، التزكية، التدبر[1].

إنَّ مقصد القرآن هو بيان الحقائق وصرف القلوب والعقول إليها، والوجودات كلها دالة عليها وعلى أعظمها وهي: حقيقة اللّه الخالق، ولذلك يُسمي القرآن الأشياء بمُسمياتها لتدل على خالقها، لا كما هو حال الفلاسفة الذين يتّخذون من الموجودات نُصباً إليها يُفيضون وكأنها جواهر الحقائق لا صور الحقائق. ثم إنَّ «القرآن إنّما يبحث عن الكائنات استطراداً للاستدلال على ذات اللّه وصفاته، ومن شرط الدليل أن يكون ظاهراً وأظْهَر من النتيجة، والنتيجة معرفة ذات اللّه وصفاته وأسمائه. فلو قال على ما يشتهيه أهل الفن: «يا أيها الناس فانظروا إلى الشمس في سكونها، وإلى الأرض في حركتها لتعرفوا عظمة قدرة خالقها»! لصار الدليل أخفى وأغمض من النتيجة وأبعد بمراتب من فهم أكثر البشر في أكثر الأزمان والأعصار، مع أنَّ حق الأكثر المُطلق أهم في نظر الإرشاد والهداية. فمراعاة فهمهم لا تُنافي استفادة المتفلسفين المتعمقين القليلين. ولكن في مراعاة هذا الأقل محرومية الأكثر في أكثر الأوقات»[2].

والثغرة في المنهجية الفلسفية التي لا تفرق بين حُكم الدليل وحُكم النتيجة، وبين الوسائل والمقاصد، ولذلك كان التفصيل من الفلاسفة في بيان أمر الكائنات إخفاء لحقيقتها وحرمانا للعامة من الاستهداء بإرشادات الوحي، وذلك لأنّ روح البلاغة الإرشادية وأسلوبها «مماشاة نظر

(1) النّورسي، المثنوي العربي النوري، ص، 427 ـ 428

(2) المصدر نفسه، ص72.

العموم، ومراعاة حسِّ العامة ومُؤانسة فكر الجمهور، لئلا يتوحش نظرهم بلا طائل ولا يتشوّش فكرهم بلا فائدة، ولا يتشرّد حسّهم بلا مصلحة فأبلغُ الخطاب معهم والإرشاد: أن يكون ظاهراً بسيطاً سهلا لايعجزهم، وجيزاً لا يُملهم، مُجملا فيما لايلزم تفصيله لهم»[1].

إنَّ طبيعة المنهجية القرآنية في عرض الحقائق كما يُقرر النّورسي مبنية على التساند المتين والتجاوب الفائق بين الآيات ومقاصدها المحققة في دلالاتها، لحاجات البشر على تفاوت مراتبهم واختلاف أفهامهم، وأعظم هذه الحاجات ـ باعتراف علماء النفس الغربيين الموضوعيين ـ هي الحاجة إلى الإيمان والرسالة، والتي تتجلّى حقيقتها في نور التوحيد الذي هو من أعظم مقاصد الشريعة، ولذلك فإنّ القرآن: «إنما ينظر من الموجودات إلى وجوهها الناظرة إلى فاطرها. وأما الفلسفة فإنّما تنظر من الموجودات إلى وجوهها الناظرة إلى أنفسها وأسبابها، وغايتها الناظرة إلى مصالح جزئية فلسفية أو صِنْعويّة. فما أجهل من اغترّ بالفنون الفلسفية، وصيرها محكاً لمباحث القرآن القُدسية. . . .»[2].

وهذا من يشتغل بالقول الفلسفي بعيداً عن أنوار القرآن الكريم، ويغترّ بزخرف هذا القول غروراً.

---

(1) النّورسي، المثنوي العربي النوري، ص72.

(2) المصدر نفسه، ص457.

المبحث الثالث

مقاصد الشريعة

مقاصدُ الشريعة: هي أصولها الكبرى، وأُسسها العظمى، وأركانها التي لا تَبلى، وفروعها المتغيرة حسب الزمان والمكان، مراعاة لحالة الإنسان.

وفي سبيل التعرف على المقاصد لا بدَّ للباحث من إطالة التأمل، وجودة التثبت، ودقة النظر، وسعة الأفق، إذا أراد أن يكون وصوله إلى المقاصد صحيحاً، وليحذر من التساهل والتسرع في ذلك، لأنّ تعيين مقصد شرعي أمر تتفرع عنه أدلة وأحكام كثيرة في الاستنباط، ففي الخطأ فيه زلل كبير، وخطر عظيم، فلا يُعيِّن المجتهد أو الفقيه مقصداً شرعياً إلا بعد استقراء أحكام الشريعة في النوع الذي يريد معرفة المقصد الشرعي منه، وبعد اقتفاء آثار أئمة الفقه، وأعلام الاجتهاد، والمبرزين في الاستنباط، كي يستضيء بأفهامهم، ويستنير باستنباطاتهم، ويهتدي بما وصلوا إليه من مقاصد.

وكلمة الشريعة، في الاصطلاح: هي الطريق في الدين أو هي الائتمار بالتزام العبودية[1].

---

(1) الجرجاني، التعريفات، ص 167.

ويقصد بالشريعة هنا: الأحكام الشرعية التي سنّها الله عزَّ وجلَّ، وأنزلها على خاتم رسله وأنبيائه محمد (ص) سواء في أحكامها الاعتقادية أو فروعها الفقهية أو آدابها النبوية.

ترتيب مقاصد الشريعة

المقاصد الشرعية تتفاوت مراتبها لتَبَايُن آثارها، لذا جعلها العلماء على مراتب، واستقر الاصطلاح على أنها مراتب ثلاث:

أُوْلاها: مرتبة الضَّروريَّات.

يقول **المَحَلِّي**: «هي ما تصل الحاجة إليه إلى حَدّ الضرورة»[1]، ويقول **ابن عاشور**: «هي التي تكون الأمة بمَجْموعها وآحادها في ضرورة إلى تَحْصِيلها»[2].

والضرورة تعني: «أنها لا بدَّ منها في قيام مصالح الدين والدنيا، بحيث إذا فُقِدت لم تُجْرَ مصالح الدنيا على استقامة، بل على فساد وتهارج وفوت حياة، وفي الآخرة: فوت النجاة والنعيم، والرجوع بالخسران المبين»[3].

ـ حُصِرَتْ تلك الضروريات عند عامة العلماء في خمس أو ست، وهي: الدين، والنفس، والنسب أو النسل، والعقل، والمال، والعِرْض.

وللحفاظ على هذه الضروريات أقام الشرع حدوداً من العقوبات:

---

(1) المحلّي، شرح جمع الجوامع.

(2) المصدر نفسه.

(3) الشاطبي، الموافقات، دار الفكر، ج2 ص4.

ـ فحَدُّ الردة في مقابل حفظ الدين.

ـ وحَدُّ القتل قصاصاً في مقابل حفظ النفس.

ـ وحَدُّ الزنى في مقابل حفظ النسب أو النسل.

ـ وحَدُّ شرب الخمر في مقابل حفظ العقل.

ـ وحَدُّ السرقة في مقابل حفظ المال.

ـ وحَدُّ القذف في مقابل حفظ العِرْض.

ودليل الضروريات يَرْجع إلى الاستقراء التام لأدلة الشريعة المُتَّفَق عليها مع اتفاق العقول الصحيحة على ذلك.

يقول الغَزَّالي: «وتحريم تَفْوِيت هذه الأصول الخمسة يَسْتحيل أن لا تَشْتمل عليه مِلَّة ولا شريعة أُرِيد بها إصلاح الخَلْق. وقد عُلِم بالضرورة كونها مقصودة للشرع لا بدليل واحد وأصل معين، بل بأدلة خارجة عن الحصر»[1].

ثانياً: ـ مرتبة الحَاجِيَّات:

وتُعرف الحاجيات بأنَّها: ما يَتَعَلَّق بالحاجة العامة ولا يَنْتَهي إلى حدّ الضرورة، وهذا مثل تصحيح الإجارة، فإنها مَبْنِيّة على الحاجة الماسة إلى المساكن مع العجز عن تَمَلُّكها ـ فالمالك يَضِّن في إعطاء الأشياء ـ على سبيل العارية، فهذه حاجة ظاهرة غير بالغة مَبْلَغ الضرورة المفروضة في البيع وغيره.

---

(1) المحلّي، شرح جمع الجوامع.

والحكمة من الحاجيات: تَرْجع إلى شيئين: أولهما: رَفْع الحرج والمشقة عن المُكلفين، إذ دَوَرَان الحاجيّات على: التَّوْسِعة والتيسير، والرفق ورَفْع الضيق والحرج[1].

والثاني: تكميل الضروريات وحِمايتها.

ثالثاً: مرتبة التَّحْسِينِيَّات.

وهي حسب الشاطبي: الأخذ بما يليق من مَحَاسن العادات، وتَجَنُّب الأحوال المدنِّسات التي تأنفها العقول الراجحات، ويَجْمع ذلك: قِسم مكارم الأخلاق[2].

وذَكَرَ أمثلة على ذلك، مثل: أخذ الزينة، والتقرب إلى الله بنوافل الخيرات، ومثل آداب الأكل والشرب في (العادات)، ومنع بيع النجاسات في (المعاملات).

والحكمة من التحسينيات ترجع إلى شيئين:

تكميل الضروريات والحاجيّات وحمايتها، يقول الشاطبي: «كل واحدة من هذه المراتب: لما كانت مختلفة في تأكُّد الاعتبار ـ فالضروريات آكدها، ثم تَلِيْها الحاجيات والتحسينيات ـ وكان مرتبطاً بعضها ببعض، كان في إبطال الأخفّ جُرْأة على ما هو آكد منه، ومدخل للإخلال به، فصار الأخف كأنه حِمىً للآكد، والراتع حول الحمى يُوشك أن يقع فيه»[3].

---

(1) يُنْظَر: الشاطبي، الموافقات، ج2، ص4 ـ 5.

(2) المصدر نفسه، ج2، ص5.

(3) المصدر نفسه، ج2، ص12 ـ 13.

كمال الأمة في نظامها حتى تعيش أمة آمنة مطمئنة، ولها بهجة منظر المجتمع في مرأى بقية الأمم حتى تكون الأمة الإسلامية مرغوباً في الاندماج فيها أو في التقرّب منها[1].

والمقاصد حاكمة للإنسان ولأنها كذلك جاءت:

- مُراعية لفطرته، يقول ابن عاشور: «ونحن إذا أجلنا النظر في المقصد العام من التشريعب نجده لا يعدو أن يُساير حفظ الفطرة، والحذر من خرقها واختلالها»[2].
- حاملة على التوسُّط، يقول الشاطبي: «مقصد الشارع من المكلّف الحَمْل على التوسُّط من غير إفراط ولا تفريط ب والوسط هو مُعظم الشريعة وأمّ الكتاب، ومن تأمل موارد الأحكام بالاستقراء التام عرف ذلك»[3].

النّورسي وتطبيقات مقاصد الشريعة:

سيجد من يقرأ كتابات النّورسي أنَّ ما من موقف له أو مقالة أو رسالة إلا وهي مُنسجمة مع روح هذه المقاصد الكُلية وهي أكثر من أن تحصر:

- لقد دخل في صراع مرير مع أعداء الإسلام وألقى بنفسه في مهالك التعذيب والسجن والتسميم ليسلم الدين والعقيدة لأن ذلك مقدم على حفظ النفس.

---

(1) المصدر نفسه.
(2) إبن عاشور، مقاصد الشريعة الإسلامية.
(3) الشاطبي، الموافقات.

- خرج للجهاد ضدّ الروس ووقع في الأسر، لأنه خرج لرفع راية الدين حفاظاً على حقائق الإيمان والقرآن، وهو مقدم على الحرية التي هي من حاجيات حفظ النفس.

- عدم إطلاق اللحية، فإنّها من تحسينيات حفظ الدين بينما سلامة الدعوة من الحاجيات، وكذلك سلامة النفس فإنّه ضروري، فيقدم الضروري والحاجي على التحسيني عند التعارض بينها فيقول: «إنَّ إطلاق اللحية سُنة نبوية وليست خاصة بالعلماء، وقد نشأتُ منذ صغري عديم اللحية وعشت في وسط أناس تسعين بالمائة منهم لا يطلقون لحاهم، هذا وإنَّ الأعداء يُغيرون علينا دائماً وقد حلقوا لحى بعض أحبابي، فأدركت عندها حكمة عدم إطلاقي اللحية، وإنه عناية ربانية إذ لو كنت مُطلقاً اللحية وحُلقت لكانت رسائل النور تتضرر ضرراً بالغاً حيث كُنت لا أتحمل ذلك فأموت»[1].

ولإثبات التفاوت بين المقاصد، فإنّه يُضحي بالمقصد المُهم أمام ما هو أهمّ منه، فيضحي بالنفس في سبيل حقائق الشريعة، فيقول في صيقل الإسلام: «لو كان لي ألف روح، لكنت مستعداً لأن أضحي بها في سبيل حقيقة واحدة من حقائق الشريعة، إذ الشريعة سبب السعادة وهي العدالة المحضة وهي الفضيلة».

وعندما يتكلم النورسي عن العدالة يرى أنها تشغل رُبع المقاصد القرآنية الأساسية والتي هي التوحيد والرسالة والحشر والعدالة مع العبودية، ويرى أن المقصد الأول للعدالة هو المساواة ولذلك قال: «إن العدالة التي لا مساواة فيها ليست بعدالة».

---

(1) النّورسي، سيرة ذاتية، ص 496.

ولعلّ أوضح شاهد على تأكيد تلك الحقيقة ما ورد عنه في المجلّد الثامن من رسائل النور، حيث قال: «والخلقة مستلزمة لنتيجتها وهي الإنسان. . إنّ الغاية من الخلقة ونتيجتها الحياة وذوو الحياة وأشرفهم الإنسان فهو نتيجة الخلقة»[1].

فالمقصد الأعظم من رسائل النور هو خدمة الإنسان، ولا يخدم الإنسان نفسه إلا إذا اكتشف وظيفته التي بيّنتها الرسائل بنور القرآن الكريم، فتخاطبه الرسائل قائلة: «أيها الإنسان! المقصد الأسمى من خلق هذا الكون هو قيامك أنت بعبودية كلية تجاه تظاهر الربوبية، وأنّ الغاية القصوى من خلقك أنت هي بلوغ تلك العبودية بالعلوم والكمالات»[2]، ولهذا كان المقصد الأول في سياق آخر، الحقائق الإيمانية[3] تلك التي تمثّل بالنسبة للإنسان أعلى خدمة وأسماها، لأنّها تدفع الخلق إلى تحقيق التكليف الشرعي الذي تعدّ العبودية مضمونه الرئيسي.

ولأنَّ غاية الشريعة هي مصلحة الإنسان كخليفة في المجتمع الذي هو منه، وكمسؤول أمام الله الذي استخلفه على إقامة العدل والإنصاف وضمان السعادة الفكرية والاجتماعية والطمأنينة النفسية لكل أفراد الأمة[4].

والنّورسي في أحرج أوقاته في جوٍّ المحكمة العُرفية وأمام القُضاة

---

(1) النّورسي، صيقل الإسلام، ص 174.
(2) المصدر نفسه.
(3) النّورسي، الملاحق، 148.
(4) علال الفاسي، مقاصد الشريعة الإسلامية ومكارمها، مكتبة الوحدة العربية الدار البيضاء، بلا تاريخ، ص 7.

الظلمة الذين حكموا بإعدام أكثر من مأتين وخمسين شخصاً وشنقوهم، يُنادي ويُصرح بأنَّ الإسلام هو الإنسانية الكُبرى وشريعته هي المدنية الفُضلى.

والنّورسي يُلخص بهذه الكلمات القلائل معظم مقاصد الشريعة الإسلامية التي تتعلق بصميم الحياة فتوجهها وتُقومها. ويُفصح عن مقاصد الشريعة العملية، وهي محاسن الإسلام الواقعية التي تتجلّى عبر واقعيات الحياة والتطبيقات الشرعية.

لقد كان النّورسي في حديثه عن مقاصد الشريعة الإسلامية يتحرّك بين نوعين من البيان، فتراه حيناً يُبين بعضاً من مقاصدها الإجمالية بعنوانها الإجمالي، كالعدالة والمساواة، بينما تراه حيناً آخر يتحول من البيان الإجمالي إلى البيان التفصيلي، فيذكر جُزئيات المقاصد الشرعية مع اهتمامه ببيان العدالة كمقصد عظيم وهدف سام من مقاصد الشريعة وأهدافها[1].

(1) ماهر الهندي، ورقة مقدمة للمؤتمر العالمي الثامن عن النّورسي: «العدالة لأجل عالم أفضل للإنسانية» بعنوان: «النظرة الشمولية للعدالة عند النّورسي.».

المبحث الرابع

قواعد المنهج المقاصدي عند النّورسي

المنهجية المقاصدية:

يبدو من كتابات النّورسي أنَّ المنهجية المقاصدية تندرج ضمن المنهجية التكاملية التي حكمت رُؤيته للقرآن العظيم، وترتبط بمشروعه الفكري القائم على تحديد الأهداف وترتيب الأولويات وتأصيل المنطلقات، وإدراك مواطن الخلل وعدم معارضة سُنن الأنفس والآفاق.

إنَّ المنهجية المقاصدية هي تجسيد لفلسفة الدين وروحه وهي لذلك تستند إلى بِنْيَتيْن أساسيتين:

الأولى وهي البِنية التشريعية (شبكة الأحكام)، والثانية البِنية المعرفية (شبكة المعاني)، ومحاولة ضبط الكيفيات والإجراءات الكفيلة باستنباط المقاصد وصياغتها وتركيبها وتفعيلها ـ وهو المقصود بالمنهجية المقاصدية ـ لا يمكنه أن يتمّ خارج هذين البِنيتيْن. والمقاصد هي ذاتها تُشكل منهجاً، فالمقاصد بأسسها ومراميها، وبكلياتها مع جزئياتها،

وبأقسامها ومراتبها، وبمسالكها ووسائلها، تشكل منهجاً متميزاً للفكر والنظر، والتحليل والتقويم، والاستنتاج والتركيب. . .[1].

قواعد المنهجية المقاصدية عند النّورسي:

لا يخرج التّنظير المنهجي المقاصدي عند النّورسي عن المُنطلقات المعرفية والرؤية التصورية التي تؤسس نظرته إلى الشريعة، والتي استقرأها من خلال تتبعه للنصوص وفقهه للأحكام وفهمه لحركة الحياة وأسرار النفس وطبائعها، وتأمله لآيات الأنفس والآفاق، وغوصه في اجتماعيات قومه وتحولات عصره وعلوم زمانه. ولذلك استقر عند النّورسي:

أولاً: منهج التكامل المعرفي الذي لا يجعل من المعارف جُزراً متباعدة متنافرة، وإنّما نجده يستدعي نتائج علم ليخدم بها علما آخر،

ثانياً: منهج التفاعل مع منتجات الحضارة بروح منفتحة واعية بالضوابط العقيدية والأخلاقية والقيمية. وينتظم المنهجان ضمن المنهج التعارفي الإنساني الكوني لرؤية النّورسي ولحركته الإصلاحية واجتهاداته الفكرية وتأملاته الإيمانية، وهذا هو الذي منح رسائل النور هذه القدرة على الانتشار والذيوع والتأثير والفعل داخل تركيا وخارجها.

أُسس المنهج المقاصدي النّورسي

أولاً: لزوم معرفة المجتهد بالمقاصد:

إذا كانت المقاصد غايات عامة، وكليات وأصولا، ومصالح أراد الشّرع تحقيقها وسعى إلى إقامتها، فلا يجوز لمن يتصدّر للاجتهاد أن

---

(1) يوسف العالم، المقاصد للشريعة الإسلامية، الدار العالمية للكتاب الإسلامي، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، الطبعة الثانية 1415 ـ 1994م، ص93.

يكون خالي الوفاض منها، جاهلا بها، ولذلك نبّه **النّورسي** كثيراً عليها وجعل القرآن المصدر الذي منه تُستقى المقاصد والكليات الأساسية للشريعة الإسلامية، وفي جوابه عن مسألة فتح باب الاجتهاد قرَّر **النّورسي** قواعد وضوابط منها: «العلم بالضروريات والحاجيات والتحسينيات وفقه مراتبها، وعدم تأخير الأولى على من هو دونه مع صرف كل الهِمم والعزائم لامتثال الضروريات وأن لا يضيق الاجتهاد المقاصدي بحاجات الزمان، ولا بمصالح العباد»[1].

ثانياً: المصالح حِكم مُرجحة وليست عللا للأحكام:

يرى **النّورسي** أنَّ «المصلحة حكمة مرجحة، وليست بعلة للحكم»[2] فأحكام الشريعة لا تُعلل برعاية مصالح العباد، فاللّه تعالى أثبتها تعبداً، صحيح أنّ الشريعة جاءت لتحقيق المصالح لكن تفضلا منه تعالى لا وجوباً. وهذا لا يعني أن **النّورسي** نفى مسألة التعليل أو أنكرها، لأنّه ما فتئ يُظهر لتلامذته وللعالم أن شريعة اللّه عدل كلها، ورحمة كلها، وحكمة كلها، كما أنَّ عماد نظرية المقاصد وروحها هو التعليل. وما يعنيه **النّورسي** هو عدم وجود مصالح خالصة، فهي عزيزة الوجود. والذي شدد عليه **النّورسي** هو أن لتعليل الأحكام حدوداً وضوابط لا يصح تجاوزها، وأن كل تعليل لا يحفظ الكليات المقاصدية للشريعة ويخرج عن مقصود الشارع ولايعتبر بمسالك التعليل هو تعليل مردود غير مشروع[3].

---

(1) النّورسي، المثنوي العربي النوري، ص 182 و183.

(2) المصدر نفسه، ص183.

(3) أنظر: د. عبد العزيز البطيوي، أساسيات منهج الفكر المقاصدي، ورقه مقدمه لندوة أغادير.

ثالثاً: الوسائل خادمة للمقاصد وتابعة لها:

وهذا يعني أنَّ الأصل هو المقصد والوسيلة تابعة له، وقد تصير بذلك الوسيلة مقصداً تابعاً لمقصد أصلي، والمهم أنه لاعبرة بالوسائل إذا لم تتحقق المقاصد. وقد أشار النّورسي إلى تعلّق الوسائل بالمقاصد تعلقاً حُكمياً لا يخرجها عن مقصود الشارع فقال: «اعلم! أنَّ مقاصد القرآن الأساسية وعناصره الأصلية أربعة: التوحيد، والرسالة، والحشر، والعدالة مع العبودية. فيصير سائر المسائل وسائل هذه المطالب. ومن القواعد: عدم التعمق في تفصيل الوسائل، لئلا ينتشر البحث بالاشتغال بما لا يعني فيفوت المقصد»[1]. وهنا يؤكد النّورسي أنّ من قواعد منهجية فقه المقاصد عدم الاستغراق في الوسائل أو التعمق فيها بصورة يضيع معها المقصد، فالذي يضبط عمل الوسائل ويرسم مسالكها وحدودها ومواردها هي المقاصد، فيكون الاشتغال بالوسائل بقدر خدمتها للمقاصد.

رابعاً: المقاصد مراتب ودرجات أعلاها معرفة اللّه وعبادته:

يُعبر النّورسي من خلال كتاباته عن منهجية كلية، تبتعد عن الرؤى التي تُجزئ أحكام الدين، أو تلك التي تتيه في جزئياته وفروعه غير حافظة لكلياته ومقاصده. فالدين أصول وكليات، والفروع تابعة لها، ولا يصح برأيه جعل الفرع أصلا، أو الأصل فرعاً، والمنطق الأصولي والفقهي لايقر بذلك. وعليه فإنَّ جميع المقاصد والمصالح ترجع في أصلها إلى مقصد كلي هو: معرفة اللّه وعبادته، ولأجل هذا المقصد نزل

---

(1) النّورسي، المثنوي العربي النوري، ص75.

القرآن، وبعث اللّه الأنبياء والرّسل. وإذا كانت أمهات المقاصد والكليات هي: التوحيد، والنبوة، والعدالة، والحشر، فإنّها جميعاً تخدم المقصد الكلي الأعظم الذي هو معرفة اللّه وعبادته، ورسائل النور كلها تدور حول هذا المقصد الكُلي، لأنّه الحقيقة الكبرى في هذا العالم، والغاية القصوى من الخلق.

خامساً: الموازنة المصلحية رُكن في المنهجية المقاصدية:

قد عُرف عن النّورسي الكثير من الموازنات الدالة على الترجيح بين المصالح والمفاسد، وخصوصا في أمرين اثنين: الأول موقفه من العمل السياسي، والثاني موقفه من "الطّرق الصوفية، يقول النّورسي: «إن أعظم خطر على المسلمين في هذا الزمان هو فساد القلوب، وتزعزع الإيمان بضلال قادم من الفلسفة، وإنّ العلاج الوحيد لإصلاح القلب، وإنقاذ الإيمان، إنّما هو النّور وإضاءة النّور، فلو عُمل بهراوة السياسة وصولجانها، وأُحرز النصر تدنّى أولئك الكفار إلى درك المنافقين، والمنافق ـ كما هو معلوم ـ أشد خطراً من الكافر وأفسد، فصولجان السياسة إذاً لا يُصلح القلب في مثل هذا الوقت، حيث ينزل الكفر إلى أعماق القلب ويتستّر هناك وينقلب نفاقاً. ثم إنّ شخصاً عاجزاً مثلي لا يمكنه أن يستعمل النور والهراوة معاً في هذا الوقت، لذا فأنا مضطر إلى الاعتصام بالنور بما أملك من قوة، فيلزم عدم الالتفات إلى هراوة السياسة»[1].

والنّورسي لم يُخرج السياسة من دائرة الإسلام، بل هي جزء منه،

---

(1) النّورسي، سيرة ذاتية، ص: 296.

ولكنها حسب تقديره لا تُجدي نفعاً في عملية الإصلاح، إذ البداية السليمة إنما تنطلق من تصحيح الإيمان وتجديده في القلوب، وسلاح الإيمان النور، وسلاح السياسة القوة، ولذلك يجتمع حول الأول الصادقون، وحول الثاني المنافقون، والانطلاق من السياسة بهدف الإصلاح يترتب عليه أضرار ومفاسد أكبر مما يُمكن تحقيقه من منافع.

- واستنادا على فقه المُوازنات وعملا بقاعدة: «ارتكاب أخف الضررين». ساند النّورسي عدنان مندريس والحزب الديمقراطي طيلة الخمسينات بسبب سلوكهم المعادي للشيوعية، والمُتسامح مع الإسلام، وهذا نوع تفاضل وتكامل، ونسبية واحتياط، وهو منطق رياضي ليس غريباً على الفقه، كما أنه ليس غريباً على رجل مثل النّورسي الذي درس علوم الشرع والعلوم البحتة (رياضيات، فيزياء، كيمياء، . . .). فرفض النّورسي الاشتغال بالسياسة واعتبارها منطلقا للإصلاح احتياطاً لأمر الدعوة والتربية وتمكيناً للمشروع الإيماني النوري، لم يمنعه احتياطه هذا من مرونة في التعامل مع المستجدات السياسية والمواقف المتجددة، وهي مرونة وليست تحللا، فالدعوة لها فقهها، وللتربية فقهها، وللسياسة فقهها كذلك.

- أما بخصوص موقفه من الطُّرق الصوفية، فإنّ النّورسي سيعتمد على ميزان المنافع والمضار، ومنطق الترجيح والموازنة، فيقول: «إنَّ الشّغف بالطرق الصوفية التي نفعها قليل لنا في الوقت الحاضر، واحتمال إلحاقها الضرر بوضعنا الحالي مُمكن»[1].

(1) سيرة ذاتية، مصدر سابق، ص 297.

وهذا الفهم صادر عن إدراك عميق للواقع وتحليل لمعطياته واستنباط ما يجب فعله أو القيام به، وهذا أساس من أساسيات المنهجية المقاصدية عند النورسي ورُكن من أركان الفتوى المعتبرة بروح الشرع وغاياته، إذ لايكفي الفقيه فقهه للأحكام كي يُفتي ويُرجح ويُوازن في قضايا تحتاج منه إلى خبرة، إلا أن تكون له معاناة وصولات ضدّ أهل الباطل.

سادساً: المُفاضلة والترتيب أساس في المنهجية المقاصدية:

وهذا أساس مُتفرع عن الأساس السابق وتابع له، إذ تفترض العقلية المقاصدية منطق التراتبية والمُفاضلة بين المصالح، وهو جُزء من فقه المُوازنات الضامن لقدسية الثوابت، والذي يعرف متى يكون مرناً ومتى يكون صارماً، وعلى هذا الأساس رتَّب النورسي دوائر الدين إلى أربع بحسب المصلحة المترتبة عليها، وبقدر تعلّق الدوائر بها، فيقول: «إنَّه ينبغي لهذا العصر من مُجدِّد له شأنه ليقوم بتجديد الدين والإيمان، وتجديد الحياة الاجتماعية والشريعة، وتجديد الحقوق العامة، والسياسة الإسلامية، ولكن أهم تلك الوظائف، هو التجديد في مجال المحافظة على الحقائق الإيمانية، فهي أجلّ وأعظم تلك الوظائف الثلاث، لذا تبقى دوائر الشريعة والحياة الاجتماعية والسياسية في الدرجة الثانية والثالثة والرابعة بالنسبة لدائرة الإيمان. إنَّ القاعدة الإيمانية إذا تكوّنت فإنّ تطبيق الشريعة وأحكامها يأتي خطوة طبيعية تالية، ولكن لا قيام للشريعة من غير قاعدة إيمانية»[1].

---

(1) النّورسي، سيرة ذاتية، ص296.

ونظراً للمفاضلة في الدّور والوظيفة تأتي هذه الدوائر مُرتبة على الشكل الآتي: تجديد الإيمان، وتجديد قضايا التشريع والقانون والحقوق العامة، وتجديد الحياة الاجتماعية، وتجديد الحياة السياسية. وبُناء على ذلك لم تشغل النّورسي فروع الفقه وجزئياته، وإنّما شغلته أمراض القلوب، شبهات وشهوات، فقام يرد هذه القلوب إلى عافيتها، ويُؤسس لمجتمع مُؤمن صادق، يكون قادراً على حمل الرسالة إلى العالم. فأكثر ما أصاب الأمة أنها أصيبت في دينها وإيمانها باللّه، وتجملها بالقيم والأخلاق، فكانت دعوة النّورسي دعوة إيمان وأخلاق أولا، وهذا ليس تبعيضاً للدين، وإنّما من باب المرحلية في التصور والتدرج في التطبيق.

سابعاً: المنهجية المقاصدية والإيمان:

لا يصحّ الاجتهاد المقاصدي، ولا تثبت صِنعة المقاصد إلا من عالم فقيه تقي ورع، فملاك أمر المنهجية المقاصدية أولا التقوى والتّجرد والبراءة من الأجر الدنيوي.

والنّورسي جاء ليُعيد النظر في العديد من مدونات الفقه التي شغلت الأمة بالجزئيات وحالات الناس وغرائبهم وتلاعباتهم، فيشتغل الفقيه بالردّ عليها وفهمها وتلمس الإجابة لها والبحث عن تخريجات وتفريعات وحيل من هنا وهناك، كل ذلك بعيداً عن المواعظ والرقائق وأجواء التحليق الإيماني. وهكذا تعكر الفقه حتى لتكاد تشعر أنَّ الفقه قد انحرف عن مقصده[1].

---

(1) المصدر نفسه، ص297.

كما يرى النّورسي أنه: «بدون الاستواء النّفسي الإيماني لا يُتاح لأحد الاستواء على الصّواب في استنباط الفتوى، إذ (النفس المطمئنة بالفقه) هي الباب، ومدخل الصدق، والمنطلق، ثم هي المخرج، مخرج الصدق، وبها يكون الجزم واعتدال الخطو وصناعة الحياة إذا امتد المسار. قول فصل لا مفاوضة فيه، ومن حُرم الرقائق: اضطربت سريرته، وتبرّم، وضاقت عليه سعة الاستسلام للأمر الرباني، ومن رام التّفلت: طال منه التّلفت، ويُوشك أن تُرهقه المتاهة وتُتلفه العوائق»[1].

ثامناً: التّحسين والجمال أساس متين في المنهجية المقاصدية:

انطلق النّورسي في فهمه للأساس الجمالي والذّوقي من الرّؤية القرآنية لمسألة الجمال، ولذلك تجده يقول: «فنرى أنَّ القرآن الكريم يُبين تلك الحقيقة النورانية بجميع فروعها وأغصانها وبجميع غاياتها وثمراتها بياناً في منتهى التوافق والانسجام بحيث لا تعيق حقيقةٌ حقيقةً أخرى ولا يُفسد حكمُ حقيقةٍ حُكْماً لأُخرى، ولا تستوحش حقيقة من غيرها. وعلى هذه الصورة المتجانسة المتناسقة بيّنَ القرآن الكريم حقائق الأسماء الإلهية والصفات الجليلة والشّؤون الربانية والأفعال الحكيمة بياناً مُعجزاً بحيث جعل جميع أهل الكشف والحقيقة وجميع أولي المعرفة والحكمة الذين يجولون في عالم الملكوت، يصّدقونه قائلين أمام جمال بيانه المعجز والإعجاب يغمرهم: سبحان اللّه! ما أصوب هذا! وما أكثر انسجامه وتوافقه وتطابقه مع الحقيقة وما أجمله وأليقه»[2].

(1) محمد أحمد الراشد، أصول الاجتهاد التطبيقي، ج3 ص 11.

(2) المصدر نفسه، ج3 ص15.

إنَّ الرّؤية الجمالية لأحكام الشريعة ونصوصها التي تُؤسِّس المنظور المقاصدي النوري تستند على مُسلمة عقدية تتعلق باسم من أسماء اللّه الحسنى وهو الجميل، ولا يصدر عن الجميل إلا الجميل، وبذلك تكون أحكام الشريعة كلها قائمة على أساس الحُسن والجمال، وكل قول أو اجتهاد في تحديد المقاصد أو تقعيدها، أو تجديد النّظر والقول فيها لا يعتبر بالأساس الجمالي الذوقي فهو قول مردود واجتهاد باطل. وإذا كانت كليات الشريعة ومقاصدها هي حقائق الدين الباهرة، فإنَّ «الحقيقة بذاتها جميلة، ومع إدراك جمال الحقيقة فإنّه يحترم كمال صاحب الحقيقة ويوقّره فيستحق رحمته»[1].

وعليه يُمكن القول من خلال استقراء لرسائل النور أنَّ كل ما خرج بأحكام الشريعة من الحُسْن إلى القُبح، ومن الجمال إلى ضدّه فليس منها في شيء وإن أُدخل إليها بتأويل. بل ذهب النّورسي إلى جعل هذا الأساس قانوناً تجري بحسبه الحقائق كلها وسماه: «قانون التحسين والجمال 44».

وبذلك فالمنهجية المقاصدية النّورسية منهجية أصولية، وأخلاقية، وذوقية، وجمالية، إذ الناظر في مقاصد الشريعة ـ بحسب المنظور النّورسي لمسألة المقاصد ـ يحتاج أن يُتقن صنعة الأصول ومبادئ الأخلاق والجمال والذوق وإلا غابت عن ذهنه الكثير من أسرار الشريعة ومقاصدها.

---

(1) النّورسي، الكلمات، ص 154.

الفصل الثالث

القضية السياسية

المبحث الأول

النّورسي والحضارة الغربية

الحضارة لغة: من فعل حضر، ومعناه الإقامة في الحضر، أي بخلاف الإقامة في البدو، وهذا المدلول اللغوي ذو أهمية في تحديد معنى الحضارة اصطلاحاً، لأنّه إشارة إلى شرط هام بدونه لا يمكن وجود حضارة، وهو الإقامة والاستقرار، فالاستقرار شرط ضروري لقيام أي حضارة.

وقد تطوّر هذا اللفظ من دلالته المكانية (الإقامة في الحضر)، التي هي الأصل في استعماله، إلى دلالات أخرى ترتّبت على هذه الإقامة، من ذلك التعاون والتآزر والتعارف وتبادل الخدمات والأفكار والمعلومات في كل نواحي الحياة من صناعة وعلوم وثقافة وقانون، هذا ما يُؤكده ابن خلدون بقوله: «الحضارة أحوال عادية زائدة على الضروري من أحوال العمران، زيادة تتفاوت بتفاوت الرّفه وتفاوت الأمم في القلة والكثرة، تفاوتاً غير منحصر»[1](*).

---

(1) ابن خلدون، المقدمة، ص 168.

(*) الحضارة اصطلاحاً، هناك عدة اتجاهات: =

وعند ابن خلدون أنّ الحضارة لا تظهر إلا في المدن والقرى وأنها غاية العمران.

النّورسي ورؤيته للحضارة:

لا ينشغل النّورسي كثيراً بمظاهرالحضاره ونتاجها، لادراكه أنَّ أي حضارة لابد أنّ تقوم على فلسفة معينة وتصور مُحدد لوظيفة الإنسان في هذا الوجود وعلاقته بالكون وخالقه. لذلك نجد النّورسي يستخدم العناصر ذاتها في تحليله لقضايا الحضارة وقضايا الفلسفة وكأنْ لا فرق بين الحضارة والفلسفة[1].

---

1 ـ الاتجاه الأول: اتجاه عام يُجمع على ربط الحضارة بكل قدرات الإنسان العقلية والنفسية والعملية المسخرة في جميع مجالات الحياة لتحقيق الرقي والتقدم.

2 ـ أما الاتجاه الثاني: إن أصحاب هذا الاتجاه لا يركزون اهتمامهم على نتاج الحضارة، وإنّما يهتمون أولاً بالإنسان الذي هو الجوهر في بناء الحضارة، ويرون أنّ أساس هذا البناء يتمثل في التصورات والمفاهيم والقيم التي توجه الإنسان في حياته وتؤهله لقيادة البشرية نحو الرقي والتقدم.

3 ـ الاتجاه الثالث: الذي يركز على نتاج الحضارة ومظاهرها، ولعل أبرز من يمثله ابن خلدون الذي يرى أن الحضارة «هي التفنن في الترف واستجادة أحواله والكلف بالصنائع التي تؤنق من أصنافه وسائر فنونه من الصنائع المهيأة للمطابخ أو الملابس أو المباني أو الفرش أو الأواني، ولسائر أحوال المنزل، ويلزم لهذا التأنق صناعات كثيرة».

4 ـ الاتجاه الرابع: وهو على النقيض تماماً من الإتجاه الثاني الذي يربط الحضارة بالقيم العقدية والأخلاقية، وأشهر من يُمثله نيتشه وأتباعه وكليسكليس وأتباعه الذين يعدون «أن الحضارة هي القضاء على العدل والأخلاق وترك العنان لطبيعتنا الحرة السافرة لتفعل ما تشاء، ولو أدى ذلك إلى أن نسير على الجماجم في سبيل تحقيق ذلك» وقد أوغلوا في فصل الحضارة عن أي قيمة أخلاقية، فقالوا: «إنّ الأخلاق ليست إلا اختراع الضعفاء لكي يقيدوا بها سلطان الأقوياء، فلنكن حرباً على الأخلاق» أنظر: توفيق الواعي، الحضارة الإسلامية، ص32، 33.

(1) النّورسي، الكلمات، ص 141، 855. والمكتوبات، ص 607.

كما يُؤكد على العلاقة بين الحضارة وبين نظرية الإنسان في الكون، وهي علاقة لا يعيرها أحد التفاتاً، ليخلص إلى أنّ كل تقدم إنساني متوقف على التقدم في نظريته في الكون، ووضوح رؤيته العقائدية، لذلك سعى النّورسي إلى تقديم نظرية متكاملة في الكون، حيث وظيفة الإنسان فيه محددة، وعلاقته به واضحة، وتصوره لقضية الألوهية لا لبس فيه.

التّصور العقدي لدى النّورسي:

الرسالة الثلاثون من (الكلمات) تكاد تكون أشمل الرسائل التي عرض فيها لهذا الموضوع وبيّنه بشكل يزيل كل ريب أو تردّد أو التباس.

ولأهمية الموضوع، فإنه ينبه قبل الشروع فيه إلى أنَّ هذه الرسالة قد كشفت عن لغز الكون وطلاسمه، وحلّت سراً عظيماً من أسرار القرآن الكريم.

وكما هو منهجه في التأليف يفتتح النّورسي الرسالة بالآية القرآنية ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ [الأحزاب: 72]. مُشيراً إلى أنّ الأمانة التي أبت السموات والأرض والجبال أن يحملنها لها عدة معان ووجوه، أحدها: «أنا» والذي نشأ عنه اتجاهان في بني البشر من لدن آدم إلى الوقت الحاضر: اتّجاه خَيْر، واتّجاه شر. وهذا «الأنا» هو المفتاح لفهم حقيقة الألوهية، وهو المفتاح أيضاً لفهم أسرار الكون، لكنه في حدِّ ذاته سر يحتاج إلى كشف، ولُغز لا بدّ له من حلّ، وإذا تمّت معرفة ماهية أي ماهية الإنسان وحقيقته سَهُل فهم حقيقة الألوهية وكشف لغز الكون.

إنَّ الله تعالى قد أعطى الإنسان أمانة هي تكون وحدة قياس ليتعرّف بها على أوصاف الرّبوبية وشُؤون الألوهية، وهذا لا يعني أنَّ يكون لهذه الوحدة القياسية وجود حقيقي، بل إنّها قد تكون وحدة قياس افتراضية أو خيالية كالخطوط الافتراضية في علم الهندسة، لأنّ الشّيء المحيط والمطلق لا حدود له ولا نهاية، فلا يُعطى له شكل ولا يُحكم عليه بحكم، لذا لا تفهم حقيقة ماهيته إلا إذا حُدّ بحدود حتى لو كانت وهمية.

كذلك صفات الله تعالى كالعلم والقدرة، وأسماؤه الحسنى كالحكيم والرحيم؛ لأنها مُطلقة وغير محدودة ولا يُمكن الإحاطة بها ولا معرفة ماهيتها، لذا كان من الضروري وَضْعُ حدٍّ افتراضي وخيالي لتلك الصفات والأسماء المطلقة كي يتمّ فهمها، وهذا ما يقوم به ، إذ يتصور في دائرة مُلكه ربوبية موهومة، لكن بها يفهم ربوبية خالقه الحقيقية للكون كله.

لم يقدم النّورسي نظرية فلسفية يُفسِّر من خلالها حركة التاريخ. بل إنّه لم يحاول أن ينطلق من قواعد فلسفية، لأن قاعدة انطلاقه كانت قرآنية خالصة، ليس فقط لأن قواعد الانطلاق القرآنية كافية فحسب، بل لأنَّ إقحام الفكر الفلسفي من شأنه إفساد الرؤية أو قاعدة الانطلاق القرآنية[1].

والرؤية التى قدّمها حول كُليات أسماء الله الحُسنى وتجلياتها في الإنسان الذى جعله الله (مرآة) تنعكس عليها أسماؤه الحُسنى، فتظهر

(1) د. عبد الفتاح عويس، أعمال المؤتمر الخامس، ص 84.

قُدرة الله المُطلقة من خلال قدرة الإنسان النسبية ويظهر علم الله المطلق فى مرآة علم الإنسان النسبي... وهكذا تظهر آثار سمع الله (السميع) وبصر الله (البصير) وحكمة الله (الحكيم)...

وينفرد بها على هذا النحو التفصيلي والتطبيقي والتمثيلي الرائع، مقدماً رؤيته لأسماء الله الحُسنى تركيبية ذات إطار معرفي قرآني يُفسر به حركة الإنسان... الإنسان كفرد... الإنسان كمجموع (تاريخ وحضارة)... الإنسان وحركة الكون... وأما الآثار أو ما يُسمّيه المنظرون لفلسفة التاريخ بالعامل الاقتصادي أو العامل الاجتماعي، أو الروحي أو النفسي... أو الفردي (الصفوة ـ النخبة) أو (الجماعي ـ الاشتراكي)...

أما كل هذه العوامل فليست إلا بعض مظاهر لفاعلية ا لأسماء الحسنى فى حركة الإنسان والكون، فاعلية رحمةٍ من (الرّحيم الرّحمن) وتنتهي إلى سعادة وصعود.. أو فاعلية نقمةٍ من (المُنتقم الجبار) فتنتهى إلى شقاء وسقوط[1].

إنَّ الله هو الفاعل فى التاريخ، وإليه يجب أن تُعزى حركة الإنسان والحضارة والكون.. و(الإنسان) هو المرآة العاكسة لتجليات الأسماء الحسنى... وهو بالتالي، المأمور بنقل صورة هذه الأسماء إلى الحياة، إبداعاً وإرادة وقوة وعدلاً وقدرة ورحمة... إنه المستخلف، وليست حقيقته الكبرى الأنية (أنا) إلا في القيام بوظيفة نقل أسماء الله الحسنى إلى عالم الأرض والكون... لأنّه الوحيد من بين كل الكائنات ـ حتى

---

(1) المصدر نفسه، ص 84.

الملائكة - الذى يملك الإرادة والحرية وعصيان الله وأيضاً - طاعة الله - بطريقة اختيارية!!

إنَّ (أنا) مفتاح، يفتح الكنوز المخفية للأسماء الإلهية الحُسنى، كما يفتح مغاليق الكون. فهو في حد ذاته طلسم عجيب، ومُعمّى غريب، ولكن بمعرفة ماهية (أنا) يُحل ذلك الطلسم العجيب وينكشف ذلك المُعمى الغريب (أنا) ويفتح بدوره لغز الكون، وكنوز عالم الوجود.

ويقول النورسي: «اعلم أنَّ مفتاح العالم بيد الإنسان، وفي نفسه، فالكائنات مع أنها مُفتحة الأبواب في الظاهر إلا أنها مُنغلقة حقيقة، فالحق سبحانه وتعالى أودع من جهة الأمانة فى الإنسان مفتاحاً يفتح كل أبواب العالم، وطلسمًا يفتح به الكنوز المخفية لخلاق الكون، والمفتاح هو ما فيك من (أنا) إلا أنَّ (أنا) أيضًا مُعمّى ومُغلق وطلسم مُنغلق، فإذا فتحت أنا بمعرفة ماهيته الموهومة وسر خلقته، انفتح لك طلسم الكائنات كالآتى: إنَّ الله جلّ جلاله وضع بيد الإنسان أمانة هى: (أنا) الذى ينطوي على إشارات ونماذج يستدل بها على حقائق أوصاف ربوبيته الجليلة وشؤونها المقدسة أي يكون (أنا) وحدة قياسية تعرف بها أوصاف الربوبية وشؤون الألوهية[1].

ولا يُمكن القول إنَّ (الأسباب) الإنسانية أو الكونية الظاهرة أو غير الظاهرة، أو العوامل التى يُبصرها الناس ويُسمونها العوامل المادية أو الاقتصادية أو النفسية المحركة للتاريخ هي (الفاعلة) فهي ليست إلا الشّكل الذى يستطيع الناس أن يفهموه أو يبصروه أو يتعاملوا معه. . . أما

---

(1) النّورسي، الكلمات، ص 635، 636، وعبد الفتاح عويس، مصدر سابق ص 85.

الفعل الحقيقي فليس هو الظل الذي انعكس فى المرآة، وإنّما هو الأصل أو هو الحقيقة المؤثرة نفسها، والتي قد يُبصر الإنسان انعكاساتها فى مرآة نفسه وقد لا يُبصرها...

والنّورسي من خلال معالجته الرائدة لأسماء الله الحُسنى قد اقترب بنا على نحو غير مسبوق من محورين خطيرين:

أولهما: لقد أصبح بإمكاننا إلى حدٍّ ما أن نفهم بعض ملامح تدبير الله للكون. لقد تطور فقهنا العبادي ومعرفتنا بأسماء الله الحُسنى... إنّنا نكاد نستشعر بقوة معنى كلمات الله التى لا تنتهى، وهى تقود حركة التاريخ والكون انطلاقًا من الأضواء التى ألقاها على تجليات أسماء الله الحسنى، ولعلّ هذه الأضواء تعين على فهم أعمق لقوله تعالى فى القرآن الكريم: ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا﴾ [الكهف: الآية 109][1].

وفى خطابه للإنسان ليعرف حقيقة دوره (المرآة) يقول النّورسي أيضًا:

«أيها الإنسان إنّ ما تملكه من نفس ومال ليس مُلكًا لك، بل هو أمانة لديك فمالك تلك الأمانة قدير على كل شيء عليم بكل شيء، رحيم كريم يشتري منك ملكه الذى عندك ليحفظه لك لئلا يضيع فى يدك، وسيكافئك به ثمنًا عظيمًا، فأنت لست إلا جنديًا مكلفًا بوظيفة،

---

(1) أنظر: الكلمة (30)، موقع (SAid NUR) وعبد الفتاح عويس، ص 99. يقول محمد إقبال: إنَّ الإنسان على ما فيه من نقائص، أسمى من الطبيعة، لأنه يحمل أمانة عظمى، قال عنها الله في القرآن ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا﴾ أنظر: تجديد الفكر الديني.

فاعمل لأجله واسع باسمه فهو الذى يُرسل إليك رزقك الذى تحتاجه ويحفظك مما لا تقدر عليه. إنَّ غاية حياتك هذه ونتيجتها هي أن تكون مظهرًا لتجليات أسماء ذلك المالك، ومُنعكسًا لشؤونه الحكيمة[1].

ثانيهما: إنَّ دور الإنسان فى التاريخ الإنساني بل والكوني قد أصبح أكثروضوحًا وألقًا . . إنّ الإنسان هو (أنا) التى حملت الأمانة الواردة فى قوله تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ [الأحزاب: 72].

وليست الأمانة فى منظور **النورسي** هي (الإرادة أو التكاليف) كما كان (التفسيرالشائع) وإنّما الأمانة هنا أعظم من ذلك كله. . . إنها إظهار بعض تجليا ت الأسماء الحسنى المطلقة فى عالم الإنسان النِّسبي، أي أنّ (أنا) لا يحمل فى ذاته معنى، بل يدلّ على معنى فى غيره، كالمرآة العاكسة. والوحدة القياسية، وآلة الانكشاف[2].

لقد عمّق الفقه **النورسي** دورالإنسان فى صناعة الحضارة وأ برز حقيقة الصلة بين الله والإنسان، وقد أصبح هناك معنى أكثر ألقاً لمعنى الاستخلاف، وكذلك لمعنى الإنسان الربّاني الموصول بالله، ولمعنى تفضيل الله لآدم على الملائكة. بل إننا نكاد ـ بالمنظور **النورسي** ـ نفهم إضافات جديدة لمعنى تعليم الله آدم الأسماء كلها، فليست هذه الأسماء مُجرد مفردات تتّصل بعالم الأشياء أو عالم القيم والمعنويا ت. إنها قد تتصل ببعض القدرات والمواهب الفطرية التى تدفع الإنسان لفتح مغاليق السّنن الكونية والاجتماعية وفقهها، واستخدامها لتحقيق وظيفة

---

(1) النّورسي، اللمعات، ص 183.

(2) النّورسي، الكلمات، ص 637.

الاستخلاف، ولإظهار بعض آثار تجليات الأسماء الحسنى، التى لا تطلق ـ فى حدودها النسبية ـ على أحد إلا على هذا الإنسان. . . الإنسان المُستخلف. . . الإنسان المرآ ة. . . الإنسان الذى يسمح الله له وحده بأن يحمل بعض أسمائه مع محدوديته ونسبيته، فيكون أحيانًا. . . الإنسان اللطيف الخبير الحكيم الكريم الرحيم. . . ويكون ـ فى أحيان أخرى ـ الإنسان الجبار المُتكبر العظيم. . . إنها مكرمة كبيرة. . . وإنها لأمانة عظيمة. . . لكن هل يؤدي الإنسان (المرآة) حقها. . . أم يخون الأمانة. . . إنه كان ظلومًا جهولا[1].

وهكذا يُبين النّورسي أنَّ الذي يُدرك ماهية «أنا» على هذا النحو، ويعمل وفق ما يقتضيه هذا الإدراك من التزامات، يكون ضمن بشارة قوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا﴾ [الشمس: الآية 9].

أما إذا غفل الإنسان «أنا» عن حِكمَة خلقه، ناسياً وظيفته في الوجود، وظاناً نفسه أنه هو مالك ذاته، وأن كل شيء مالك لنفسه، فيكون ـ حينئذ ـ خائناً للأمانة، وداخلاً في دائرة الشرك المنهي عنه صراحة.

إنَّ إدراك ماهية «أنا» هو الذي يُحدد طبيعة المعرفة ووجهتها، إذ الإدراك السليم يثمر معرفة أساسها التوحيد الخالص، أما الإدراك المنحرف فينتج معرفة أساسها الإشراك بالله تعالى في ربوبيته وألوهيته[2].

(1) عبد الفتاح عويس، مصدر سابق، ص 88.
(2) أنظر: الكلمات، الكلمة الثلاثون موقع (SAid NUR).

ابتداءاً من هذه المقدمة التوضيحية والضرورية ينطلق **النورسي** ليوضح حقيقة التصور الإيماني الذي رسمته النبوة والدين، وينبه على حقيقة التصورات البشرية التي وضعتها الفلسفة، وهو حين يذكر النبوة لا يقصد نبوة محمد (ص)، ولكنها النبوة الممتدة من لدن آدم إلى خاتم الأنبياء عليهما السلام، والداعية إلى الدين الواحد كما عبّر عن ذلك القرآن الكريم: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ [آل عمران: الآية 19].

ويُؤكد **النّورسي** أنه متى انقادت الفلسفة للدين تحققت السعادة البشرية، ومتى ابتعدا كان الخير كله في سلسلة النبوة والدين، وكان الشر والضلال في سلسلة الفلسفة.

أُسس ومنطلقات اتجاهي الدين والفلسفة:

ـ اتجاه النبوة والدين الذي يرى أنَّ «المالك جل وعلا لا شريك له ولا نظير، لا في ملكه ولا في ربوبيته ولا في ألوهيته، وهو المتعال الذي لا يحتاج إلى شئ، فلا معين له ولا وزير، بيده مقاليد كل شيء، وهو على كل شيء قدير، وما «الأسباب» إلا أستار وحجب ظاهرية تدل على قدرته وعظمته، وما «الطبيعة» إلا شريعته الفطرية ومجموعة قوانينه الجارية في الكون إظهاراً لقدرته وعظمته جل جلاله»[1].

ويترتّب على أساس هذا الفهم أنّ العبودية إنّما تكون لله وحده، وأنّ ماهية الإنسان حرفية، أي إنّه يدل على معنى في غيره، فوجوده قائم بوجود غيره وبإيجاده، وما ملكيته للأشياء إلا ملكية وهمية ومؤقتة، لذا كانت وظيفته الأساسية هي طاعة الله تعالى، والخضوع التام لأوامره.

---

(1) النّورسي، الكلمات، ص 641، وعبد الفتاح عويس، مصدر سابق، ص 84.

ـ أما الفلسفة فنظرت للإنسان بالمعنى الإسمي، أي: أنها توهّمت أنه يدل على نفسه بنفسه وأن وجوده أصيل ذاتي، وأنه هو المالك الحقيقي لكل ما هو في دائرة تصرفه، ففهمت من ذلك أنَّ «وظيفته هي الرُّقي والتكامل الذاتي الناشئ من حُب ذاته»[1].

ويقول **النّورسي** إنَّ رواد الفلسفة أمثال **أفلاطون وأرسطو** ومن سار على خطاهم من المسلمين **كابن سينا والفارابي**، إنّما ضلّوا ببناء فلسفاتهم على هذه الأسس الفاسدة، حيث عدّوا أن الغاية القصوى لكمال الإنسانية هي «التشبه بالواجب» أي بالله سبحانه وتعالى، فوقعوا بذلك في الشرك وعبادة الطبيعة والأسباب. . . في حين أنَّ الذين سلكوا مسلك النبوة أسسوا نظرتهم على العبودية الخالصة لله تعالى، وعدوا أنَّ الغاية القصوى للإنسانية هي التخلق بالأخلاق الإلهية أي: التحلّي بالحميد من الأخلاق التي يأمر بها سبحانه وتعالى، واعتراف النفس في قرارتها بالعجز والفقر والقُصور ثم الالتجاء إليه سبحانه.

فعلاقة الإنسان بخالق الكون هي علاقة عبودية وخضوع تام، وعلاقة الإنسان بالكون والطبيعة فهي علاقة تسخير، لا علاقة صراع.

مقارنة بين حضارة الإسلام ومدنية الغرب:

يقول **النّورسي** إنَّ توثيق الأخوة بين المسلمين سوف يُساعد على مواجهة المدنية الغربية ويعجل في دمارها، ويمهد لظهور حضارة الإسلام المبنية على أسس القرآن الكريم الذي هو رحمة للناس كافة. فالقرآن الكريم إنما يقبل الحضارة التي تضمن سعادة الناس كلهم أو على

(1) المصدر نفسه، ص 642.

الأقل سعادة الأكثرية المطلقة، في حين أنَّ مدنية الغرب عاجزة عن الوفاء بهذه المهمة، للأسباب الموضوعية التالية:

1 ـ إنَّ مدنية الغرب تقوم على فلسفة ركيزتها ونقطة استنادها القوة، وهذه من شأنها الاعتداء والتجاوز، ومن هنا تنشأ الخيانة.

2 ـ هدف هذه الفلسفة وقصدها: المنفعة الخسيسة بدل الفضيلة، وشأن المنفعة: التخاصم والتزاحم، ومن هذا تنشأ الجناية.

3 ـ دستورها في الحياة: الجدال والصراع بدل التعاون، وهذا من شأنه التنازع والتدافع.

4 ـ رابطتها الأساسية بين الناس: العنصرية والقومية السلبية التي تنمو وتتوسع بابتلاع الآخرين، وهذا من شأنه أن يُؤدي إلى التصادم، ومن هنا ينشأ الدمار والهلاك.

5 ـ إنَّ خدمتها الجذابة هي تشجيع الأهواء والنوازع وإشباع الشهوات والرغبات، وشأن الأهواء والنوازع: مسخ الإنسان وتغيير سيرته[1].

أما حضارة الإسلام:

1 ـ فإنَّ نقطة استنادها: الحق بدلاً من القوة، والحق من شأنه العدالة والتوازن، ومن هذا ينشأ السلام.

2 ـ هدفها: الفضيلة بدل المنفعة، والفضيلة من شأنها: المودة والتجاذب، ومن هذا تنشأ السعادة وتزول العداوة.

---

(1) النورسي، الكلمات، ص 858.

3 ـ دستورها في الحياة: التعاون بدل الجدال والصراع، وشأن هذا الدستور: الاتحاد والترابط اللذان تحيى بهما الجماعات.

4 ـ خدمتها للمجتمع: بالهدى بدل الأهواء، وشأن الهدى الارتقاء بالإنسان إلى مراقي التكريم والكمال.

5 ـ رابطتها بين الجماعات البشرية: هي رابطة الدين والإيمان ومن شأن هذه الرابطة: الأخوة الخالصة بدل العنصرية والقومية السلبية.

بعد هذا التوضيح والتحليل الدقيق لأسس الحضارة الإسلامية وفلسفتها وأُسس المدنية الغربية وفلسفتها، يُؤكد النورسي أنه لا يرفض أوروبا بشكل مطلق، ولكنه يُميز بين أوروبا النافعة للبشرية بما قدمت لحياة الإنسان من خدمات، وبما توصلت إليه من صناعات وعلوم.

وبين أوروبا الثانية التي توهَّمت سيئات الحضارة حسنات، فساقت البشرية إلى السفاهة والضلالة، فإليها يتوجه مخاطبا: «يا أوروبا الثانية! اعلمي جيداً أنك أخذت بيمينك الفلسفة المضلة السقيمة، وبشمالك المدنية المضرة السفيهة، ثم تدّعين أن سعادة الإنسان بهما. ألا شُلّت يداك وبئست الهدية هديتك، ولتكن وبالا عليك وستكون»[1].

أوروبا التي يحذر النورسي منها بشدة هي أوروبا التي ابتعدت عن المسيحية واتبعت الفلسفة المادية القائمة على نسبة آثار الخالق إلى الأسباب والطبيعة الموهومة، فهوت بالإنسان إلى درجة دون الحيوان، لأنها اضطرته أن يُصارع وحده مالا يُعد ولا يحصى من الأعداء، وألجأته إلى الحرص على تحصيل الكثير من الحاجات، مع أنَّ هذه الحاجات لم

---

(1) النورسي، اللمعات، ص 177.

تكن في الأساس ضرورية، وإنما بإلحاح المدنية الزائفة استحالت الكماليات أساسيات، فأضحى الإنسان أسير متطلبات هذه المدنية بما غرست فيه من روح الاستهلاك، والسعي وراء إشباع رغبات النفس.

وتحول إنسان مدنية الغرب:

- (فرعونا) طاغية، ولكنه فرعون ذليل يعبد أخس الأشياء، ويتخذ كل شيء ينتفع منه ربّاً له.
- و(متمرداً) لكنه متمرد مسكين؛ لأنه يرضى بالذل والهوان من أجل منفعة خسيسة.
- و(جباراً)، لكنه عاجز في ذاته، لأنه لا يجد مرتكزاً في قلبه يستند إليه.

إنَّ غاية ما يطمح إليه هو تلبية رغبات النفس، وإشباع هواها بأي وسيلة وجدت لأنه لا يحب إلا نفسه، وهو مستعد للتضحية بكل شيء في سبيلها. فقد أصبح يعيش حالة من المرض المستعصي، لم تجد هذه المدنية لها علاجاً سوى الملاهي الجذابة التي تبلد الحسّ وتخدر الشعور مؤقتاً، والكماليات المزخرفة التي تشغل الذهن وتغيّب الوعي[1].

أما إنسان حضارة الإسلام فهو:

- (عبد)، ولكنه عبد عزيز لله، لا يرضى بعبادة أعظم مخلوق.
- وهو (هيّن ليّن)، ولكنه لا يتذلل لغير الله تعالى.
- وهو (فقير)، ولكنه مُستغن بما عند الله تعالى.

---

(1) النّورسي، الكلمات، ص 855، وصيقل الإسلام، ص 357، مطلب المعرفة.

ـ وهو (ضعيف)، ولكنه يستند إلى قوة سيده المطلقة.

ولأنّ هذا الإنسان مؤمن بأنَّ ما يملكه من نفس ومال هو أمانة لديه، فإنّه يسعى جاهداً لتسليم الأمانة لصاحبها، لذا فهو يشعر بغاية السعادة ما دام ملتزماً بما يأمره به ربه تعالى.

يوضح هذا العرض الموجز أنّ النّورسي كان مُدركاً لأسس حضارة الإسلام وأسس حضارة الغرب، التي فُتن بها من تولوا السلطة في تركيا وفي غيرها من البلاد الإسلامية، وكان على يقين من المصير المرعب الذي سيؤول إليه مجتمعه إن أصرّ حكامه على السير في ركاب الغرب من دون نقد أو تمييز بين ما هو نافع وما هو ضار، لذا تكررت تحذيراته لأبناء الأمة الإسلامية من انجرافهم في حضارة محكوم عليها بالفناء بشهادة أهلها.

المعرفة بين الغرب والإسلام:

يختلف التصوّر الإسلامي للمعرفة عن التصور الغربي بحيث يبدوان كطرفي نقيض، ويتمحور هذا التباين حول مصادر المعرفة وطبيعتها وغايتها. فبينما تنحصر مصادر المعرفة الغربية في الوجود، تمتد المصادر الإسلامية لتشمل الوحي.

وبناء على ذلك فإنَّ المعرفة لدى الفكر الغربي محدودة وقاصرة على التجربة والملاحظة، وفي التصور الإسلامي تمتد إلى الجوانب الغيبية. ومن ناحية ثانية: نجد أن غاية المعرفة في التصور الإسلامي هي التقرب إلى الله وعبادته، والإفادة من الطبيعة بالقدر الملائم، لكنها في التصور الغربي تهدف إلى قهر الطبيعة والسيطرة عليها.

والنظرة الشاملة للمعرفة في الفكر الغربي تجعل من الإنسان سيدًا للكون، حيث يشغل مركزه، وفكرة مركزية الإنسان للكون هذه تعبير عن مأزق التمركز حول الذات الذي يعاني منه التصور الغربي، ولا يمكن الخروج منه إلا بالرجوع إلى الفكرة الصحيحة عن الإنسان، وهي فكرة الاستخلاف في التصور الإسلامي، فالإنسان/ الخليفة سيد في الكون، أما سيد الكون فهو الله، والمنظومة التوحيدية تقوم على المسافة بين الإثنين، فالله مُتعال ومفارق، والإنسان مستخلف في الدنيا يُرشده الوحي ولربه الرُجعى في الآخرة، والتي هي موضوع من موضوعات المعرفة، مصدره الوحي دون غيره لتعطل أدوات المعرفة الأخرى في هذا المضمار.

ولا يُمكن فهم نظرية المعرفة في الإسلام إلا بهذا التركيب والبناء، مع فصل مصدر المعرفة عن حجيتها، فالحدس والإلهام مثلاً مصدرات للمعرفة، ويلاحظ أنّ استخدام الحدس في الوصول للمعرفة قد عرفه الصوفية في الإسلام، حيث يرون أنّ المعرفة العقلية وإن كانت أكثر رسوخًا إذا ما قُورنت بالمعرفة الحسية، إلا أنَّ العقل له مجال محدود لا يتجاوزه، ويأتي دور الحدس في اختراق ما وراء العقل، والحدس لدى الصوفية هو نُور يقذفه الله في قلب الصوفي، بيد أنّ الأحكام الشرعية لا تُبنى عليهما.

المعرفة في التصور الإسلامي:

تدور المعرفة في التصور الإسلامي حول محورين رئيسيين:

1 ـ رفض النّزعة الشّكية و«الاعتقاد» المسيحي: يرفض التصور الإسلامي التعميمات الغربية حول حتمية تحصيل المعرفة عن طريق

المنهج التجريبي، وإلا فإنّ ما لم يُحصَّل من خلال هذا المنهج فهو موضع للشك، وفي ذات الوقت يتعامل التصور الإسلامي بشكل مختلف مع مفهوم الاعتقاد «Faith» في المسيحية، حيث يُفسر هذا المفهوم في الفكر الغربي بأنّه فعل أو عزم به يعقد المرء النية على أن يقبل كشيء صادق ما يُمثل عقبة للعقل. في حين يُقدم التصور الإسلامي مفهوم اليقين كمرادف لمفهوم الإيمان، حيث القضايا الإيمانية هي صادقة في الواقع، وصدقها يُحيط به العقل، أي يفهمه ويقبله يقينًا.

2 ـ التوحيد من حيث هو مبدأ للمعرفة: إنَّ الإيمان بالله والإقرار بوحدانيته تعالى هو المبدأ الأول للإسلام، والوحدانية هي نقطة البحث عن الحقيقة أو المعرفة في الفكر الإسلامي، حيث إنّ وجود الله تعالى وإرادته وأفعاله هي الأُسس الأولى التي يقوم عليها بناء كل الكائنات وكل المعارف وأنظمتها.

مصادر المعرفة في التصور الإسلامي:

1 ـ الوجود: يُؤكد الخالق ـ عز وجل ـ على دور الحواس في اكتشاف المعرفة المحيطة بالإنسان، كذلك النظر العقلي والتأمل والتفكر في الكون ومكوناته، كما دعا الخالق ـ عز وجل ـ إلى عدم تقليد السابقين، لأنّ التقليد يُعطل العقل عن البحث وإدراك الحقيقة.

2 ـ الوحي: يتميز الوحي عن الوجود كمصدر من مصادر المعرفة في الفكر الإسلامي بأنّه يُدرك الحقيقة المطلقة أو يُدرك الأشياء على حقيقتها بشكل مُنزه عن الخطأ. ويقدم الوحي معارف متنوعة، إذ يقدم ـ منفرداً عن كل وسائل المعرفة التي تندرج تحت مصدر

الوجود ـ معرفة تتعلق «بالغيب»! ومعرفة تتعلق بالقوانين الطبيعية في الكون، ومعرفة تتعلق بالسُّنن الحاكمة للوجود الإنساني.

وتتميز المعرفة في التصور الإسلامي بعدد من السمات البارزة:

1 ـ **عدم الفصل بين المعرفة والعمل**: إنّ المعرفة في الرؤية الإسلامية ليست غاية في حدِّ ذاتها، ولكن لا بدّ أن تلحقها مرحلة أخرى تتمثل في السلوك أو العمل.

2 ـ **تكامل المعرفة**: التصور الإسلامي للمعرفة متكامل لا يعرف التّنافر، ولا يحتوي على القطيعة المعرفية بين أجزائه، فهناك تكامل بين الوجود والوحي، وتكامل بين النظر والعمل، وتكامل بين المعرفة العلمية والمعرفة الغيبية، وكل ذلك نابع من تجليات مبدأ التوحيد في وحدة الحقيقة. على العكس من التجربة الغربية، التي حدث فيها التعارض والتنافر بين المعرفة العلمية والمعرفة الدينية.

3 ـ **الإنسان هو خليفة الله في الأرض**: من بين العناصر الهامة التي تُشكل التصور الإسلامي للمعرفة تحديد مركز الإنسان من العالم باعتباره حاملاً للأمانة الإلهية ما جعله خليفة لله في أرضه، ومضمون هذه الخلافة هو إعمار الكون والإصلاح فيه وعبادة الله (سبحانه وتعالى).

نظرية المعرفة من خلال رسائل النور

اتّبعت الرسائل منهجاً دقيقاً في رسم نظرية واضحة للمعرفة الكونية والإنسانية، حتى لا يضلَّ الإنسان، ولا سيما المسلم في تيه العبثية والعشوا ئية.

رفض النّورسي الغوص في التاريخ وما أنتج فيه من معارف مرتبطة بالزمان والمكان، تمثل صراعات المصالح والغرائز في هذه الأرض، والتجأ إلى القرآن الكريم مباشرة كي يرسم نقطة الانطلاق لبناء المجتمع الجديد.

استبعد علم الكلام القديم ولم يعرض مادته المعرفية؛ لأنها لم تكن تتّصل بمشكلات عصره وهُموم المسلمين في القرن الرابع عشرالهجري، ولأنّ منهجها لم يكن منهجاً قرآنياً، اذ هي لم تستنبط مباشرة من القرآن الكريم.

ورفض مناهج الفلسفات القديمة، لأنها انفردت بفهم الوجود من خلال عقل مادي لا يتجاوز عالم الشهادة، ويفهم ظاهراً من الحياة الدنيا، فهي فلسفات وثنية لا تليق بالانسان المُكرم ولا يُشرفه أن يكون تلميذاً لها[1].

بينما المنهج القرآني منهج صاف مباشر، يُخاطب الكينونة الإنسانية مجتمعة، ويُوقظ فيها الفطرة النظيفة.

منطلق النّورسي لفهم قضايا الوجود:

ينطلق النّورسي من «الكُل الشمولي» للقرآن الكريم في مخاطبة الفطرة الإنسانية. إنه لا يضع بين الحس والعقل والحدس خطوطاً فاصلة، وإنما يدمجها في وحدة قرآنية للسير إلى الله سبحانه وتعالى، والتغلغل في فهم الجزئيات الدقيقة في المعرفة الكونية.

---

(1) النّورسي، الكلمات، ص 144، 644، 648.

إنّه يقف أمام قرآن الكون ليقرأه قراءة شاملة عميقة ليصل إلى الله تعالى من خلال تناسقه المُعجز ونظامه وجماله وفنه العجيب وقانونه الموحد وحركته المتوازنة.

وحينئذ فقط، يعود الانسان إلى حجمه الصغير، فيشعر بالفقر والتذلُّل والصغار والتضرع إلى خالق كل هذا الكون وحده، ليكبر في حجمه تُجاه المتكبرين والعالين في الأرض بغير الحق «لأنَّ من كان ضيفاً عند هذا الجواد الكريم جلَّ وعلا، كيف يكون الفقر والحاجة إليه مؤلما وثقيلا»[1].

إنَّ ملاحظة نظام العالم في ظل هذه القراءة الربانية الكاشفة عن حركة الكائنات، وفقرها إلى الخالق العظيم، هو الذي يدخل الطمأنينة الواعية في الكيان الانساني. لأنّه حينئذ يشعر بأنّ استمداد وجوده من الله تعالى هو جزء من فقر الكائنات إليه[2].

فالنّورسي يريد العقل الذي يبيع نفسه إلى الخالق عز وجل، ولا يجعل نفسه نداً متمرداً عليه سبحانه، لأنك إن لم تستعمله في سبيل كشف الحقيقة الربانية، بل جعلته يستسلم إلى الهوى والنفس الطاغية، فإنه يتحول إلى عضو مشؤوم، إذ يحملك آلام الماضي الحزينة وأهوال المستقبل المخيفة.

ولكن إذا سلكت بالعقل في سبيل الله وبعته لله، فإنه حينئذ يكون مفتاحاً رائعاً يفتح ما لا يُعد من خزائن الرحمة الإلهية، وكنوز الحكمة

---

(1) النّورسي، الكلمات، ص 29.

(2) النّورسي، الكلمات، ص 806.

الربانية. فأينما ينظر صاحبه وكيفما يفكر يرى الحكمة الإلهية في كل شيء وكل موجود وكل حادثة، ويشاهد الرحمة الإلهية تتجلّى على الوجود كله، فيرقى العقل بهذا إلى مرتبة عقل مرشد رباني يُهيئ صاحبه للسعادة الخالدة[1].

ويُحذر النّورسي من شرور العقل إذا انفرد بموضع الأساس المعرفي للوجود بموازينه المحدودة ومنطلقاته المنفردة الخاطئة.

لأنه حينذاك سيجعل القوة نقطة الاستناد في الحياة الاجتماعية، ويلتزم بالتعصّب العُنصري البغيض الذي ينتهي إلى الخصام والتمزق في الكيان البشري.

وبعد استقراءات عميقة وواسعة للحضارة العقلية المتمردة المعاصرة، انتهى النّورسي إلى أنَّ شأن القوة الاعتداء، وشأن المنفعة هو التزاحم، وشأن الصراع هو النزاع والجدال، وشأن العنصرية هو التجاوز على الآخرين. بينما إذا انضم العقل إلى الكينونة الإنسانية، استند حينئذ إلى حكمة القرآن الكريم، فعوضاً عن النظرة المدمرة للحياة نظرة أخرى راحمة، فيترك القوة ويتمسك بالحق، ويستبدل بالمنفعة الوقوف عند الفضائل ويعتمد على التعاون أساساً في الحياة بدل الصراع. وبذلك تتحقق الإنسانية في أعلى مستوياتها في ظل عبودية المخلوقات كافة لرب العالمين[2].

وعن المعرفة الحدسية أو الإلهامية التي تظهر بالكشف عبر الرياضة

---

(1) النّورسي، الكلمات، ص 23.

(2) المصدر نفسه، ص 23.

الروحية في مدارج السالكين إلى الله تعالى. فالنّورسي يؤمن بأصل هذا الطريق، ولديه يقين جازم في أخبار أهل الذوق والكشف[1].

ولكن تفاصيله ليست قطعية، اذ من الممكن أن يحصل خطأ أو تشويه في حُكم من أحكامه ومشاهداته، في حالة الشهود، التي لا ضوابط ولا حدود لها. والكتاب والسُّنة هما الميزان لتصحيح الأخطاء، ويُبنى على ذلك أنَّ درجة الشهود أدنى بكثير من درجة الإيمان بالغيب. لذلك فالكشفيات التي لا ضوابط لها لا تبلغ أحكام الأصفياء والمُحققين من ورثة الأنبياء الذين لا يستندون إلى الشهود بل إلى القرآن والسُّنة اللذين يرجع إليهما وحدهما جميع الأحوال الروحية والكشفيات والأذواق والمشاهدات[2].

وفي ردِّه على نظرية وحدة الوجود يقول النّورسي: «نعم إنَّ الصراط المستقيم هو طريق الصحابة والتابعين والأصفياء الذين يرون أن حقائق الأشياء ثابتة، وهي القاعدة الكلية لديهم. وهم الذين يعلمون أنَّ الأدب اللائق بحق الله سبحانه وتعالى. وهو قوله ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ أي إنه منزّه عن التشبيه والتحيز والتجزؤ، وأنَّ علاقته بالموجودات علاقة الحقائق بالمخلوقات. فالموجودات ليست أوهاماً كما يدّعي أصحاب وحدة الوجود. بل هذه الأشياء الظاهرة هي من آثار الله سبحانه وتعالى»[3].

وعليه فإنَّ الصراط المستقيم، بل صراط الولاية الكبرى عنده، ما

---

(1) النّورسي، الكلمات، ص 24، 157، 255 .

(2) النّورسي، المكتوبات، ص 105 .

(3) النّورسي، المكتوبات، ص 106 .

هو إلا طريق الصحابة والأتقياء والأصفياء والتابعين وأئمة أهل البيت والأئمة المجتهدين. وهو الطريق الذي سلكه تلاميذ القرآن الأوائل(*).

ولذلك فالإلهام عنده ليس مصدراً مستقلاً عن الوحي الإلهي في القرآن الكريم والسّنة النبوية الشريفة، إنما تأتي إشراقته ببركتها وقوة الالتزام بأحكامها.

لأنَّ الوحي الإلهي هو الأساس في الوجود، عقيدة وشريعة وسلوكاً، فإذا كان للحس مجاله، وللعقل مجاله، في عالم الشهادة وفي

(*) يرفض النّورسي مناهج الطرق الصوفية التي جانبت القرآن والسنة في السلوك إلى الله تعالى ولم تنج من لوثة الأخطاء والانحرافات، فيقترح لذلك طريقا قرآنيا خالصاً مختصراً إلى الله تعالى، لا شائبة فيه للاجتهادات الفردية والالهامات الباطلة، وليست فيه عقبات وتعقيدات، من أربع آيات في كتاب الله، تنحصر في خطوات أربع هي: العجز، الفقر، الشفقة، التفكر.

فالعجز أقرب وأسلم طريق إلى الله تعالى، اذ هو يوصل إلى المحبوبية بطريق العبودية. والفقر مثله يوصل إلى إسم الرحمن. والشفقة كذلك موصل إلى الله تعالى، إلا أنه أنفذ من الفقر في السير وأوسع مدى، اذ يُوصل إلى اسم الله الرحيم.

والتفكر كالعشق، إلا أنه أغنى منه وأسطع نوراً وأرحب سبيلا اذ يوصل السالك إلى اسم الله الحكيم.

ويستنبط النّورسي هذه الحقائق من قوله تعالى ﴿فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمْ﴾ وقوله ﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ نَسُواْ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ﴾ وقوله ﴿مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ﴾ وقوله ﴿كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾.

فهذه خطوات أربع تمثل الحقيقة الشرعية، أكثر مما تعبِّر عن الطريقة الصوفية.

ويقول موضحاً: «ولا يذهبن بكم سوء الفهم إلى الخطأ. فالمقصود بالعجز والفقر والتقصير، انما هو اظهار ذلك كله أمام الله سبحانه وليس إظهاره أمام الناس».

أما أوراد هذه الطريق القصير وأذكارها فتنحصر في اتباع السنة النبوية والعمل بالفرائض، ولا سيما إقامة الصلاة باعتدال الأركان والعمل بالأذكار عقبها وترك الكبائر. الكلمات: ص 560، 561.

قيادة الإنسان إلى الله تعالى، والوقوف عند حافة دقائق وحقائق عالم الغيب. فما بعد تلك الحافة إلى العمق مجاله غيب، لا يُحيط به إلا علم خالقه سبحانه. فحتى تتكامل معرفة الانسان بحقائق الوجود كله، أمده الله تعالى بالنبوة وجعلها مصدر الحقائق النهائية عن طريق الوحي الالهي.

ويُؤكد النّورسي أنّ التحول الحقيقي في حياة الإنسان يبدأ من هذه النقطة الخطيرة. لأنَّ معنى «أنا» في الإنسان يتحول إلى معنى في غيره، ووجوده يقوم بوجود غيره. لأنّ مالكيته للأشياء وهمية، أي أنَّ له مالكية مُؤقتة ظاهرية بإذن مالكه الحقيقي. وحقيقته واحدة حقة، وظيفته القيام بطاعة مولاه طاعة شعورية كاملة ميزاناً لمعرفة صفات الله خالقه ومقياساً للتعرف على شؤونه سبحانه.

أما الوجه الثاني لـ «أنا» الذي يرى نفسه في نفسه عكس ذلك، أي إنه يرى أنّ له ماهيته الحقيقية في ذاتها وليس من خالقها. أي يدل معناه على نفسه لا في غيره، ووجوده أصيل، لا تبعي. ومالكيته حقيقية لا وهمية، ووظيفته عبادة نفسه لا خالقه. هذه «أنا» المتمردة الشاردة هي التي أنتجت فلسفة مظلمة شريرة ضالة، تعمل لأجل نفسها لا لغيرها، أي تعمل بمعزل عن الوجود الحقيقي والمالك الحقيقي. ومن هُنا فإنها لم تلتق بالنبوة ورسالاتها، ولم تكن بخدمتها والكشف عن أهدافها[1].

ولما كان الرسول الأكرم هو الآية الكبرى وكتاب الكون الكبير، لذلك لا يحتاج معه في التعرف إلى عالم الغيب غيره من مصادرالمعرفة

---

(1) النّورسي، الكلمات، ص 637.

المادية، بل إننا بتلك المصادر نثبت ذلك البرهان الحق، إذا استعملنا موازيننا بإنصاف واتِّزان وتعقل، لأنَّ القرآن(*) الناطق فيه النور كله والدعوة كلها والحكمة الصائبة كلها، وحقائق جواهر المعاني جميعها[1].

والنّورسي لا يُؤمن بالمعرفة الجزئية التي كانت تُعالج بمعزل عن القرآن الكريم. وكان يعدها من نقائص العقل البشري، بينما هو يعكس القضية، فينطلق من القرآن إلى التوغل في جزئيات الوجود. فهو بذلك طريق أمين.

فطريق القرآن الكريم هو وحده الذي يُوصل إلى الله سبحانه، لأنّه

(*) يصف النّورسي القرآن الكريم الذي فيقول:
«هو الترجمة الأزلية لهذه الكائنات. والترجمان الأبدي لألسنتها التاليات للآيات التكوينية، ومُفسر كتاب العالم. وهو كشاف لمخفيات كنوز الأسماء المستترة في صحائف السموات. وكذا هو لسان الغيب في عالم الشهادة. وكذا هو خزينة المخاطبات السبحانية والالتفاتات الأبدية الرحمانية. وكذا هو أساس وهندسة وشمس لهذا العالم المعنوي الإسلامي وكذا هو خريطة للعالم الأخروي. وكذا هو قول شارح وتفسير واضح وبرهان قاطع وترجمان ساطع لذات الله وصفاته وأسمائه وشؤونه. وكذا هو مُربٍّ للعالم الانساني. وكالماء وكالضياء للإنسانية الكبرى التي هي الإسلامية.. وكذا هو الحكمة الحقيقية لنوع البشر. وهو المرشد المهدي إلى ما خُلق البشر له. وكذا هو الانسان: كما إنه كتاب شريعة كذلك كتاب حكمة. وكما إنه كتاب دعاء وعبودية كذلك هو كتاب أمر ودعوة. وكما أنه كتاب ذكر كذلك هو كتاب فكر وكما انه كتاب واحد، لكن فيه كتب كثيرة في مقابلة جميع حاجات الانسان المعنوية. كذلك هو كمنزل مقدس مشحون بالكتب والرسائل. حتى إنه أبرز لمشرب كل واحد من أهل المشارب المختلفة ولمسلك كل واحد من أهل المسالك المتباينة من الأولياء والصديقين ومن العرفاء والمحققين، رسالة لائقة لمذاق ذلك المشرب وتنويره ولمساق ذلك المسلك وتصويره، حتى كأنه مجموعة الرسائل» أنظر: الكلمات: ص 264.

(1) النّورسي، الكلمات، ص 254 ـ 268، واللمعات، ص 196.

أقرب الطّرق إلى إثارة الفطرة الإنسانية، وأكثرها انطباقاً على آيات الأنفس والآفاق[1]، لأن الوجود قرآن واحد بثلاثة وجوه.

وعليه فأصول المعرفة التي آمن بها النورسي، هي الأصول القرآنية التي يأخذ بعضها برقاب البعض الآخر من الحس والعقل، لكن في اندماج قرآني واحد.

وهذا ما دفع النورسي أن يرسم في رسائله منهجاً قرآنياً راسخاً، لا يرتبط بمرحلة معينة ولا برهان معين. وإنّما هو المنهج الذي يشكل السقف المتين فوق تاريخ الأمة الإسلامية، لكن بلغة العصر وصراع العصر في مواجهة العصر.

وهذا هو سرّ نجاحه في دعوته الإسلامية لانقاذ الإيمان في هذا العصر، لأنه لم ينطلق من مناهج تاريخية ضيقة كانت تشكل صراعات ماضية بين الحضارة الإسلامية والحضارات الغازية، والتي استنفذت أغراضها في العصر الحديث، وظهرت مكانها مُشكلات داخلية وخارجية، عدم معالجتها بعمق وعصرية يُشكل خطورة كبيرة على مستقبل العالم الإسلامي. وإنما انطلق من «الكل القرآني» الذي يقرأ الكون ببراهينه الثلاثة، برهان الكون المنظور «الكائنات» وبرهان الكون المقروء «القرآن الكريم» والبرهان الناطق «رسول الله(ص)».

(1) النّورسي، المثنوي العربي، ص 428.

المبحث الثاني

النّورسي والقومية

أجمع أغلب الباحثين على أنَّ القرن التاسع عشر كان عصر انتشار وظهور فكرة القومية، غير أنهم اختلفوا فيما بينهم في تحديد مدلول مصطلح «القومية». ويرجع هذا الاختلاف إلى كون هذا المصطلح مُتصل بالدراسات الاجتماعية والسياسية التي تتناول قضايا حية ومُتغيرة ومُعقدة متصلة بالسلوك الإنساني غير الثابت. كما يرجع من ناحيه أخرى إلى اختلاف المدارس الفكرية والفلسفية للباحثين.

ومصطلح القومية في اللغة مشتق من أصل كلمة «قوم»! والقوم هم الجماعة الذين يقومون قومة واحدة للقتال، فهي تعني: علاقة القوم فيما بينهم، وهي جمع لا واحد له، والقوم هم جماعة من الناس تربطهم علاقات اجتماعية، وقد وردت بهذا المعنى في قوله تعالى: ﴿كَيْفَ يَهْدِى ٱللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ﴾ [آل عمران: 86]، أو قوله عز وجل أيضاً: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾ [إبراهيم: 4]، وقال أيضاً: ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ﴾ [الأعراف: 109].

وقد نفّر القرآن من الرّكون إلى الأسرة والقبيلة والوطن والمال بقوله:

﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ [التوبة: 24].

كما حقّر الرسول (ص) من يُنادي بالعصبية، وقد ظهرت فكرة القومية في اصطلاح الباحثين في القرون المتأخرة(*)، ولاسيما في منتصف القرن التاسع عشر، واختلف النظر إليها باختلاف المدارس الفلسفية الأوروبية التي تناولتها. وأوضح مثال على هاته المدارس المدرسة الفرنسية والمدرسة الانجليزية، حيث كان لكل منها نظرية خاصة بها[1].

أما بالنسبة لتركيا فقد ظهرت فكرة القومية التركية أواسط القرن التاسع عشر في شكل حركة فكرية تهدف إلى: جمع الأتراك في أنحاء العالم لتكوين أمة عظيمة تتبوأ مكانها بين أمم العالم.

وظهرت بموازاة مع ولادة هذه الفكرة مصطلحات وأدبيات، أبرزها كلمة «طُوران»! وقد أُطلقت على البلاد التي يقطنها الأتراك، ثم أصبح

(*) اصطلاحا تعني الانتماء إلى أمة معينة والتعلق بها وتقوم على عنصرين، عُنصر موضوعي يتمثل في الروابط المشتركة التي تجمع بين أفراد الأمة. الاشتراك في اللغة أو العقيدة، وعنصر معنوي أو شعوري، يتمثل في الحالة النفسية التي يولدها الشعور بالانتماء والتعلق بالوحدة.

(1) نور الدين حاطوم، تاريخ الحركات القومية، ص 5.

الهدف منها جمع شمل جميع الفصائل التركية في وحدة لغوية وأدبية وثقافية وسياسية[1].

النّورسي والقومية:

عالج النّورسي موضوع القومية مُعالجة شمولية وقد حاول ـ في رسائل عديدة ـ تحليل عناصر الموضوع تحليلاً عقدياً مبيناً أبعاده السياسية والاجتماعية.

وتكاد المسألة الثالثة من (المكتوبات) تكون أشمل مكان تناول فيه قضية (القومية) وحيث يفتتح الموضوع بقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ﴾ [الحجرات: 13].

فجوهر المسألة كما تقرره الآية الكريمة: «أي خلقناكم طوائف وقبائل وأمماً وشعوباً كي يعرف بعضكم بعضاً، وتتعرفوا على علاقاتكم الاجتماعية.. ولم نجعلكم قبائل وطوائف لتتناكروا فتخاصموا».

ويُحلل عناصر الموضوع على الشكل التالي:

- إنَّ الحقيقة التي تُفيدها الآية الكريمة لها علاقة بالحياة الاجتماعية والسياسية، «لذا اضطررت إلى كتابة هذا المبحث لإقامة سدٍّ أمام «المجتمعات الظالمة» لكن بلسان (سعيد القديم) الذي كان يقتحم مجال السياسة»[2].

- تشبيهه المجتمع الإسلامي بالجيش العظيم، وقد قُسم إلى قبائل

(1) سهيل صابان، الأوضاع الثقافية في تركيا، ص174.

(2) النّورسي، المكتوبات، ص 413، 414 وانظر: كتاب القوميات، ص77.

وشعوب مع وجود آلاف عوامل الوحدة بينهم، إذ خالقهم واحد ورسولهم واحد، وكتابهم واحد، ووطنهم واحد. . وكل مظاهر الوحدة هاته تقتضي الأخوة والمحبة والوحدة، إذن فليس الانقسام إلى طوائف وقبائل، كما تُقرره الآية الكريمة ـ إلا للتّعارف والتعاون.

- يعترف النّورسي بانتشار الفكر القومي ورُسوخه في هذا العصر، مُؤكداً أنَّ الأوربيين أثاروا هذا الفكر بشكله السّلبي في المسلمين بهدف تشتيت وحدتهم ثم السيطرة عليهم.

مواجهته للقوميات:

يرى النّورسي أنَّ حضارة القرآن تجعل وحدة الدِّين والوطن بدل الرابطة العنصرية، ونتيجة لذلك تنمو الأخوة الإسلامية بين الناس (رسالة الأخوة)[1]. لذلك:

نحن معاشر المسلمين، الدين والملِّية عندنا مُتحدان بالذات والاختلاف اعتباري. . .[2]. ونحن الشرقيون لا نُشبه الغربيين فالشعور الديني مُهيمن على قلوبنا.

ويُقسم النّورسي القومية إلى قسمين: قسم إيجابي وآخر سلبي.

ـ القسم السّلبي: ويظهر في نفس الإنسان عندما يتكبر ويعادي الآخرين ويحاول ابتلاعهم مما يؤدي إلى الخصام والنزاع، لذا ورد في

(1) د. حسين جليل، بديع الزمان وفكره الاتحادي، المؤتمر العالمي 1996، ط1 ص451.

(2) مؤتمر استانبول سنة 1989م. أنظر بديع الزمان، الخطبة الشامية ص 77.

النصوص الشرعية نهي صريح عن القومية السلبية والعنصرية، قال تعالى: ﴿إِذْ جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ وَكَانُوٓا۟ أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا﴾ [الفتح: 26].

ويُورد أمثله بأحداث من التاريخ، لكنها ذات مدلولات واحدة في إبراز أضرار القومية السلبية قائلاً: «إنَّ الأمويين خلطوا شيئاً من القومية في سياساتهم فأسخطوا العالم الإسلامي، فضلاً عما ابتلوا به من بلايا كثيرة نتيجة الفتن الداخلية. وكذلك أوروبا لما دعوا إلى العُنصرية وأوغلوا فيها، نجم العداء التاريخي المليء بالحوادث المريعة بين الفرنسيين والألمان. كما أظهر الدمار الرهيب الذي أحدثته الحرب العالمية مبلغ الضرر الذي يُلحقه هذا الفكر السلبي للبشرية»[1].

ثم ينتقل من أمثلة التاريخ إلى أحداث واقعه القريبة، فيذكّر بما ترتّب على إنشاء الجمعيات المختلفة لبعض القوميات في الدولة العثمانيّة من التفرق واللجوء إلى الأجانب.

ويُنبّه إلى أنَّ أي إثارة للعداء الداخلي، أو عدم الانتباه إلى الأطماع الأوربية يُعدُّ جنوناً صريحاً كجنون من يهتم بلسع البعوض ولا يُبالي بالثعابين الحائمة حوله فإنماء روح العداء إزاء المواطنين القاطنين في الولايات الشرقية (الأكراد)، أو إخواننا في الدين في الجنوب (العرب) هلاك وضرر وَبيل، إذ ليس بين أفراد الجنوب من يستحق أن يُعادى حقاً، بل ما أتى من الجنوب إلا نور القرآن وضياء الإسلام الذي شعَّ

(1) النّورسي، المكتوبات، ص 414.

نوره فينا وفي كل مكان. فالعداء لأولئك الإخوان في الدين، وبدوره العداء للإسلام، إنما يمس القرآن، وهو عداء لجميع أولئك المواطنين ولحياتهم الدنيوية والأخروية[1].

القومية الإيجابية، وهي نابعة من حاجة داخلية للحياة الاجتماعية، وهي سبب للتعاون والتساند، وبها تتحقق القوة النافعة للمجتمع. والفكر القومي الإيجابي يجب أن يكون خادماً للإسلام لا بديلاً عنه، لأنَّ الأخوة التي يمنحها الإسلام تتضمن آلاف الروابط الخالدة، لذا لا تكون الأخوة القومية مهما كانت قوية إلا ستاراً من أستار الأخوة الإسلامية.

ـ يعيبُ النّورسي على الأقوام في آسيا تقليدها الأعمى لأوروبا في كل شيء وتمسكها بالقومية السلبية وهو ما أدى بها إلى التضحية بكثير من مُقدساتها، بل أدى بها إلى حالة من الهزء والسخرية، فتقليد أوربا لا يليق بها ـ كما يرى النّورسي ـ للأسباب التالية:

ـ اختلاف آسيا عن أوربا، فآسيا أرض أكثر الأنبياء، أما أوربا فهي أرض أغلب الفلاسفة والحكماء، مما يُشير إلى أن ما يُوقظ أقوام آسيا ويدفعهم إلى الرّقي هو الدين والقلب، أما الفلسفة والحكمة، فينبغي أن تعينا الدين والقلب لا أن تحلا محلهما.

ـ قياس الإسلام بالنصرانية قياس فاسد، لأنَّ أوروبا عندما كانت متمسكة بدينها ومتعصبة له لم تكن متقدمة، وعندما تخلت عنه تقدمت.

وقد أثار تعصبها الديني نزاعات داخلية دامت ثلاثمائة سنة، لأنَّ

---

(1) النّورسي، المكتوبات، ص 415.

الحكام اتّخذوا الدِّين وسيلة لسحق العوام والفقراء وأهل الفكر والعلم حتى تكوّن لدى هؤلاء نوع من السخط على الدِّين.

أما في الإسلام، فلم يكن الدين سبباً للنزاع الداخلي، ويشهد التاريخ أنه متى التزم المسلمون بدينهم تقدموا ومتى أهملوه تخلّفوا. كما أنّ الإسلام ليس عدواً للفقراء والعوام، بل هو حاميهم بفرضه الزكاة وتحريمه الربا وسنّه الكثير من التشريعات لحمايتهم.

والإسلام أيضاً يحمي أهل العلم، دليل ذلك الإشادة بالعقل والعلم في كثير من الآيات القرآنية ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ﴾ . . . ﴿أفلا يتفكرون﴾ . . . ﴿أَفَلَا يَعْقِلُونَ﴾.

ولهذا فلا مُجافاة بين الإسلام والفقراء، ولا تناقض بين الإسلام والعقل، فهو دائماً قلعة الفقراء وحصن العلماء[1].

ويُقدم النورسي دليلاً تاريخياً ومادياً لإبطال دعوى العُنصرية والقومية السلبية، فقد وقعت هجرات كثيرة في مناطق مختلفة من الأرض، ولاسيما آسيا الوسطى، وأثناء تلك الهجرات امتزجت الأقوام. وقد قدم كثير منها إلى بلاد الأناضول بعد أن أصبحت مركزاً للخلافة الإسلامية، لذا يصعب تمييز كل عنصر عن غيره.

خطاباته للقوميات:

لقد سلك النّورسي نهجاً مضاداً لدعاة الطّورانية الذين حاولوا تتريك الدولة وتتريك الإسلام والشعوب بدعوته إلى تعميم اللغة العربية،

---

(1) النّورسي، المكتوبات، ص 417.

لاعتقاده الراسخ أنّ اللغة العربية هي أوثق رابطة تربط بين المسلمين، وهي ألزم وسيلة لفهم الدين ضروراته.

كما أراد أن يكون الحُكم باسم الإسلام لصالح الإسلام، وليس الحُكم باسم الإسلام لصالح الترك. وهذا ما أكد عليه في خطابه لمجلس الأمة في (19/ 1/ 1922م) بعد الانتصار العسكري على العدو الأجنبي قائلاً: «لقد أبهجتم العالم الإسلامي بهذا الانتصار وكسبتم ودّهم وإقبالهم عليكم، ولكن هذا الوِد والتوجه نحوكم إنّما يدومان بالتزام الشعائر الإسلامية، إذ يحبكم المسلمون ويودُّونكم لأجل الإسلام»[1].

وخاطب الأتراك قائلا:

«يا أبناء الوطن من أهل القرآن،... إنَّ بعض المُلحدين الذين يشغلون مناصب مهمة يشنُّون هجوماً.. اذ يقولون أنتم أتراك وفي الأتراك أصناف العلماء.. وإنّما سعيد كُردي فالتعاون مع من ليس من قوميتكم يُنافي القومية»[2].

«أيها الأخ التركي احْذر وانتبه!! أنت بالذات قوميتُك امتزجت بالإسلام امتزاجاً لا يُمكن فصلها عن الإسلام. ومتى حاولت عزلها عن الإسلام فقد هلكت إذاً وانتهى أمرك، ألا ترى أنَّ مفاخرك في الماضي سُجلت في سجل الإسلام، وأنّ تلك المفاخر لا يُمكن أن تُمحى من الوجود قطعا فلا تمحها أنت من قلبك»[3].

---

(1) النّورسي، المثنوي العربي، ص 200.
(2) د. حسين جليل، بديع الزمان وفكره الإتحادي، ص 544.
(3) النّورسي، المكتوبات، ص 417.

خطابه للأكراد: (*)

قال لأحد المشايخ الأكراد بخصوص الحركة الكردية: «إنَّ مثل هذه

(*) أيها الشعب الكردي!
في الإتفاق قوة.. في الإتحاد حياة.. في الأُخوة سعادة.. وفي الدولة والحكم سلامة.
تمسكوا بعِصَم الإتحاد واعتصموا بحبل المحبة وبقوة، لكي تتخلصوا من البلايا والمحن!
إسمعوني جيداً.! كي أقول لكم شيئاً:
إعلموا بأننا نمتلك ثلاثة جواهر يتعيّن علينا حفظها:
الجوهرالأول: الإسلامية، التي من أجلها ضحت الألوف المُؤلفة بدمائهم الغالية.
الجوهرالثاني: الإنسانية، التي يجب علينا وعن طريق تقديم الخدمات العقلية والفكرية والرجولة والإنسانية، جلب أنظار الناس إلينا.
الجوهرالثالث: القومية «المِللية»، التي أعطتنا ميزة خاصة بنا.. والذين سبقونا، بقي ذكرهم الجليل بفضل صلاحهم وطيبتهم.. ونحن بسلوكنا وإحتفاظنا بالروح القومية، علينا أن نجعل أرواحهم في قبورهم سعيدة.
ثم لدينا ثلاثة أعداء يدمروننا:
العدو الأول: الفقر، والدليل على ذلك وجود 40 ألف حمّال «كردي» في إسطنبول.
العدو الثاني: الجهل والأمية، وبسببهما لا يوجد من بين كل ألف شخص منا، واحد يستطيع قراءة جريدة.
العدو الثالث: العداوة والاختلاف، اللذان تسببا في ضياع قوتنا. لذلك نحن بحاجة إلى تربية وتوجيه.. والحكومة لكونها غير منصفة، ظلمتنا.
عندما تعرفون ذلك.. اعلموا أنّ علاجنا يكمن في أن نضع في معصمنا ثلاثة أسورة من الماس.. آنذاك باستطاعتنا طرد الأعداء الثلاثة من بيننا، وتلكم الأسورة هي:
أولا: سوار المعرفة والقراءة.
ثانيا: سوار الاتفاق والمحبة القومية.
ثالثا: سوارٌ، أن يُؤدي الإنسان ما على عاتقه بيده، وأن لا يكون كالسفلة الذين يتواكلون ويعتمدون على جُهد وقدرة الآخرين.
الوصية الأخيرة:
القراءة.. القراءة.. القراءة..! و: الإتحاد.. الإتحاد.. الإتحاد..
(نُشرت هذه الوصية في العدد الأول من جريدة التعاون والترقي الكردية الصادرة في إسطنبول / تشرين الثاني 1908م. وهي منشورة في موقع سه رحه د الكردي. وما ورد بين العلامتين « » من إضافة المترجم للتوضيح).

الحركة وهذا التصرف مُخالف للشريعة، وأغلب الظن أن مصدرها ومثيرها الأصابع الخارجية لا يمكن جعل المطالبة بالشريعة آلة وذريعة لمخالفة الشريعة نفسها»[1].

ورد على رسالة الشيخ سعيد بيران التي يدعو فيها للمشاركة في الثورة قائلاً:

«نحن مسلمون والأتراك إخواننا، فلا تجعلوا الأخ يقتل أخاه فهذا لا يجوز شرعاً، إنَّ السيف لا يُشهر إلا بوجه الأعداء الخارجيين، فلا يستعمل السيف في الداخل، إنّ السبيل الوحيد للخلاص، في هذا الزمان هو القيام بإرشاد الناس إلى حقائق القرآن وإلى حقائق الإيمان، والقيام بمكافحة الجهل الذي هو أكبر أعدائنا، لذا أرى أن تَصْرفوا النظر عن محاولتكم هذه لأنّها محكومة بالاخفاق، إذ سيهلك الآلاف من الرجال بسبب حفنة من القتلة والمجرمين. .» (يقصد الاتحاديين)[2].

خطاب للعرب: قال في الخطبة الشامية التي ألقاها في الجامع الأموي 1911م: « فيا إخواني العرب. . ما صعدت هذا المنبر. . لأرشدكم فشأننا معكم شأن الصِّبيان مع الكبار، فنحن تلامذة بالنسبة إليكم وأنتم أساتذة لنا ولسائر أمة الإسلام. . إنّما حازت جميع قبائل الإسلام وفي مقدمتها طوائف الترك والعرب نوعاً من السعادة الدنيوية بتسليمهم الأمر إلى الله والرِّضى بقضائه وقدره ورؤية الحكمة وتلقي دروس العبرة من الحوادث، بدل الرّهبة والهلع»[3]. «أملنا بالله عظيم أن

---

(1) أحمد النعيمي، الحركات الإسلامية الحديثة في تركيا، ص 80.

(2) أورخان محمد علي، سعيد النّورسي رجل القدر في حياة أمة، ص 114، 115.

(3) الخطبة الشامية، ص 82، وجاسم مشار، مصدر سابق، ص 84.

يتخلّى العرب عن اليأس ويمدوا يد العون والوفاق الصادق إلى التّرك الذين هم جيش الإسلام الباسل فيرفعوا معاً راية القرآن عالية خفاقة في أرجاء العالم إن شاء الله، أيها الإخوة. . إنَّ الإسلام وحده سيكون حاكماً قارات المستقبل حكماً حقيقياً وإنه سيقود البشرية إلى السعادتين الدنيوية والأخروية»[1].

---

(1) النّورسي، الخطبة الشامية ص 145.

المبحث الثالث

الوحدة الإسلامية

شغل موضوع الوحدة حيزاً واسعاً من اهتمام الأمة طوال القرون، فقد عاشت الأمة حالة الانقسام السياسي والفقهي.. لكن في القرون السابقة كان الانقسام إلى حدّ كبير حالة داخلية وتأثير الخارج إن وُجد كان محدوداً، ولم يُهدد عقيدة الأمة ومخزونها الحضاري، ولم تُواجه الأمة تحدياً ثقافياً، إلى أن فاجأها الغزو الغربي، بهجوم ومخططات من نوع غير مسبوق، مُستفيدا من الهوة الواسعة بين ما وصلت إليه المدنية الغربية وواقع العالم الإسلامي أواخر القرن التاسع عشر، مستهدفاً إضافة للاحتلال والسيطرة، إبعاد ما تبقّى في حياة الأمة من وجوه الحياة الإسلامية عبر فرض الفكر الغربي في مختلف المجالات، على خلاف الغزوات التي تعرض لها العالم الإسلامي في مرات سابقة، حيث كان الغُزاة يكتفون بالسيطرة العسكرية دون السّعي لإحداث تأثيرات أعمق تمس المنظومة العقائدية وامتداداتها الثقافية والاجتماعية والقانونية...، الأمر الذي أوجد تحدياً مختلفاً وردّة فعل إسلامية مختلفة، في السابق كانت الهزيمة عسكرية تدفع الأمة للوحدة في إطار الجهاد، أما واقع

الهجمة اليوم فقد فرض واجباً جهادياً واسعاً يتصدى لكافة مجالات الغزو الفكري والثقافي والسياسي والاقتصادي والعسكري.

لقد كان **النورسي** مُدركاً لحجم التحدي، وهذا الذي قاده لإدراك أهمية وحدة الأمة لمواجهة الغزو الغربي، لذلك سعى لتحقيق الوحدة في إطار الدولة العثمانيّة، ونبذ النزعة القومية التي تهدد الوحدة الإسلامية، مُستعيناً بجهود من سبقه في الدعوة للاصلاح والوحدة الإسلامية: «.... **فأسلافي في هذه المسألة هم الشيخ جمال الدين الأفغاني**(*) ومُفتي الديار المصرية الشيخ «**محمد عبده**»، ومن العلماء الأعلام «**علي سعاوي**» والعالم «**تحسين**» والشاعر «**نامق كمال**» الذي دعا إلى الاتحاد الإسلامي»[1].

ويُمكن ملاحظة الجذورالأولى لتأصيل فكره الوحدوي، عند دعوته المسلمين (سُنة وشيعة) إلى تجاوز ما عساه أن يكون سبباً للفرقة

(*) سار النّورسي على طريق سابقيه من رواد الإصلاح والدعوة للوحدة الإسلامية، ولاسيما جمال الدين الأفغاني الذي يُعد أبرز من دعا المسلمين إلى لمّ شتاتهم وتوحيد صفوفهم، حتى إن رسالته تكاد تلخص في كلمتين، هي الجامعة الإسلامية ( )، فصحيفة العروة الوثقى التي أصدرها مع تلميذه محمد عبده قد أرست الأســس الفكرية لمفهوم الوحدة الإسلامية، ومنحت دعوة الجامعة الإسلامية محتوى تحررياً ومضموناً معادياً للاستعمار، إذ إن الدعوة إلى الوحدة الإسلامية أصبحت تعني مقاومة الاستعمار الغربي الذي كان يستهدف القضاء على الإسلام.
بعد رحلة الأفغاني الطويلة في الدعوة إلى الوحدة الإسلامية وجدت أفكاره مجالاً في مقر الخلافة على عهد السلطان عبد الحميد الثاني الذي كان أحوج إليها لمعالجة الأوضاع الداخلية ومجابهة التهديدات الخارجية، إذ تبنّى السلطان سياسة الجامعة الإسلامية لجمع المسلمين من حوله، ولمقاومة الحركة الدستورية والمعارضة، ولمقاومة الدول الاستعمارية.
أنظر: علي سلطان، تاريخ الدولة العثمانية، ص 348.

(1) النّورسي، صيقل الإسلام، المحكمة العسكرية العرفية، ص 446.

والتحزُّب، فيدعو الجميع إلى نبذ الإفراط والتفريط والاستقامة على الحدِّ الوسط الذي اختاره أهل السُّنة في محبة آل البيت، لذا فهو يدعوهم حاضراً: «فيا أهل الحق الذين هم أهل السنة والجماعة. ويا أهل الشيعة الذين اتخذتم محبة أهل البيت مسلكاً لكم:

ارفعوا فوراً هذا النزاع فيما بينكم، هذا النزاع الذي لا معنى له ولا حقيقة فيه، وهو باطل، وهو مُضر في الوقت نفسه. وإن لم تُزيلوا هذا النزاع فإنَّ الزندقة الحاكمة الآن حكماً قوياً تستغل أحدكما ضدّ الآخر، وتستعمله أداةً لإفناء الآخر، ومن بعد إفنائه تُحطم تلك الأداة أيضاً، فيلزمكم نبذ المسائل الجزئية التي تُثيرالنزاع، لأنكم أهل التوحيد، بينكم مئات الروابط المقدسة الداعية إلى الأخوة والاتحاد»[1].

هذه الدعوة لتجاوز المذهبية أملاها خطاب العقيدة الآمر بنبذ الخلاف، وفي الوقت ذاته لا يمكن استبعاد الدوافع السياسية، فالتنافس السياسي المستمر بين الدولة العثمانيّة والدولة الصفوية في ذلك الزمان، أسهم في تردي واقع العالم الإسلامي، وما شعر به النّورسي، هو ما دفع من قبلُ الأفغاني على دعوة أهم مذهبين إسلاميين إلى التوحّد وتجاوز الاختلاف، لاسيما وقد أصبحت الأطماع الغربية أمراً وخطراً قائماً.

لقد شغل تحقيق الوحدة الإسلامية فكر النّورسي، وهذا ما يُفسر انضمامه إلى كثير من الجمعيات الإسلامية التي ظهرت بداية القرن العشرين واستهدفت مقاومة التيارات التغريبية، لكنه لم يحصر نفسه في أي إطار حزبي ضيّق، إذ كان يرى أنّ هذه النواة ما كانت لتقتصر على

(1) بديع الزمان، اللمعات، ص 38.

مجموعة من الأفراد دون غيرهم، بل هي للمسلمين كافة يقول في ذلك: «إنَّ هذا الإسم ـ الاتحاد المحمدي ـ حق المسلمين كافة، فلا يقبل تخصيصاً ولا تحديداً، فكما إني منتسب إلى جمعيات دينية عديدة من جهة ـ حيث قد رأيت أن أهدافها واحدة ـ كذلك أنتسب إلى ذلك الإسم المُبارك»[1].

فالاتحاد المحمدي ـ كما يراه النّورسي ـ تمتد دائرته من الشرق إلى الغرب ومن الجنوب إلى الشمال، وينضوي تحت لوائه ثلاثمائة مليون شخص[*]، وجهة الارتباط في هذا الاتحاد هي توحيد الله، ومركزه الحَرمان الشّريفان، ورئيسه الرسول الكريم (ص) ونظامه الداخلي السّنة النبوية، وقوانينه: أوأمر الشريعة ونواهيها، أما أهدافه ومقاصده فهي إعلاء كلمة الله.

وبهذا التّحديد لمعاني جمعية الاتحاد المحمدي، يكون النّورسي قد عمل على تحقيق مقصدين مهمين:

الأول: تخليص هذا الاتحاد من التّخصيص، وإعلان شموله المؤمنين كافة كي لا يقع الخلاف والفرقة.

الثاني: وضع حد للانقسام الحزبي الذي سبّب الاضطرابات الاجتماعية والسياسية.

لكن الاندفاعة القوية للتيارات المُعادية للإسلام، واستمرار تهديد الدول الأجنبية للدولة العثمانيّة حال دون تحقيق النّورسي لما كان يدعو

---

(1) النّورسي، صيقل الإسلام، ص 445.

(*) هذا عدد المسلمين في العالم في ذلك الزمان.

إليه، إذ عقب استيلاء أتاتورك على زمام الحُكم، كشف عن عدائه للدين، وأجهز على الخلافة التي كانت آيلة إلى الانهيار أصلاً، فاختفى كل حديث عن الوحدة الإسلامية أو أي شكل من أشكال التعاون بين أجزاء العالم الإسلامي، فالنظام الجديد في تركيا قطع كل صلاته مع الشرق الإسلامي واتجه إلى الغرب، يستورد قوانينه وتشريعاته وعاداته ويسعى لكسب رضاه. لكن وبعد أن طرأت تغييرات محدودة على النظام السياسي التركي بعد الحرب العالمية الثانية، استأنف النّورسي حديثه عن الوحدة، فحاول جهده أن يُخفف من وطأة الاتجاه العلماني في الدولة بتأييده للحزب الديمقراطي على شرط نبذه لسياسة حزب أتاتورك.

ومن أبرز القضايا التي كان النّورسي يرغب في تحقيقها، قضية الحدّ من توجّه الدولة نحو الغرب، ودفعها إلى التعاون مع البلاد الإسلامية، وعن هذا التوجه يقول: «إنَّ ما يعطيه أرباب السياسة الحاليون في هذه البلاد من رشاوى إلى الغرب وإلى الأجانب ومن تنازلات سياسية ومعنوية عليهم أن يعطوا عشرة أمثالها، بل ينبغي لهم أن يدفعوها لأجل إقرار أخوة أربعمائة مليون من المسلمين ستتشكل على صورة جمهوريات إسلامية متحدة»[1].

وهذا التّصور الذي انتهى إليه النّورسي في موضوع الوحدة ناشئ من إدراكه لواقع التجزئة الذي أصبح يعيشه العالم الإسلامي، ولاسيما أن أقطاراً إسلامية كانت لا تزال تحت السيطرة الاستعمارية، ومن اقتناعه بأنَّ ظروف هذا الواقع لا تسمح بتأجيل الخطوات في اتجاه أي شكل من أشكال الاتحاد والتعاون بين المسلمين.

(1) النّورسي، الملاحق، ص 375.

لذلك كان في مقدمة أهدافه التي وضعها لنفسه وقضى حياته في خدمتها، هو إنقاذ الإيمان في النفوس وتجديد الدين في القلوب، وإصلاح مناهج التفكير وطُرق التعليم. ولما رأى أنّ هذه المهمة تقف دونها عقبات كثيرة، منها الاستبداد الفكري والتعصب المذهبي بين المسلمين، وشدّة الجهل وضيق الأفق، وأن ذلك سيحرك العداء والخصومة ضده لا محالة. اختط لنفسه منهجاً دقيقاً في ما قد يعرض له من الخلاف مع غيره من أهل العصبية من المسلمين أولاً، ومع عامة أهل الفكر والثقافة من دعاة العلمانية ثانياً، ثم مع المخالفين في الدين من النصارى وغيرهم. وصاغ منهجه هذا في قواعد عامة وضوابط كلية، مع التأصيل لها، ثم التزمها في أعماله وتصرفاته.

وخلاصة منهجه هو تقريب شقة الخلاف بين المجتهدين، واعتبار الخلاف علماً وصناعة لأنه يحتاج إلى تدبير وضبط، بل أكثر من ذلك كان يرى أنَّ الخلاف المُنضبط البناء ضرورياً لنشاط الحركة العلمية وازدهار المعرفة. ثم بعد ذلك وضع طُرقاً عملية واضحة للعمل فيما يحصل فيه الخلاف ولا يمكن فيه الاجتماع على رأي واحد.

وللنورسي رؤيته التي شخّص فيها أسباب الخلاف، وفصّل الأسس التي تحوزها الأمة وتشكل قاعدة مشتركة وأساساً للوحدة الفكرية والعملية للمسلمين.

أسباب الاختلاف:

لقد كان الخلاف بوجود الرسول (ص) يتمّ حلّه عن طريق نزول الوحي، او اتخاذ الرسول (ص) للموقف المناسب من أي خلاف، لكن

بعد رحيله(ص)، انتقل أمر الاستنباط والاجتهاد إلى العلماء الذين هم ورثة الأنبياء والذين سيرافقون الأمة في عصورها اللاحقة.

واجتهاد العلماء يحتمل الصواب والخطأ، ومن أخطأ منهم قد يظهر خطؤه وقد لا يظهر، وإذا ظهر قد يرجع عنه وقد لا يرجع. فأنّى لعامة الناس أن يعلموا بما اختلف فيه؟ فهذا بداية النقص عن عهد النبوة.

لقد أدرك المسلمون مُبكراً أنَّ الحياة لا تستقيم إلا بالاجتهاد والاجتهاد يكون منه الخلاف لأنّه لا يُمكن التسوية بين مدارك المجتهدين، وهيهات أن يجتمع الناس على فهم واحد، وهنا تبرز الحاجة إلى ضبط الخلاف وتنظيمه.

ويضيف: «إنه لمن العجب وموضع الأسف، إذ بينما يُضيع أهل الحق والحقيقة القوة العظمى في الاتفاق بالاختلاف فيما بينهم، يتفق أهل النفاق والضلالة للحصول على القوة المهمة فيه ـ رغم اختلاف مشاربهم ـ فيغلبون تسعين بالمائة من أهل الحقيقة مع أنهم لا يتجاوزون العشرة بالمائة»[1].

واتّضح للنورسي أنّ هذا الاختلاف والشقاق بين أهل الإسلام من أهم أسباب الركود والتخلف في العالم الإسلامي «لقد تعلّمت من واقع الحياة الاجتماعية ومن الواقع الذي تعيشه البشرية في يومنا هذا أنّ هناك ستة أمراض قاتلة جعلتنا نقف على أعتاب القرون، ونتيه في مسالكها المظلمة، في الوقت الذي طار فيه الأجانب ـ ولا سيما الأوربيين ـ

(1) النورسي، سيرة ذاتية، ص 314.

بخطى سريعة نحو المستقبل، وهم يتسابقون في ميادين الرقي والتقدم العلمي. وهذه الأمراض هي:

أولاً حياة اليأس، **ثانياً**: موت الصدق في حياتنا، **ثالثاً**: حب العداوة، **رابعاً**: الجهل بالروابط النورانية التي تربط المؤمنين بعضهم ببعض، **خامساً**: الاستبداد، **سادساً**: حصر الهمة في المنفعة الشخصية[1].

أما أسباب هذا الاختلاف والتنازع فهي:

1 ـ الجهل بحقيقة الإسلام وتوهم التعارض بين الوحي والعلم، وبين الدين والدنيا:

على امتداد التاريخ الإسلامي، لم يخطر ببال أحد من علماء الإسلام ولا جرى على لسانه أنَّ الوحي مُناقض لحقائق الكون والحياة والإنسان، التي يكشف عنها العقل البشري، ويهتدي إليها الإنسان من خلال العلوم المادية والتجريبية التي تعتمد على تراكم الخبرة وزيادة اللاحق على السابق. في العصر الحديث وبعد الركود الذي ركن فيه المسلمون إلى التقليد ومنهج التواكل والفكر الخرافي، ثم وبحصول النهضة الأوربية واقتحام الفكر الغربي وحضارته وثقافته للبلاد الإسلامية وبسط العلم المادي التجريبي سلطانه، برزت في عقول كثير من أهل الثقافة والفكر المسلمين نبتة غريبة، فصاروا يعتقدون أنَّ الوحي (القرآن والسنة النبوية الصحيحة) والعلوم الحديثة ضدان لا يلتقيان حتى يطرد أحدهما الآخر.

---

(1) النّورسي، الخطبة الشامية، ص 30، وعبد الكريم عكيوي، أسس الوحدة الفكرية عند النّورسي.

والسبّب في ذلك أنّ طائفة من المسلمين رَكَنَتْ إلى الورع والغيرة على الوحي، من غير دراية ولا سعة أفق، ومن غير استيعاب لحقائق الوحي ومقاصد الرسالة، فظنت ـ خطأً ـ أنّ العلم الحديث شرٌّ كله، وأنه طريق إلى الابتداع في الدين أوالمروق منه بالمرّة، لأنه مناقض كله لأحكام الوحي ومعانيه. وقد اتخذت هذه الطائفة موقف العداء للعلوم المعاصرة.

وطائفة أخرى من المسلمين اعتبرت خطأ أنَّ النهضة العلمية والفكرية تكون في سلوك نهج الحضارة الغربية، لأنها قائمة على قوة العلوم المادية، وأنَّ الوحي حجر عثرة معترضة أمام هذه النهضة. وبذلك حدث تمزق كَبير وثنائية بين المسلمين مازالت آثاره بادية حتى يومنا هذا، وأبرز مظاهره توهم ثُنائيات متعارضة، مثل الأصالة والمعاصرة، والتجديد والمحافظة، والعلم والدين، ورجال الدين ورجال الفكر والسياسة، والتعليم العصري والتعليم الأصيل أو التقليدي، وكان هذا أصل الفصام الكبير والتمزق الشديد الذي يشهده العالم الإسلامي حتى اليوم، وسبب الصراع المرير بين دعاة الحداثة والتغريب، وبين دعاة التمسك بمقومات الأمة القائمة على الإسلام عقيدة وشريعة[1].

وبلاء آخر هو توهّمنا نحن والأجانب بخيال باطل وجود تناقض وتصادم بين بعض ظواهرالإسلام وبعض مسائل العلوم، نعم إن أعظم سبب سلب منا الراحة في الدنيا، وحرم الأجانب من سعادة الآخرة، وحجب شمس الإسلام وكسفها هو سوء الفهم وتوهم مناقضة الإسلام ومخالفته لحقائق العلومب فهذا الداء قد شقّ صف المسلمين وركّب في

(1) النورسي، المكتوبات، ص 347.

نفوسهم عداء المدنية الحديثة كلها، وركّب في نفوس العقلاء من غير المسلمين ـ خاصة أصحاب الحضارة المادية ـ عداء المسلمين والإزراء بالقرآن بدعوى مناقضته للمدنية الحديثة[1].

2 ـ الاستسلام لغرائز الإنسان وطبائع البشر وعدم تعهد النفس بالتربية الروحية الإيمانية:

فقد يأخذ الغرور العالِمُ بعلمه وصاحب الحق بحقه، فيزين له أنه قد استغنى عن التربية وتهذيب النفس وتعهدها بالرعاية والصيانة والتزكية، وإذا ما كان ثمة غرور وأنانية في النفس يتوهم المرء نفسه مُحقاً ومخالفيه على باطل فيقع الاختلاف والمنافسة[2].

3 ـ الإفراط في العزة وعلو الهمة، والغلو في الشعور بالقوة، وتوهم الاستغناء وعدم الحاجة إلي التأييد والمآزرة:

إنَّ اختلاف أهل الحق والهداية قد يكون من سوء استعمال علو الهمة والإفراط فيه، وذلك أنّ المرء قد يحرص على ثواب الآخرة من أعماله، لكنه قد يتّخذ وضعاً منافساً لأخيه الذي هو في حاجة إلى محبته والأخذ بيده بالثواب الأخروي هو حيلة النفس وخديعة الأنانية[3].

4 ـ غياب ميزان العقل وعدم تقدير الأمر حقّ قدره:

قد يكون العمل مطلوباً محموداً شرعاً، غير أنّ الحاجة إلي غيره قد تكون أكبر وأعظم. وهكذا الأمر بالنسبة للكثير من القضايا والمسائل

---

(1) النّورسي، **صيقل الإسلام**، ص 23.

(2) النّورسي، **اللمعات**، الصفحات، 227، 232، 233.

(3) المصدر نفسه، ص 230، 231

المختلف فيها، فلا فائدة كبيرة تُرجى من الاختلاف فيها، لذلك لا بد من التقدير الصحيح أثناء مناقشة قضايا الاختلاف.

6 ـ فشو الاستبداد وغلبة التقليد والتعصب:

وهذا ما يجعل المرء لا يُراعي حق غيره في النظر والاجتهاد، فلا يلتفت إلي غيره ولا يهتدي إلا برأيه، ولا يراعي من قد يخالفه، فلعله يكون أمكن منه في النظر والاجتهاد فالرأي. «الشخصي المستبد والتفكير الانفراديب يُبدد أعمال الإنسان رغم أنه مكلف بفطرته برعاية حقوقه ضمن رعايته لحقوق الآخرين»[1].

الأسس النظرية للوحدة الفكرية:

وهذه الأسس عبارة عن قواعد أنزلها الله تعالى في كتابه وذكرها الرسول (ص) في سنته ورسخها في جهاده لتبليغ رسالة ربه، فلا يسع أحدا من أهل الإسلام إلا التسليم بها وحفظها في صدره واستيعابها بعقله وقلبه. ومن حفظ هذه القواعد وعقلها عرف أنَّ الروابط التي تجمع أهل الإسلام أعظم وأكبر من أن تنال منها الخلافات النظرية أو أن تُؤثر فيها نزعات النفس البشرية.

ويُمكن تصنيف هذه الأسس إلي أسس شرعية وأسس عقلية، وهذا تصنيف منهجي فقط لأنّ الأُسس الشرعية يؤيدها العقل، والأسس العقلية حاضرة في الأسس الشرعية ومُعللة بها.

أولا: الأُسس الشرعية:

والمقصود بها ما ثبت على جهة القطع وتواردت عليه آيات الذكر

(1) النّورسي، صيقل الإسلام، ص433.

الحكيم وشهدت به السّنة القولية والعملية، من وجوب حفظ حرمة كل من صدق فيه وصف الإسلام بحفظ دمه وماله وعرضه، ووجوب حفظ أخوة الإسلام، والتعاون بين المسلمين ونبذ النزاع والشقاق. وقد سمَّى النّورسي هذه الآيات والأحاديث دساتير، للإشارة إلى أنّها فوق الجميع وأنّها أسمى وأعظم من أن تمتد إليها المراجعة أو التبديل، وأنَّ أعمال جميع المسلمين يجب ألا تخرج عنها، فهي الضابط الأعلى والقانون الأسمى، فليس هناك حالة استثناء يحلُّ فيها الخروج عليها.

وهذه الدساتير هي:

- قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الحجرات: الآية 10].
- قوله تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُوا۟ فَتَفْشَلُوا۟ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ۖ وَٱصْبِرُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [الانفال: آية 46].
- قوله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ [المائدة: آية 2].

وغير خاف على أحد أن الآيات والأحاديث في هذا المعنى كثيرة، وكلها تؤكد على التعاون وتمنع التنازع والشقا ق.

والملاحظ في هذه الآيات والأحاديث التي جعلها النّورسي دساتير لا تخرج عن مسألتين اثنتين، هما وُجوب الوحدة والتعاون ووجوب حفظ الإخلاص وصيانته. وما ذلك إلا لأنّ عمل العقل وعمل النفس لا يستغنى بأحدهما عن الآخر، لأنّ العقل قد يُقر بوجوب التعاون لكن عمل النفس قد يشوش على ذلك. وتربية النفس على الإخلاص هي

العاصم من ذلك، ويقول: «فلا مناص لنا إلا بذل كل ما في وسعنا من جهد وطاقة كي نظفر بالإخلاص فنحن مضطرون إليهب إذ لو لم نفز به لضاع منا بعض ما كسبناه من الخدمة المقدسةب حيث نكون ممن يشملهم النهي الإلهي وتهديده الشديد في قوله تعا لى: ﴿وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ بما أخللنا بالإخلاص فأفسدنا السعادة الأبدية لأجل مطامع دنيويةب إرضاء لمنافع جزئية تافهة أمثال الإعجاب بالنفس والرياء، ونكون أيضاً من المتجاوزين حقوق إخواننا في هذه الخدمة»[1].

وللتخلّص من مرض الاختلاف الفتاك الذي أصاب أهل الحق، علينا اتخاذ النّهي الإلهي في الآيتين الكريمتين:

﴿وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [الانفال: آية 46].

والآية ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ﴾ [المائدة: آية 2]، دستورين للعمل في الحياة الاجتماعية[2].

ثانياً: الأُسس العقلية:

وهي حقائق كونية واقعية يدل عليها تعاقب الزمان واستقراء أحوال البشر عبر الزمان والمكان وهي:

1 ـ ضرورة الاجتماع والتعاون بين المسلمين.

«. . إنّ هذا الزمان ـ يقول النّورسي ـ زمن الجماعة، . . . وليس

---

(1) النّورسي، اللمعات، ص 241.

(2) المصدر نفسه، ص 234.

زمان الشخصية الفردية وإظهار الفردية والأنانية. فالشخص المعنوي الناشئ من الجماعة ينفذ حكمه ويصمد تجاه الأعاصير»[1].

2 ـ قيم الرحمة الإنسانية والرفق:

وهذه القيم تدعو المسلمين إلى مدّ جسور الحوار والتعاون مع عامة البشر خاصة أهل الحكمة والأبريا ء. وهذه القاعدة مستخلصة من موقف النّورسي وهو يتأمل فيها حال البشر وتقلبات الزمان وصروف الدهر وخطوبه. فقد استوقف عقله حال الأبرياء من الكفار الذين لا ناقة لهم ولا جمل في ما يقترف الظالمون منهم[2].

3 ـ الإيمان بالله تعالى:

الذي هو أصل الحقائق وهذا الأساس المهم يُفترض أن يحمل المسلمين على التعاون مع من يشاركهم في هذه الحقيقة أو يقترب منها. لذلك يدعو النّورسي إلى إقامة العلاقات بين المسلمين وغيرهم على أساس القيم الإنسانية المشتركة، والإيمان بالله على رأس هذه القيم المشتركة[3][*].

---

(1) النّورسي، سيرة ذاتية، ص 313.

(2) المصدر نفسه، ص 312.

(3) المصدر نفسه.

(*) على هذا الأساس يمكن للمسلمين أن يتعاونوا مع أهل الكتاب لصد خطر الإلحاد وما ينتج عنه من التحّلل من الأخلاق والقيم. فأهل الكتاب أقرب إلي المسلمين من أهل الإلحاد، ورأيهم واحد في هذا العدو فما الذي يمنع من اجتماعهما على هذا الأصل، وخاصة مع النصارى لأنه قد ورد في الحديث أن الدين الحقيقي لعيسى عليه السلام سيحكم ـ في آخر الزمان ـ ويتكاثف مع الإسلام.

الأُسس العملية للوحدة الفكرية:

تأتي الأسس العملية كما وضعها **النورسي** بهدف تنظيم وضبط الخلاف وتحديد منهج التعامل مع الرأي المخالف، ولمنع حدوث الفوضى بسبب اختلاف النظر والاجتهاد، وكذلك ضبط منهج التعامل مع من يخالف أسس الوحدة الفكرية ويخرقها. وبيان هذه الأسس العملية على الشكل التالي:

1 ـ جعل الاختلاف في النّظر والاجتهاد سبباً لإظهار الحق وازدهار المعرفة وثراء الفكر الإسلامي:

حيث يقول **النّورسي**: «إنّ تصادم الآراء ومناقشة الأفكار لأجل الحق وفي سبيل الوصول إلي الحقيقة إنّما يكون عند اختلاف الوسائل مع الاتفاق في الأسس والغايات، فهذا النوع من الاختلاف يستطيع أن يقدم خدمة جليلة في الكشف عن الحقيقة وإظهار كل زاوية من زواياها بأجلى صور الوضوح»[1].

2 ـ العبرة بالأفكار وليس بالأشخاص:

أي إنَّ المعيار الذي به تُوزن الأقوال، ويحكم ويميز الصواب من غيره ليس هو شخص القائل، فنزن الحق والعلم بالرجالِ فتكون الرجال حُجة على الحق، فنقول الحق كذا وكذا لأنّ فلاناً قاله، أو ما دام هذا المذهب مذهب فلان فهو خطأ. فالنظر يكون إلى الأفكار في ذاتها من غير أن يُؤثر شخص القائل في التقويم من جهة الصحة والخطأ.[2]. .

---

(1) النّورسي، المكتوبات، ص 247.

(2) النّورسي، سيرة ذاتية، ص539.

3 ـ إلتزام آداب الحوار والمناظرة:

من أسس آداب الحوار ومنهج الاختلاف، أنّ اختلاف العلماء وتناظرهم لا يكون منه بالضرور ة إسقاط عدالة بعضهم والحط من قدره بسبب أنه خالف من نُحب ونُجل وناظره، فالخلاف لا يسقطهما أو أحدهما من مقام العلم والولاية[1] وذلك يعني وجوب الإقرار بالحق إذا ظهرعلى لسان كل فريق عملا بقوله عز وجل ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ۚ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [المائدة: آية 8].

وهذا ما أطلق **النورسي** عليه دستور الإنصاف وابتغاء الحق الذي ارتضاه علماء فن الأدب والمناظرة، بقوله: «... إنَّ طالب الحق المنصف يُسخط نفسه لأجل الحق، وإذا ما رأى الحق لدى خصمه رضي به وارتاح إليه»[2].

4 ـ النظرة الشاملة المُستوعبة في تقويم الأعمال والأشخاص:

بمعنى أنّ الضابط ليس هو من لم يكن له خطأ، إنّما العدل من غلبت حسناته سيئاته، والضابط هو أن يكون ما يحفظ ويُتقن أكثر مما يخطيء فيه. وهذا من مقتضى العدالة الربانية لأنّ «الله تعالى يُظهر عدالته الربانية في الآخرة على وِفْق موازنة الأعمال وتقويمها، برجحان الحسنات أو السيئات، فمن رجحت حسناته وثقلت فله الثواب الحسن وتُقبل أعماله، ومن رجحت سيئاته وخفت حسناته فله العقاب وتُرد

---

(1) المصدر نفسه، ص 317.

(2) النورسي، **اللمعات**، ص 239.

أعماله، علما أنه لا تؤخذ كمية (الأعمال) بنظر الاعتبار في هذه الموازنة مثلما يُنظر إلى (النوعية) .فربَّ حسنة واحدة تُرجح ألف سيئة بل قد تذهبها وتمحوها وتكون سبباً في إنقاذ صاحبها»[1](*).

5 ـ إعتبار أحوال الزمن المعاصر واستحضار واقع الحال:

ومفادُ ذلك، مراعاة أحوال أهل الإسلام في هذا الزمان الذي لم يعرف المسلمون من قبل زمناً مثله، فليس من العقل أخذ عامة المسلمين بالعزيمة والتشديد عليهم، خاصة فيما هو مختلف فيه، مثل الإنكار الشديد على من يكشف الوجه والكفين من النساء وتفسيق من يجوز ذلك من العلماء، فهل يصح صرف الجهد إلي القضايا الجزئية التحسينية والتكميلية وقد ضاعت الأصول الضرورية[2].

وانطلاقاً من هذا الأساس كان النّورسي من أوائل الدعاة إلى التقريب بين المذاهب الإسلامية في العصر الحديث، خاصة بين السنة والشيعة، في ذلك يقول: «فما ينبغي للشيعة أن يُجابهوا أهل السّنة بالعداء تاركين

---

(1) النّورسي، المكتوبات، ص 343.

(*) ومن الوقائع التي تدل على رسوخ هذا الأصل عند النّورسي ووضوحه في ذهنه، مشاركته رحمه الله في انتخابات عام 1957 م وتصويته للحزب الديمقراطي. يقول أورخان محمد علي: «ومع أن المسلمين لم يكونوا ينظرون إلى الحزب الديمقراطي كحزب (إسلامي) رغم وجود جناح إسلامي فيه) إلا أن توليه الحكم منذ سنة 1950 وما أشاعه من جو الحرية في البلد، وإرجاع الأذان الشرعي، والقيام بتدريس الدين الإسلامي في المدارس، وكان قبل ذلك ممنوعاً في عهد حزب الشعب، وإنهاء العداوة الوحشية للإسلام. ومع أن الأستاذ النّورسي لم يدخل ساحة السياسة إلا أنه قرر الاشتراك في هذه الانتخابات وإعطاء صوته للحزب الديمقراطي تنفيذا للقاعدة الفقهية« درء مفسدة أولى من جلب المنفعة». أنظر: أورخان محمد علي، النّورسي رجل القدر في حياة أمة، ص 266.

(2) أورخان محمد علي، النّورسي رجل القدر في حياة أمة، ص 266، 267.

الخوارج والمُلحدين الذين هم أعداء الشيعة وأهل السنة معاً» . ثم يوجه نداءه إلى الفريقين قائلاً: «ارفعوا هذا النزاع الذي لا معنى له ولا حقيقة فيه، وهو باطل ومضر في الوقت نفسه. وإن لم تُزيلوا هذا النزاع فإنَّ الزندقة الحاكمة الآن حُكماً قوياً تستغل أحدكما ضد الآخر وتستعمله أداة لإفناء الآخر، وبعد إفنائه تحطم تلك الأداة أيضاً. فيلزمكم نبذ المسائل الجزئية التي تُثير النزاع، لأنكم أهل التوحيد، وبينكم مئات الروابط المقدسة الداعية إلى الأخوة والاتحاد»[1].

ومن هذا الأصل أيضاً، الاعتبار ممّا حصل للمسلمين في العصر الحاضر من التحول الخطير في أوضاعهم، ذلك إن العلمانية قد ضربت جذورها وأصبح الزعماء والقادة يحمونها، فحدث بسبب ذلك انحراف دا خلي هو وجود طائفة العلمانيين داخل بلاد المسلمين من أبناء الإسلام، فكانت هذه جبهة داخلية يجب على أهل الحق التصدِّي لها بالتصحيح والتقويم، لكنها جبهة ليست كغيرها، لأنَّ أصحابها مُنتسبون إلى الإسلام ويُعدون من أهله ويُقيمون في ديار المسلمين. ولهذا فإن الجهاد في هذه الجبهة - في وسائله - ليس كالجهاد على الجبهة الخارجية، فالأول جهاد معنوي يكون بالتربية والبناء الفكري والروحي، أما إذا استعمل فيه الجهاد المادي بالسلاح فإنّه يُؤدّي إلى قتل آباء المسلمين وأبنائهم في بلادهم وديارهم، وفي ذلك من الفتنة ما لايخفى على عاقل، أضعفها زرع الشقاق بين أهل الإسلام. ويبين ذلك النّورسي بقوله: «أجل إنَّ ذلك يستوجب مجابهة الهجمات الخارجية بالقوة... أما في الداخل فالأمر ليس هكذا، ففي الداخل ينبغي الوقوف أمام

(1) النّورسي، اللمعات، ص 38.

التخريبات المعنوية بشكل إيجابي بنّاء، بالإخلاص التام. إنَّ الجهاد في الخارج يختلف عما هو في الداخلب فنحن نقوم بالعمل الإيجابي البناء بكل ما نملك من قوة في سبيل تأمين الأمن الداخلي. فالفرق عظيم بين الجهاد الداخلي والخارجي في العصر الحاضر»[1].

ولهذا كان يُعارض بعض الجماعات التي أُنشئت في عصره للجهاد المادي ضدّ الدولة والتي تبنَّت العلمانية، وكان يحضها على وحدة الصف وتجنب الفرقة واتقاء الحركات والأعمال التي تكون سبباً في شقِّ صف المسلمين واتّساع جرحهم[2].

وكان جوابه على إحدى الحركات التي أثارت الأكراد على الدولة قائلاً: «نحن الأكراد مُسلمون والأتراك إخواننا فلا تجعلوا الأخ يُقاتل أخاه، فهذا لا يجوز شرعاً. إنَّ السيف لا يُشهر إلا بوجه الأعداء الخارجيين ولا يستعمل السيف في الداخل. إنَّ السبيل الوحيد أمامنا للخلاص في هذا الزمان هو القيام بإرشاد الناس إلى حقائق القرآن وإلى حقائق الإيمان، والقيام بمكافحة الجهل الذي هو أكبرأعدائنا، لذا أرى أن تصرفوا نظركم عن محاولتكم هذه لأنّها محكومة بالإخفاق، إذ سيهلك الآلاف من الرجال والنساء بسبب حُفنة من القتلة المجرمين»[3].

كما ذهب النّورسي مراعاة للواقع المعاصر إلى العمل بمبدأ الاحترام وحسن الجوار مع العلمانيين داخل بلاد الإسلام حفاظاً على الأمن وقطعاً

---

(1) النّورسي، سيرة ذاتية، ص 470.
(2) أورخان محمد علي، النّورسي رجل القدر في الأمة، ص44، 45.
(3) المصدر نفسه، ص 114.

للطريق على العدو الخارجي وكل من يهدف التشويش على وحدة الصف والأمن. يقول النّورسي: «في زمن عجيب كزماننا هذا، لابد من تطبيق خمسة أسس ثابتة حتى يُمكن إنقاذ البلاد وإنقاذ الحياة الاجتماعية لأبنائنا من الفوضى والانقسام. وهذه المبادئ هي:

1 ـ الاحترام المُتبادل

2 ـ الشفقة والرحمة

3 ـ الابتعاد عن الحرام.

4 ـ الحفاظ على الأمن

5 ـ نبذ الفوضى والغوغائية والدخول في الطاعة»[1].

6 ـ مراعاة الخلاف عند تعذر الاتفاق:

ومفادُ ذلك أنه بعد الاجتهاد لمعرفة الحق والصواب والحرص على الاجتماع، فإن تعذّر الاجتماع على رأي واحد وجب على المختلفين الرجوع إلى أصل مراعاة الخلاف، أي إنَّ عليه أن يتساهل في ما يعتقد صحته مراعاة للطّرف المقابل المخالف. وهذا مقتضى قول النّورسي: «عليك أن تقول الحق في كل ما تقول، ولكن ليس لك أن تُذيع كل الحقائق. وعليك أن تصدق في كل ما تتكلمه، ولكن ليس صواباً أن تقول كل صدق. لأنَّ من كان على نية غير خالصة ـ مثلك ـ يحتمل أن يُثير المقابل بنصائحه فيحصل عكس المراد»[2].

(1) النّورسي، سيرة ذاتية، ص391.

(2) النّورسي، المكتوبات، ص343.

7 ـ التحلّي بضبط النفس وتحرّي الإنصاف:

في مواجهة المُخالف الذي يخرج على ضوابط الخلاف، فإذا تحرّى المسلمون وأهل العلم خاصة، جميع أسس الوحدة وآداب الاختلاف والنظر والاجتهاد، ثم وُجد من لا يكف عن الطعن والتجريح والتعصب للرأي، فإنَّ النّورسي يُخاطب مثل هؤلاء: «إن كنت تريد أن تعادي أحداً فعاد ما في قلبك من العدوان واجتهد في إطفاء نارها واستئصال شأفتها، وحاول أن تُعادي من هو أعدى عدوك وأشد ضرراً عليك، تلك هي نفسك التي بين جنبيك، فقاوم هواها واسْعَ إلى إصلاحها ولا تُعاد المؤمنين لأجلها. وإن كُنت تُريد العداء أيضاً فعاد الكفار والزنادقة فهم كثيرون. واعْلم أنّ صفة المحبة محبوبة بذاتها جديرة بالمحبة، كما أنّ خصلة العداوة تستحق العداء قبل أي شيء آخر[1].

فمنهج قتل العداوة هو معاشرة الأصدقاء بالمروءة والإنصاف ومعاملة المُسيء من أهل الإسلام بالصفح والصفاء. وإذا حصل أن استحكم العداء في قلب المرء فلم يستطع له رداً، فأضعف ما يجب عليه ألا يعمل بمقتضاه فلا يظلم صاحبه.

ثم ليكف لسانه عن ذمه والتهوين من شأنه، ثم ليجتهد في ما يعتقده صواباً من غير تعريض بالمخالف، وهذا ما يراه النّورسي بقوله : «العمل الإيجابي البناء وهو عمل المرء بمقتضى محبته لمسلكه فحسب من دون أن يرد إلى تفكيره أو يتدخل في عمله عداء الآخرين أو التهوين من شأنهم، أي لا ينشغل بهم أصلا»[2] وهذا أضعف المطلوب.

---

(1) النّورسي، المكتوبات، ص 343.

(2) النّورسي، اللمعات، ص 228.

8 ـ أخذ الحذر وتحرّي الفطنة واليقظة:

فأهل الباطل يغيضهم اجتماع أهل الحق وتعاونهم، لذلك لن يكفُّوا عن التشويش عليهم وسيجتهدون في ذلك ما استطاعوا، فعلى أهل الحق التيقظ والتنبه لذلك وأخذ الحيطة من محاولات دسّ العداوات بين أهل الحق، فيجب التوقف في كل ما ينشر من ذلك، خاصة ما يؤدّي إلى وجود وقيعة بين المسلمين، وذلك عملا بقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَٰدِمِينَ﴾ [الحجرات: آية 6].

وقد أسف كثيراً على اضطراب هذا الأصل عند أهل عصره، وعدم تفطّن العلماء والصالحين أنفسهم له، فغابت عنهم اليقظة والحذر ففسد ما بينهم، وقطعت الروابط النورانية التي تجمع أهل الإيمان، واتّجهت جهود علماء الإسلام إلى ردِّ بعضهم على بعض، وانتقاد بعضهم بعضا، فتمهدت السبل أمام الخصوم لتغريب الأمة وتمزيق صفها ووحدتها، يقول النورسي: «الأسف وألف أسف لأهل العلم ولأهل التقوى الضعفاء، الذين يتعرضون في الوقت الحاضر إلى هجوم ثعابين مرعبة، ثم يتحجَّجون بهفوات جزئية شبيهة بلسع البعوض، فيعاونون ـ بانتقاد بعضهم البعض ـ تلك الثعابين الماردة، ويمدون المنافقين الزنادقة في تدميرهم وتخريبهم، بل يساعدونهم في هلاك أنفسهم بأيدي أولئك الخبثاء»[1].

فينبغي أن يكون الإنسان على ثبات وصلابة لا تُحد بحدود، وضبط للنفس لا نهاية له، واستعداد للتضحية. لا منتهى لها[2].

---

(1) مرشد أهل القرآن، ص 116.

(2) المصدر نفسه، ص 227.

9 ـ الشورى في الاجتهاد والحُكم:

وذلك عن طريق «مجلس الشورى العلمي» و«النظام النيابي البرلماني». ويُعتبر هذا الضابط من أهم الضوابط والأسس، لأنّ جميع هذه الضوابط المتقدمة إنّما تمنع التنازع بسبب الاختلاف في النظر، وتقي من خطر العداوة والشقاق، وتحمل المختلفين من أهل الإسلام، في النظر والاجتهاد، على مراعاة بعضهم بعضاً، وتحثهم على ضرورة تقسيم الأعمال وصرف الجهود للحاجات الماسة، واعتبار اجتهادات جميع أهل الإسلام يكمل بعضها بعضاً. فهذه الضوابط لا تمنع الخلاف والاختلاف وإنّما تجعل الاختلاف ثراء في التفكير ومظهراً لغلبة روح الاجتهاد ونبذ التقليد. ثم يأتي هذا الضابط ليمنح الحياة لهذا الثراء الفكري، لأنه يعين على تحرّي الصواب ومعرفة الحق والترجيح بين المذاهب والآراء، ويحسم الفوضى الناشئة من تعدّد الآراء عندما يتعين الترجيح، للشروع في العمل، حيث لا يمكن الجمع بين أكثر من مذهب واحد في العمل.

وقد وضع **النورسي** ضابطاً عملياً في العصر الحاضر وهو العمل من خلال هيآت ومؤسسات للتشاور في مجال العلم وفي مجال السياسة وتدبير الأحوال العامة للأمة.

وقد عدّ الاستبداد بالرأي ونبذ الشورى ظلماً كبيراً وشركاً خفياً. والعلاج الذي ذهب إليه **بديع الزمان النورسي**، هو ترسيخ ثقافة الحوار وتثبيت الشورى في جميع الحالات، حتى تتلاقح أفهام المتخصصين، وتتعاون أنظار المجتهدين، وتتقابل أفكار أهل العلم والنظر في الأمة، وعند العمل يتمّ اختيار ما توافقت عليه أكثر الأنظار وأيدته أغلب الآراء

والاجتهادات. وقد اهتم النّورسي خاصة بمجالين اثنين، بحكم خطورتهما ولأنَّ غيرهما من المجالات يقوم عليهما هما: مجال العلم والفكر، ومجال الحكم والسياسة.

فوضع طرقاً عملية صالحة للتنفيذ، يتمّ من خلالها إعمال أصل الشورى في هذين المجالين:

ـ في المجال العلمي دعا إلى إنشاء مجلس للاجتهاد يتمّ فيه التشاور بين أهل العلم والكفاءة[1].

ـ في المجال السياسي والشؤون العامة كان النّورسي يرى أنَّ النظام النيابي البرلماني هو أرقى ما وصل إليه الاجتهاد البشري لضبط مسألة الاختلاف في النظر والاجتهاد، ويرى أيضاً أنّ هذا النظام إذا دخل تحت ضوابط الشريعة فإنّه قادر أن يحسم فيما يجب العمل به من أمور الأمة العامة عندما يجتهد فيها أهل الاختصاص ولذلك كان دائماً يقيد «المشروطية» بصفة الشرع فيقول: « إنْ كانت المشروطية والقانون الأساسي هما الموضوع الذي سمعتم عنه، فهما عبارة عن المشورة الشرعية، تلقَّوهُما بترحاب وحافظوا عليهما»[2].

---

(1) النّورسي، صيقل الإسلام، ص 353.

(2) المؤتمر العالمي عن النورسي، سنة 1992م، ورقة بعنوان: «مفتاح أهداف الجمهورية في ضوء الأفكار السياسية للنورسي».

الفصل الرابع

القضية الاجتماعية

المبحث الأول

الإيمان وأثره في المجتمع

اهتم النّورسي اهتماماً كبيراً ببيان المقاصد والحِكم التي تتضمنها الأحكام والشرائع الإسلامية ليثبت صلاحيتها وموافقتها للكائن البشري. فنظر إليها نظرة عميقة شاملة، كاشفاً بطريقة تحليلية دقيقة أثر الأحكام العقائدية على توازن فكر وسلوك الإنسان، مُؤكداً أنّ أساس سعادة الإنسان الدنيوية والأخروية ورُقي المجتمع الذي يعيش بين أحضانه يكمن في الإيمان اليقيني بالله تعالى وكتبه ورُسله واليوم الآخر.

الإيمان ودلالته عند النّورسي:

الإيمان هو علاقة مقدسة تربط الإنسان بخالقه سبحانه، فتمكنه من إدراك حقيقة الوجود إدراكاً شاملا متكاملا ومن التحقق من الغاية الأساسية للحياة البشرية. فالإيمان عند النّورسي يربط الإنسان بصانعه الجليل، ويربطه بوثاق شديد ونسبة إليه، فالإيمان إنّما هو انتساب، لذا يكتسب الإنسان بالإيمان قيمة سامية من حيث تجلّي الصنعة الإلهية فيه، وظهور آيات نقوش الأسماء الربانية على صفحة وجوده... فالإيمان باللّه تعالى وأسمائه وصفاته وأفعاله يفرض عند النّورسي تلمس تجلّيات

كل إسم من أسمائه الحسنى في المخلوقات والمصنوعات التي أبدعها الخالق سبحانه وخاصة في الكائن البشري، إذ يكون إدراك عنصر الجمال فيه إدراكاً لتجليات إسم اللّه الجميل، وإدراك عنصر الحكمة فيه إدراكاً لتجليات إسم اللّه الحكيم، ويكون إدراك بصره وسمعه وعلمه وقدرته وكلامه إدراكاً لتجلّيات أسمائه تعالى، البصير والسميع والعليم والقادر والمتكلم. وهكذا الشأن بالنسبة لكل الخصائص والمميزات والصفات البشرية.

وقد حرص النّورسي في مواضع كثيرة من رسائل النور على بيان تجلِّيات الأسماء الإلهية في صُنع الإنسان فبين ـ مثلا ـ أنّ الحياة التي هي أساس وجود الإنسان تجلٍّ أعظم لاسم الله الحي المحيي[1] بالإضافة إلى كونها «أعجوبة الخلقة الربانية، إذ تجمع تجلّيات إسم: الرحمان، الرازق، الرحيم، الكريم، الحكيم وأمثالها من الأسماء الحسنى وتجعل الحقائق الكثيرة والمشاهدة كالرزق والحكمة والعناية والرحمة تابعة لها، فتقودها مثلما هي منشأ جميع المشاعر ومعدن الحواس العامة كالبصر والسمع والشعور»[2] فإذا تبين الإنسان من هاته الحقائق وامتلأ بها وجدانه وتشربها قلبه، أقر بعظمة الذات الإلهية وبجلال أسمائها وبكمال الصفات القائمة بها وفهم الدلالة الصحيحة لقوله تعالى: ﴿وَفِىٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ﴾ [الذاريات: آية 21] لأنَّ خلق وصُنع وتكوين الإنسان يُعد عند النّورسي من أقوى الأدلة على وجود الله تعالى وتدبيره للعالم.

«وهكذا الإنسان، فهو الصنعة الخارقة للخالق الصانع سبحانه، وهو

---

(1) النّورسي، **اللمعات**، ص557.

(2) المصدر نفسه، ص559.

أرقى معجزة من معجزات قدرته وألطفها، حيث خلقه الباري مظهرا لجميع تجليات أسمائه الحسنى، وجعله مدارا لجميع نقوشه البديعة جلت عظمته، وصيره مثالا مصغرا ونموذجا للكائنات بأسرها»[1].

فمن تدبَّر في الأجهزة والحواس والجوارح والأجزاء المُكونة للإنسان، ووقف على دقة تكوينها وعملها والتكامل القائم بينها، يُقر بالضرورة ـ إنْ سلم عقله من الأهواء والنزوات ـ بأنَّ الإنسان لم يكن مُجرد صدفة قديمة كما يدّعي ثُلة من الملحدين، بل هو من صُنع إله حكيم عليم لا نهاية لكمال وجلال أسمائه الحسنى وصفاته العليا. فأفضلية الإنسان عن باقي المخلوقات لا تتجسّد عند النّورسي بتخصيصه بالعقل فقط، بل لكونه يدل دلالة صريحة على تجليات الأسماء الإلهية فيه، وبذلك يرقى «إلى مرتبة أسمى المخلوقات قاطبة حيث يصبح أهلا للخطاب الإلهي، وينال شرفا يؤهله للضيافة الربانية في الجنة»[2] لأنّه يتمكّن من معرفة الدلالات الصّحيحة والمعاني السليمة للتوجيهات الإلهية الواردة في وحيه تعالى المنزل على رُسله الكرام (ص) حين يتحقق من العلاقة القدسية التي تربط بين الخالق (عز وجل) والمخلوقات، فيمتثل لذلك طلباً من القرب الإلهي والفوز بمقعد في الجنة صُحبة الأنبياء والمرسلين.

وبهذا التصور للإيمان يُبين النّورسي افتقار العالم للحق سبحانه، علماً كما يقول النّورسي إنّ «الإيمان نور يضيء الإنسان وينوره ويُظهر بارزاً جميع المكاتيب الصمدانية المكتوبة عليه ويستقرئها، كذلك فهو ينير الكائنات أيضاً، وينقذ القرون الخالية والآتية من الظلمات

(1) النورسي، **الكلمات**، ص349

(2) المصدر نفسه، ص349.

الدامسة»[1] فكونه سبحانه نور السماوات والأرض، أي مُنورها ومُدبر شؤونها، كل شيء يسير فيها وفق إرادته وقدرته وعلمه ووفق نواميس ربانية دقيقة تحفظها من الخلل والفساد. وبهذا يبرز النّورسي التلازم الحاصل بين الإيمان الصحيح وبين إدراك حقيقة الوجود والإنسان أكرم موجود في الكون، به تطمئن نفسه وتنجو من الضلال والتيه، وبه يتخلص من ظلمات الكفر الذي يحرم الكافر من نعمة الإحساس بالعلاقة النورانية التي تربط الحق سبحانه بالوجود والإنسان. ولذلك بيّن أثره القبيح بقوله: «أما الكفر فيقطع تلك النسبة وذلك الانتساب، وتغشى ظلمته الصنعة الربانية وتطمس على معالمها، فتنقص قيمة الإنسان حيث تنحصر في مادته فحسب، وقيمة المادة لا يُعتد بها فهي في حُكم المعدوم، لكونها فانية زائلة، وحياتها حياة حيوانية مؤقتة»[2].

والنّورسي يؤسس العلاقة بين الإيمان باللّه تعالى وبين الاعتقاد بتجلِّيات أسمائه الحُسنى في المخلوقات والموجودات على قوله تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ﴾ [التين: 4 و5] لتجنّب السقوط في القول بوحدة الوجود، علما منه بأنَّ نظرية تجليات الأسماء الإلهية في الوجود قد أدت ببعض المتصوفة إلى عدم التفريق بين وجود اللّه تعالى ووجود الموجودات[3].

---

(1) النورسيّ، الكلمات، ص350.

(2) المصدر نفسه، ص348.

(3) يقول النورسيّ: «فإدراك حقيقة جريان التجليات الإلهية في جداول الأكوان، وسريان الفيوضات الإلهية في ملكوتية الأشياء، ورؤية تجلي الأسماء والصفات في مرايا الوجود أقول: إن إدراك هذه الحقائق أمر ذوقي. إلا أن أصحاب مذهب وحدة الوجود لضيق الألفاظ عبروا عن هذه الحقيقة بالألوهية السارية والحياة السارية في الموجودات، وحينما حصر أهل الفكر والعقل هذه الحقائق الذوقية في مقاييس فكرية وعقلية جعلوها مصدر كثير من الأوهام والأفكار الباطلة». أنظر: المثنوي العربي ص432 ـ 433.

الإيمان أساس تزكية الإنسان عند النّورسي:

يمنح الإيمان باللّه تعالى بالمفهوم الذي عرضه **النّورسي** ـ وبما يقتضي ذلك من إيمان بملائكته ورسله وكتبه واليوم الآخر ـ للإنسان خصائص ومقومات كثيرة تضمن له السعادة والتوازن والاطمئنان، وتكمن أهم تلك الخصائص والمقومات فيما يلي:

1 ـ القوة المعنوية:

بيّن **النّورسي** أنَّ مراس الكائن البشري يتصلّب بالإيمان القوي باللّه تعالى «فالإنسان الذي يظفر بالإيمان الحقيقي يستطيع أن يتحدّى الكائنات ويتخلص من ضيق الحوادث، مستنداً إلى قوة إيمانه، فيبحر متفرجاً على سفينة الحياة في خضم أمواج الأحداث العاتية بكمال الأمان والسلام قائلا: توكلت على اللّه، ويسلم أعباءه الثقيلة أمانة إلى يد القدرة للقدير المطلق، ويقطع بذلك سبيل الدنيا مطمئن البال في سهولة وراحة حتى يصل إلى البرزخ ويستريح، ومن ثم يستطيع أن يرتفع طائراً إلى الجنة للدخول إلى السعادة الأبدية»[1].

«فالإيمان إذن يقتضي التوحيد، والتوحيد يقود إلى التسليم، والتسليم يُحقق التوكل، والتوكل يسهل الطريق إلى سعادة الدارين»[2]. إنَّ إفراد الحق سبحانه بالألوهية والربوبية يقتضي الإقرار بأنّ كل شيء يسري في الوجود وفق تدبيره وإرادته وتقديره ويقتضي طاعته والخضوع لسلطانه ويقتضي كذلك الاستعانة بمدده وقوته.

---

(1) النّورسي، **الكلمات**، ص 352.

(2) المصدر نفسه، ص 353.

2 ـ تحقيق معنى الإنسانية في الإنسان:

يعتقد النّورسي «أنَّ الإيمان يجعل الإنسان إنساناً حقاً، بل يجعله سلطاناً، لذا كانت وظيفته الأساس: «الإيمان باللّه تعالى والدعاء إليه». بينما الكفر يجعل الإنسان حيواناً مفترساً في غاية العجز.

إذن فلقد جيء بهذا الإنسان إلى هذا العالم لأجل أن يتكامل بالمعرفة والدعاء، لأنَّ كل شيء فيه مُوجّه إلى العِلم ومتعلق بالمعرفة حسب الماهية والاستعداد. فأساس كل العلوم الحقيقية ومعدنها ونورها وروحها هو «معرفة اللّه تعالى» كما أن أس هذا الأساس هو الإيمان باللّه جل وعلا[1].

فبالإيمان يدرك الإنسان المعاني والدلالات الصحيحة لمفهوم الإنسانية، ويتطلع إلى تحقيقها في نفسه بالارتباط بربه سبحانه ارتباطاً دائماً، سالكاً من أجل ذلك مسلكين اثنين متلازمين:

ـ مسلك التّعلم ومعرفة خصائص الألوهية والربوبية وكل ما يتعلق بالنبوات والأخرويات، والبحث في خصائص الوجود وظواهره، للوقوف على النظم والقواعد التي تنظم حركة الكون، بالإضافة إلى الاعتناء بتنمية وترقية النظم الفكرية والحضَارية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية للحياة البشرية، إذ من أجل ذلك خصَّ سبحانه الكائن البشري بالعقل ودعاه إلى استخدامه في الأعمال النافعة والأمور الرشيدة والأهداف النبيلة.

ومسلك الدعاء والإخبات إلى الحق جل وعلا، لأنّ المؤمن

---

(1) النّورسي، **الكلمات**، ص 354 ـ 355.

الصادق يحس بالافتقار إلى خالقه وبالاحتياج إلى مدده وعونه في كل أمر من أموره، بينما يجحد الكافر نعمته تعالى عليه، ويسعى إلى التجبر والطغيان ظناً منه أنه يُمكنه الاستغناء عن خالقه.

ومن ثم، يتمكن المؤمن بفضل ذلك الارتباط، من التخلص من التصور الحيواني للحياة البشرية الذي يدفع الإنسان إلى الارتماء في أحضان النزوات الشيطانية وإلى الإغراق في تسخير قواه العقلية والحسية والنفسية لتلبية الرغبات والغرائز الحيوانية الآيلة إلى الزوال والفناء. ولذلك خاطبه النورسي بقوله: «فيا أيها الإنسان! إذا آمنت بالله وحده وأصبحت عبداً له وحده، فُزت بموقع مرموق فوق جميع المخلوقات، أما إذا استنكفت من العبودية وتجاهلتها فسوف تكون عبداً ذليلا أمام المخلوقات العاجزة، وإذا ما تباهيت بقدرتك وأنانيتك وتخلّيت عن الدعاء والتوكل، وتكبّرت وزغت عن طريق الحق والصواب فستكون أضعف من النملة والنحلة من جهة الخير والإيجاد بل أضعف من الذبابة والعنكبوت. وستكون أثقل من الجبل وأضل من الطاعون من جهة الشر والتخريب»[1].

فالإيمان عند النورسي، يُكسب الإنسان عزة وكرامة ويدفعه إلى الاجتهاد والإبداع، يُحاول أن يعلو بهمته المتقدة إلى أعلى درجات الرفعة والسمو متلمسا تجليات أسمائه الحسنى في المخلوقات والموجودات.

3 ـ عدم الخوف من لقاء الله:

تشتمل الطمأنينة التي يُوفرها الإيمان بالله تعالى وملائكته ورسله

---

(1) النورسي، الكلمات، ص 360.

وكتبه واليوم الآخر جميع مراحل الحياة، فنجد المؤمن لا يخاف من انقضاء أجله وانتهاء حياته، بل يبقى متلهفاً إلى لقاء ربه في جنات النعيم لأنه كما يقول النورسي: «فما دام أهل الإيمان والطاعة يرون القبر الماثل أمامهم باباً إلى رياض سعادة دائمة ونعيم مُقيم، بما منحوا من القدر الإلهي من وثيقة تكسبهم كنوزاً لا تفنى بشهادة الإيمان، فإنّ كلا منهم سيشعر لذة عميقة حقيقية راسخة، ونشوة روحية لدى انتظاره كل لحظة من يناديه قائلا: تعال خُذ بطاقتك، بحيث إنّ تلك النشوة الروحية لو تجسمت لأصبحت بمثابة جنة معنوية خاصة بذلك المؤمن، بمثل ما تتحول البذرة وتتجسم شجرة وارفة»[1]. فالخوف من الموت ـ أو الوهن كما سماه رسول الله (ص) يتتاب الكافر الذي امتلأ قلبه بحب الدنيا ويحزنه فراق أبنائه وأزواجه وأمواله ومكتسباته فراقاً أبدياً، وأما المؤمن فهو بالرغم من تأكده من أن الموت سيحرمه من كل الملذات والنعم الدنيوية فإنّه يتوق إلى رحمة الله تعالى وعدله الذي خصّ به أولياءه وأصفياءه المتقين، الذين سينعم عليهم بنعيم القبر وبرؤيتهم مقعدهم في الجنة فيه، بحيث سيبدلهم سبحانه داراً أحسن من دارهم ومقاماً أطيب من مقامهم وأحبة ألطف من أحبتهم جزاء لهم على إيمانهم وطاعتهم.

ليخلص النورسي ـ بُناء على ذلك ـ إلى التأكيد على أن النجاة من الإعدام الأبدي والخلاص من السجن الانفرادي وتحويل الموت إلى سعادة أبدية، إنّما تكون بالإيمان باللّه ليس إلا[2].

وقد ترسخت هذه الحقائق في نفس وفكر النورسي بفضل تجاربه

---

(1) النورسي، الكلمات، ص158.

(2) المصدر نفسه، ص157.

المفيدة، لأنه لحقه الأذى وتعرض إلى السجن وأُلصقت به تُهم خطيرة وأتلفت كتبه مرات عديدة ظلماً وعدواناً، لذلك يقول: «لولا الإيمان بالآخرة الذي أمدّني وإخواني في مصيبتنا الرهيبة ودخولنا السجن هذا ـ دون ذنب اقترفناه ـ لكان تحمل مرارة يوم واحد من أيام العذاب كالموت نفسه، ولساقتنا هذه المصيبة إلى ترك الحياة ونبذها. ولكن شكراً للّه ـ بلا عدٍّ وحدّ ـ أن جعلني أتحمل آلام كثير من إخواني الذين هم أحب إليَّ من نفسي، وأتحمل ضياع آلاف من رسائل النور التي هي أعز من عيوني، وأتحمل فقدان كثير من مجلداتي الزاهية الثمينة جداً»[1].

لقد زادته المصائب التي لحقته في الزّنازن والسجون ثباتاً وصموداً، وتحولت في كثير من الأحيان إلى عناية ربانية وعطف إلهي.

ولكي يكون المجتمع قائم على أسس صلبة، ويحافظ على تماسكه، فلا بد له من أساس قوي ثابت، وهل في الوجود أقوى من الإيمان باللّه تعالى، لقد أدرك النّورسي أنَّ الإيمان هو أساس رُقي المجتمع الإنساني بكل مكوناته وعناصره، حين تسود فيه آثاره الطيبة وثمراته الزكية، فيصبح سنداً كبيراً لاستقرار وتوازن العلاقات الاجتماعية والاقتصادية فيه، ذلك أنَّ الإنسان يصبح بفضل الإيمان وبركته لائقاً لحمل الأمانة الكبرى وخليفة أميناً على الأرض[2].

وحينما تتوحّد المنطلقات والأهداف وتقوى العلاقت الأخوية والاجتماعية، ادراكاً منهم بأنَّ طريق الإيمان يحتاج إلى التعاون والتضامن وإلى توفير محيط اجتماعي متماسك يمكن للمؤمنين بلوغ أهدافهم.

---

(1) النّورسي، الشعاعات، ص 282.

(2) النّورسي، الكلمات، ص 373.

بينما يغرق الكافر في أنانيته ويتخذ موقفاً سلبياً من الأخوة. وهو ما أشار إليه النّورسي بقوله: «وأما الكافر فبحكم الكفر له أجنبية ومفارقة بل نوع عداوة مع كل شيء لا نفع له فيه، حتى مع أخيه، إذ لا يرى الأخوة إلا نقطة اتصال بين افتراق أزلي ممتد، وفراق أبدي سرمد، إلا أنه بنوع حمية ملية أو غيرة جنسية تشتد تلك الأخوة في زمان قليل، مع أن الكافر لا يحب في محبة أخيه، إلا نفس نفسه»[1]. إذ إنَّ المعيار الذي يحتكم إليه في علاقته مع الناس هو المعيار المادي المصلحي، فإخوته الحقيقيون هم الذين ينتفع بأموالهم أو مكاسبهم أو توجيهاتهم المفيدة في القضايا المعيشية المادية، هم الذين يُمكنونه من إشباع غرائزه وتلبية رغباته، بينما من ينافسه في حرفته أو تجارته أو مجال عمله أو من يحرمه من إرواء شهواته الشيطانية، يجعلهم اعداء له يجب القضاء عليهم.

الأسرة من أهم مؤسسات المجتمع الإنساني:

تُعتبر الأسرة معياراً لتماسك أو تفكك العلاقات الاجتماعية، وقد أبرز النّورسي أهمية الإيمان في استقرارها وتوازنها قائلا: «فإنَّ بيت كل إنسان هو دُنياه الصغيرة، بل جنته المُصغرة، فإن لم يكن الإيمان بالآخرة حاكماً ومهيمناً في سعادة هذا البيت لوجد كل فرد من أفراد تلك العائلة اضطراباً أليماً، وعذاباً شديداً في علاقة بعضهم ببعض حسب درجات رأفته ومحبته لهم فتتحول تلك الجنة إلى جحيم لا يطاق»[2]. فالإيمان باللّه تعالى وملائكته ورسله وكتبه واليوم الآخر هو الذي يوثق العلاقة الأسرية، لأنَّ الأب المؤمن الذي يخاف من خالقه سبحانه في الدنيا

---

(1) النّورسي، **المثنوي العربي**، ص 181.

(2) النّورسي، **الشعاعات**، ص 282.

والآخرة، يجتهد في رعاية أبنائه وتربيتهم تربية حسنة، راجياً بذلك التقرب إلى اللّه سبحانه ونيل رضاه. ولأنَّ الأم المؤمنة تساعد زوجها في ذلك وتبذل كل ما في وسعها لجلب الخير لأسرتها، راجية رحمة اللّه ونعيمه الأزلي في الجنة. وأما الأبناء فإنّ قلوبهم المليئة بالإيمان تسعد بحب آبائهم وأمهاتهم وأقاربهم الذين لم يتركوهم عرضة للتخلق بأخلاق الكفار والمنافقين. فكل أفراد الأسرة المؤمنة يعملون بإخلاص لجعل العلاقة التي تربط بينهم علاقة دائمة في الحياة الدنيا والآخرة، إذ «يقوم هذا الإنسان باحترام والده وتوقيره بمقتضى الأبوة الممتدة إلى الأبد، ويُحب زوجته ويرفق بها ويعاونها لأنها أجمل رفيقة حياة له حتى في الجنة، ولا يجعل هذه الدائرة الحياتية الواسعة الفسيحة ـ وما فيها من علاقات وخدمات مهمة ـ وسيلة لأمور تافهة دنيوية ولا لأغراضها الجزئية ومنافعها الزهيدة. لذا يظفر بالصداقة التامة، والوفاء الخالص، والإخلاص الأتم. . »[1].

فالمؤمن تتحقق سعادته في دنياه وآخرته بهذه المنحة الربانية، إذ يكفيه الالتزام ببعض الواجبات والأحكام التي تنظم علاقة الآباء بأبنائهم وعلاقة الإخوة فيما بينهم وعلاقة الرجال بأزواجهم، والامتثال إليها بإخلاص وإحسان لينال الجنة بصحبة آبائه وإخوانه وأزواجه ونعيم لا نهاية له.

الشباب العمود الفقري للمجتمع:

يقول النّورسي إنَّ الشباب المؤمن عادة ما يتجنب الاعتداء على

---

(1) النّورسي، الشعاعات، ص 279.

الناس، فإذا ما فقد هؤلاء الشباب الإيمان بالآخرة ولم يتذكروا عذاب جهنم، فإنّ أموال الناس وأعراضهم وراحة الضعفاء وكرامة الشيوخ تُصبح مهددة بالخطر[1] ذلك أن الإنسان حين يكون في أوج قوته وحيويته، ويكون أكثر قابلية للتعرض لإغواء إبليس ومكائده، ما يدعوه إلى توظيف قوته في إشباع شهواته المتقدة وفي التسلط على الرقاب الضعيفة وفي الاستحواذ على الأموال الكثيرة والأشياء الثمينة بدون قيد أو شرط، غير مبال بالأخلاق والأعراف والحرمات. وحينما يستجيب الشباب لتلك الإغواءات، يصبح المجتمع ساحة للصراع، ولن يحول دون حلول هذا الفساد إلا تشبعهم بالإيمان القوي باللّه تعالى والخوف من عذابه يوم القيامة، وذلك لصعوبة وقوف الأعراف في وجه شهوتهم الجامحة. علماً بأنَّ طريق الإيمان سيوجههم إلى العفة والطهارة وتحري الحلال من الطيبات.

فالإيمان يسهم في إنشاء «المدينة الفاضلة» و«البلاد المطمئنة»:

فبالنسبة للأولى، أشار النورسي إلى أنَّ «كل مدينة هي بحدِّ ذاتها بيت واسع لسكانها. فإذا لم يكن الإيمان بالآخرة مسيطراً على أفراد هذه العائلة الكبيرة فسيستولي عليهم الحقد والمنافع الشخصية والاحتيال والأنانية والتكلف والرياء والرشوة والخداع، بدلا من أسس الأخلاق الحميدة التي هي الإخلاص والمروءة والفضيلة والمحبة والتضحية ورضى اللّه والثواب الأخروي. وكانت معاني الإرهاب والفوضى والوحشية حاكمة ومسيطرة تحت إسم النظام والأمن والإنسانية التي يظهرونها، وحينئذ تتسمّم حياة تلك المدينة، فيتّصف الأطفال بالوقاحة

(1) النورسي، الشعاعات، ص 281.

والإهمال، والشباب بالسكر والعربدة، والأقوياء بالظلم والتجاوز، والشيوخ بالبكاء والأنين»[1].

وأخيراً يَخْلصُ النورسي إلى «أنَّ الفرق بين مدينة الكافرين ومدينة المُؤمنين، أنّ الأولى: وحشة مستحالة، ظاهرها مزين، باطنها مشوه، صورتها مأنوسة، سيرتها موحشة. ومدينة المؤمنين باطنها أعلى من ظاهرها، معناها أتم من صورتها، في جوفها أنسية وتحبّب وتعاون»[2]. كما أنَّ المدينة المؤسَّسة على المادة والمصلحة تحمل في مظاهرها البراقة وزخارفها المضيئة وملاهيها المنتشرة سماً قاتلا للتعايش والإخاء والتعاون، تُستعمل فيها المساحيق الخادعة للتلبيس على الناس والإيقاع بهم في براثين الفساد والفجور والفسوق. بينما تتميز المدينة المبنية على الإيمان بالسكينة والوقار. وبذلك يكون النورسي قد جعل الإيمان قاعدة لتصور إنساني واجتماعي وحضاري.

---

(1) النورسي، **الشعاعات**، ص283.

(2) المصدر نفسه، ص281.

المبحث الثاني

العدالة الاجتماعية

مفهوم العدالة:

اسم العدل: الوسط، مُشتق من المعادلة بين شيئين، بحيث يقتضي شيئاً ثالثاً وسطاً بين طرفين، لذلك كان إسمُ الوسطِ يُستعمل في كلام العرب مرادفاً لمعنى العدل.

فعن رسول الله (ص) في تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ [البقرة: 143]، قال: «عَدْلاً، والوسط هو العدل»[1].

العدالة لغة:

«العَدْل: ما قام في النفوس أَنه مُسْتقِيم، وهو ضِدُّ الجَوْر، عدَل الحاكِمُ في الحكم يَعْدِلُ عَدْلاً وهو عادِلٌ... وعَدَل عليه في القضيَّة، فهو عادِلٌ،... وفي أَسمائه سبحانه: العَدْل، وهو الذي لا يَمِيلُ به الهوى فيَجورَ في الحكم،... والعَدْلُ: الحُكْم بالحق، يُقال: هو

(1) تفسير الطبري، مصنف ابن أبي شيبة، ج6 ص 310.

يَقْضي بالحق ويَعْدِلُ، قال تعالى في موضعين: ﴿وَأَشْهِدُواْ ذَوَىْ عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾ [الطلاق: 2]، وقال: ﴿يَحْكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾ [المائدة: 95][1].

العدالة اصطلاحاً:

العدالة من العدل، والعدل يعني تمكينَ صاحب الحق من الوصول إلى حقِّه من أقرب الطرق وأيسرها.

وقد احتل مفهوم العدالة في رسائل النور مِساحة كبيرة، مردُّها إلى التزام الوسطية التي يراها النّورسي عينُ (الصراطِ المستقيم) الذي وضَّحته الشريعة الإسلامية، واختصره القرآن في قوله تعالى: ﴿فَاسْتَقِمْ كَما أُمِرْتَ﴾[2].

والتزامُ الوسطية عند النّورسي وإن تسمّى بأسماء متعددة، إلا أنه في جميع الأحوال يُمثل العدل:

- على مستوى العقل تُسمى (الحِكمة)

- على مستوى الاعتقاد بصفات الله تعالى يسمى العدلُ (مذهبَ التوحيد) ويكون الإفراطُ الذي على طرفه نِحْلةَ التعطيلِ ونفيِ صفاته تعالى، أما التفريطُ المقابل في الطرف الآخر فهو في نِحلةِ تشبيه الخالق بالخلق.

- على مستوى الغريزة البشرية يسمى العدلُ (العِفة)

- على مستوى الأخلاق الإنسانية لا سيما ما يتعلق منها بالقوة الغضبية يُسمى العدلُ (الشجاعة) وبذلَ الروح بعشقٍ وشوق لحماية مبادئ

---

(1) ابن منظور، لسان العرب، مادة (عدل)، ج11 ص 430.

(2) النّورسي، إشارات الإعجاز، ص 32، 33.

الحياة الإسلامية، ويكون الإفراط الذي على طرفه التهوّرَ الذي هو أصل الاستبداد والتحكم والظلم، أما التفريط المقابل في الطرف الآخر فهو الجبن والتوهم والخوف مما لا يُخاف منه.

ويقاس كل شيء على ما تقدم[1].

والعدالة عند العلاّمة النّورسي: هي المساواة في الحقوق والواجبات في نظر الخالق والخلق، أما العدالة التي لا مساواة فيها ليست عدالة[2].

والعدالة تنبثق من عقيدة الإسلام في مجتمعه، فلجميع الناس في مجتمع الإسلام حق العدالة وحق الاطمئنان إليها، عملاً بقول الله تعالى: ﴿وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُواْ بِٱلْعَدْلِۚ﴾ [النساء: 58].

كما دعا الإسلام إلى عدالة اجتماعية شاملة ترسيخاً لفكرة العدل كمبدأ، وتنمية لها كسلوك، لأنّ العدل هو أهم الدعائم التي يقوم عليها كلُ مجتمع صالح. فالمجتمع الذي لا يقوم على أساس متين من العدل والإنصاف هو مجتمع فاسد مصيرُه إلى الانحلال والزوال[3].

منطلقات العدالة ومصادرها بمنظور رسائل النور:

1 ـ العدالة من مقاصد القرآن:

يعتبر النّورسي العدالة مقصدًا من مقاصد القرآن الكبرى[4]، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ [النحل: 90].

---

(1) النّورسي، إشارات الإعجاز، ص 32، 33.

(2) المصدر نفسه، ص 23.

(3) المصدر نفسه، ص 177.

(4) النّورسي، الكلمات، الكلمة الثالثة والثلاثون، من نور الحقائق.

فالقرآن إنما نزل معرِّفا للإنسان، ومرشدًا له، ودالاً إيَّاه من خلال النِظام الكوني البديع على خالق هذا النَظّام جلَّ جلاله، وما في نظامه من العدالة والحكمة..[1].

2 ـ دعوة الإسلام الإنسانَ إلى التناسب مع العدالة المُتجلية في الكون:

يرى النّورسي أنَّ العدالة التي هي وصفُ الله تعالى في الأزل تتجلّى في هذا الكون، فيصيرُ بها متوازناً ومنتظماً في حركاته وسكناته اضطراراً لا اختياراً، وأنَّ الإنسانَ بين كل الموجودات مكلَّفٌ اختياراً بالإسلام الذي هو في حقيقته خطابُ العدالة الأزلية[2].

والإنسانَ حين يخالفُ سُنَنَ العدالة الإلهية السارية في الموجودات سوف تنفرُ الموجوداتُ منه وتغضب عليهِ غضبا يستحقُّه لأنه كان الشاذَّ الأوحد بينها[3].

وبخروج الإنسان عن توجيه الإسلام يحصلُ إخلالٌ بهذا التناسب، وقد فسَّرَ قوله تعالى: ﴿لَا تُفۡسِدُواْ﴾ [البقرة: 11] أنه: «لا تفعلوا هكذا، والاّ نشأ منه الهَرْج والمَرْج، فينقطع خيط الإطاعة، فيتشوش نظام العدالة... فلا تفعلوا لئلا تفسدوا»[4]، وبفساد البعض يحصل فساد النظام العام ويعود أثر ذلك الفساد على الجميع، وهكذا يعود فساد الإنسان وظلمه وخروجه عن منهج العدالة بالشر على أبناء جنسه وعلى الموجودات من حوله.

---

(1) النّورسي، **إشارات الإعجاز**، ص 24.

(2) النّورسي، **صيقل الإسلام**، محاكمات، ص 51.

(3) المصدر نفسه، ص 525.

(4) النّورسي، **إشارات الإعجاز**، ص 99.

3 ـ سيادة العدالة على القوة في الإسلام:

القرآن الكريم يجعلُ (الحقَّ) منطلقَ السلوك في الحياة بدلاً من (القوة) ويجعل الغاية مرضاة الله سبحانه بدلاً من (المنفعة) ويدعو إلى قانون (التعاون) بدلا من نزعة (الصراع) ويدعو إلى تجاوز رغبات النفس الأمارة، انطلاقا بالروح إلى معالي الأمور، كما أنه يدفع بالإنسان نحو الكمال والمُثل الإنسانية[1]، وبذلك تُصبح قوة المبدأ غالبة لمبدأ القوة، وفي هذا يقول النورسي: «النبوة تقرر أن القوة في الحق وليس الحق في القوة، فتقطع بهذا دابر الظلم وتحقق العدل»[2].

آثار العدالة الإسلامية:

الآثار الاجتماعية:

أ ـ وحدة المعايير المنظمة:

العدالة في المجتمع تقود إلى وحدة المعايير والموازين المنظمة لهذا المجتمع، فتتحقق مساواة الجميع أمام القانون والتشريع، وتنتفي الاستثناءات المخلة بمضمون العدالة واعتباراتها، وقد تأسس المجتمع الإسلامي الأول الذي قاده النبي (ص) على وحدة المعايير المنظِّمَة، فتحققت مساواة الأفراد كافَّةً أمام القانون[3].

---

(1) النورسي، **الكلمات**، الكلمة الثلاثون، ص 643.

(2) المادّية المعاصرة، معاكسة لمنطلقات القرآن، لأنَّ فلسفتها تعتبر أنَّ ركيزة الحياة الاجتماعية البشرية هي «القوة» وتستهدف «المنفعة» في كل شيء، وتتخذ «الصراع» دستوراً للحياة وتلتزم العنصرية والقومية السلبية رابطةً للجماعات، وغايتها إشباع الرغبات والأهواء وميول النفس؛ أنظر: الكلمة 25 ـ ص472.

(3) النورسي، **الكلمات**، الكلمة العاشرة، ص 91.

ب ـ الإنصاف والتأديب:

أما تجليات العدالة الاجتماعية على أرض الواقع فمظاهرها كثيرة، لكنها كافة ترجع إلى أمرين:

ـ التوزيع العادل للحقوق في المجتمع، أي إعطاءِ كل ذي حقٍّ حقه، وهو ما يُسميه النورسي «شق العدالة الإيجابي» وهو عين الإنصاف.

ـ وإنزال العقوبة بكل مُخل بالعدالة، وتأديب غير المُحقين، مهما كانت رُتبتهم أو منزلتهم وهو ما يُسميه النورسي «شق العدالة السلبي»[1].

ويقول النورسي إنَّ هذين الشقين تجلت بهما في الأصل العدالة الإلهية الأزلية، فكان الشقُّ الإيجابيُّ ظاهراً في توازن الكون، وكان الشقُّ السلبي واضحاً في إنزال العذاب بالأقوام المتمرِّدة السالفة كقوم عاد وثمود.

ج ـ السلام، وانتفاء الظُّلم العالمي:

عندما يتوسع الإنسانُ في احترام العدالة ليبلغَ المِساحة الكُلية على الكوكب الأرضي، ويعتبرُ لأصل المساواة بين البشر كافَّة، باعتبار أنهم جميعاً أبناءُ الأب الواحد آدم، سيجدُ اتساع السلام على الأرض.

ويرى الأستاذ النورسي أنَّ وقوعَ النفوسِ في رُعوناتها القبيحة يرجعُ إلى قاعدتين خبيثتين يستخدمهما الإنسانُ في سلوكه الاجتماعي:

الأولى: إنْ شبعتُ فلا عليّ أن يموت غيري من الجوع.

---

(1) النورسي، الكلمات، الكلمة العاشرة، ص 91.

الثانية: اكتسب أنت لآكل أنا، واتعب أنت لأستريح أنا. وهاتان القاعدتان تُنتجان في حياة الإنسان تردّياً وانحداراً وانحطاطاً[1].

واليومَ العالم يعيشُ حالة ظلمٍ شديد بسبب سيطرة الدول الكبرى، وهذا الظلمُ يستند إلى ذرائعَ واهيةٍ لا صلة لها بميزانِ العدالة أبدا، فقد شُنَّت في الآونة الأخيرة حربٌ على شعب أفغانستان بأكمله لتأديبِ طالبان، وشُنَّت على شعبِ العراقِ كلِّهِ حربٌ ظالمةٌ لتأديبِ مجموعة حاكمة كما يدّعون، وفُرض الحصار وقُطِعَ الإمدادُ الاقتصاديُّ عن شعبِ فلسطين، لأنَّ جماعةً لا يُريدها الغربُ وصلت إلى الحُكم، فأينَ العدالة من كل ذلك، والأصلُ في العدالة كما يرى النورسي، أن لا يعاقبَ أحدٌ بذنب أحد[2]، ودليله قوله الله تعالى: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ [الأنعام: 164]، ويرى أنَّ الذي يهون عنده ظلمُ شخصٍ واحدٍ أو هلاكُه تحقيقاً لحرصه وإشباعًا لنزواته وهوى رغباته، فإنه مستعدٌّ لتدمير العالم والجنس البشري إن استطاع[3].

ويُضيف النورسي، فالمادِّية المعاصرة لتحصيلِ الرفاهيةِ تُضحّي بالأكثرية في سبيل الأقلية، فتنتفي بذلك المساواةُ البشرية، ويهتز منهج العدالة، أما عدالة القرآن الكريم المحضة فلا تضحّي بحياة أحد، لا في سبيل الأكثرية، ولا لأجل البشرية قاطبة، بل تنظر إلى الفرد والجماعة والشخص والنوع نظرة واحدة[4].

---

(1) النورسي، **الكلمات**، الكلمة الخامسة والعشرون، ص 474.

(2) النورسي، **الكلمات**، المكتوب الثاني والعشرون، ص 342.

(3) النورسي، **اللمعات**، ص 862.

(4) المصدر نفسه، ص 862.

د ـ الانضباط السلوكي الاجتماعي:

إنَّ سيادة العدالة في المجتمع تُؤدي إلى نشرالفضيلة وتعميمها، فيكون الإنسان عادلا في نفسه، تجسيداً لقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ. . .﴾ [النساء: 135]، ويكون الإنسان عادلا في أسرته، تطبيقاً لقولَ رَسُولُ الله (ص): «مَنْ كَانَتْ لَهُ أُنْثَى فَلَمْ يَئِدْهَا وَلَمْ يُهِنْهَا وَلَمْ يُؤْثِرْ وَلَدَهُ عَلَيْهَا ـ يَعني الذّكُورَ ـ أَدْخَلَهُ الله الْجَنَّةَ»[1].

ويكون الإنسان في هذه الفضيلة عادلا في أقواله، قال تعالى: ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُواْ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ﴾ [الأنعام: 152] فتنضبط الأقوال بمنهج العدالة، ولا يكون الكذب والزور والبهتان صفة له، وكذا يكون الإنسان عادلا فيما يُدَوِّنُ ويَكتُبُ، وقد قال تعالى: ﴿وَلْيَكْتُب بَّيْنَكُمْ كَاتِبٌۢ بِٱلْعَدْلِ﴾ [البقرة: 282]، وخصوص السّبب في كتابة المعاملات التجارية بالعدالة لا يمنعُ عُمومَ دلالة اللفظ الموجه إلى عدالة الكتابة والتدوين، فلا يزيد في كتابته على الحق ولا ينقص منه، ويكون الإنسان في هذه الفضيلة عادلا حتى مع عدوه وبغيضه، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ﴾ أي بالعدل ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [المائدة: 8] أي لا يدفعكم بُغْض قومٍ على ترك العدالة،

هـ ـ العالمية الرحيمة بدلا من القومية المُتزمتة:

لقد تجاوزت عدالة الشريعة الإسلامية حُدود الأعراق والقوميات والأقاليم، وحقّقت تواصلا بين من ينتمون إلى تلك الأنساب المختلفة،

---

(1) رواه أبو داود وأحمد عن ابن عباس.

وكان هذا التواصل قائمًا على الحق والعدل بطريقة لا مثيل لها[1]، أي أنه سيتجاوز حدود الأعراق والقوميات ليكون الجميع تحت شعار: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [الحجرات: 13].

وعند النّورسي، لا يُمكن تحقيق العدالة الإنسانية مع وجود هيمنة النزعة القومية على البشر، وهو يرى أنَّ مقاومة السِّبطين الشهيدين الحسن والحسين (ع) للأمويين هي في حقيقتها صراع بين الدين والقومية، إذ اعتمد الأمويون على جنس العرب في تقوية الدولة الإسلامية، وقدّموهم على غيرهم، أي فضّلوا رابطة القومية على رابطة الإسلام، فآذوا الأقوام الأخرى بنظرتهم هذه، وولّدوا فيهم الكراهية والنفور، واتبعوا الأسس القومية والعنصرية الظالمة التي لا تتبع العدالة ولا تُوافق الحق، لأنَّ الحاكم العنصري يفضل من هُم من بني جنسه على غيرهم، فكيف يبلغ العدالة؟ أما الإسلام فيربِّي أبناءه على أنه يجبّ وينسخُ ما قبله من الكفر وعصبية الجاهلية، ولا فرق فيه بين عبد حبشي وسيّد قرشي إذا هما أسلما، لكن حين تصبح رابطة القومية بدلاً من رابطة الدين لن تكون عندها عدالة قط بل تُهدر الحقوق ويضيع الإنصاف[2].

وفي النتيجة فإنَّ تفضيل قوانين المادِّية المعاصرة في عالم الاجتماع على عدالة القرآن يُشبه في رأي النّورسي تفضيل ظُلم «يزيد» على عدالة عمر بن الخطاب (رض)، وترجيحَ محاكم التفتيش الظالمة على عدالة القرآن الكريم العظيمة[3].

---

(1) النّورسي، **المكتوبات**، المكتوب التاسع عشر، ص 281.

(2) النّورسي، **المكتوبات**، المكتوب الخامس عشر، ص 68.

(3) النّورسي، **الملاحق**، ملحق أمير داغ، ج2، ص 374.

الآثار الاقتصادية:

أ ـ العدالة الاقتصادية في نفس الإنسان:

الآثار الاقتصادية الأولى لعدالة الإسلام أن يكون عادلا في نفسه بين الإفراط والتفريط، أي (الاقتصاد) في سلوكه المالي، ويرى النّورسي أنَّ كثيراً من المال يُستعمل في الإسراف، وتدفع أحياناً الكرامة والشرف ثمناً ورشوة له، بينما لو اقتصر الإنسان على الحاجات الضرورية واختصرها وحصر همّه فيها، فسيجد رزقاً يكفل عيشه من حيث لا يحتسب، لذلك يؤكد النّورسي أنَّ الآية الكريمة: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا﴾ [هود: 6] تتعهد بذلك تعهداً قاطعاً[1].

ب ـ العدالة الاقتصادية في المجتمع:

ما يساعد على تحقيق العدالة الاقتصادية في المجتمع، الاعتقاد بأنَّ المال مالُ الله وأنَّ الإنسان مُستخلف فيه، وقد رأى النّورسي أن الأغنياء إذا لم يمنحوا الفقراءَ المالَ في سبيل الله وباسم الله فإنّهم سيُبدون منّةً وتفضلاً عليهم، ويجعلون الفقير المسكين تحت أسر تلك المنّة مكبّلا بأغلالها، وسوف يُحرَمونَ من دعائه الخالص المقبول عند الله تعالى، زيادة على كونِ ذلك الثريِّ منهم سيكون جاحدًا بنعمة الله تعالى لأنه ظَنَّ نفسه صاحب المال، وما هو إلا مُؤتمن مستخلفٌ فيه، مأمورٌ بتوزيعِ مال الله على عباده[2]، فليس المال إلا مال الله وما على الأغنياء إلا أن يُنفقوه باسم الله[3].

---

(1) النّورسي، اللمعات، التاسعة عشر، ص 215.

(2) النّورسي، المكتوبات، المكتوب الثاني والعشرون، ص 356.

(3) النّورسي، الكلمات، الكلمة 25، ص 428.

ويرى أنَّ العدالة تزول بجريان الربا، وعدم أداء الزكاة، وأنَّ الدواء الشافي الذي يُعيد المجتمع إلى العدالة هو تطبيق الزكاة في المجتمع وفرضها فرضاً عاماً، وتحريم الربا كلياً، لأنَّ في البشرية طبقتين: الخواص والعوام والزكاة تؤمّن الرحمة والإحسان من الخواص تُجاه العوام، وتضمن الاحترام والطاعة من العوام تجاه الخواص، ويرى أنَّ هذا التناغم بين الطبقتين إذا لم يحصل، سيبعث الحقد والعصيان اللذان يضطرمان في أفئدة العوام تجاه الأغنياء المُوسرين، وستظل هاتان الطبقتان من الناس في صراع معنوي مستديم، وتخوضان غمار مَعْمَعة الاختلافات المتناقضة، حتى يؤول الأمر تدريجياً إلى الشروع في الاشتباك الفعلي والمجابهة حول العمل ورأس المال كما حدث في روسيا[1].

الآثار السياسية:

أ ـ تحقق عناصر الجمهورية:

يرى النورسي أنَّ الدولة توصف بالشرعية ودولة القانون، حين تعمل وتضمن:

1 ـ الرغبة في تحقيق العدالة.

2 ـ إعمال الشورى.

3 ـ خدمة القوة للقانون[2].

(1) النورسي، الكلمات، الكلمة الخامسة والعشرون، ص 474.

(2) النورسي، صيقل الإسلام، الخطبة الشامية، ص 525.

وإذا رغب الشعبُ في تأسيس الجمهورية فأُسسها الكبرى هي العدالة والشورى وحصر القوة في القانون[1].

ب ـ وجود أسباب العدالة السياسية:

يرى النّورسي أنَّ زوال استبداد الدولة يكونُ بوجود المُهيمن الوجداني عليها في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج: 74]. وأنَّ هذا لا يكون إلا بالمعرفة التامة أو بتعبير آخر بالإسلام، وإلاّ فسيكون الاستبداد هو المسيطر دائماً[2].

وعندما يستعرض النّورسي تاريخ الأمة الإسلامية، يرى أن السيطرة في خير القرون وعصور السلف الصالح كانت للحق والبرهان والعقل والشورى.

ولكون منهج رسائل النور يتضمن (الشفقة والعدل والحق والحقيقة والضمير) فإنّهَ يرى منع تلاميذ النور من التدخل بالسلطة الحاكمة، لأنَّ واقعها يفرضُ الانحراف[3].

ج ـ انعدام التلبيس السياسي:

ويعيب على أوروبا ـ التي تدَّعي التطور ـ مساندتها للسياسات الدكتاتورية المعاصرة، حيث قسّمت مُلك الخالق الكريم على الطواغيت التي تُعبَد من دون الله[4]،

(1) المصدر نفسه، ص 527.
(2) المصدر نفسه، ص 527.
(3) النّورسي، الشعاع الرابع عشر، ص 406.
(4) النّورسي، اللمعات، السابعة عشرة، ص 180.

فلا تتحقق العدالة الإسلامية السياسية حتى يزول من المعاملات السياسية الكذب والخداع و(الميكيافيلية) الإبليسية التي قامت أكثر سياسات العالم عليها، فصار التلبيس على العموم والخصوص دينها ودنياها.

عدالة الإسلام ذات سمة خاصة تُميزها:

فمجتمع الإسلام يقوم على توحيد الإله، وتوحيد الأديان جميعاً في دين الله الواحد، وتوحيد الرسل في الدعوة بهذا الدين الموحد منذ نشأة الحياة: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُۗ﴾ [آل عمران: 19]، و﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُونِ﴾ [الأنبياء: 92] و ﴿وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱتَّقُونِ﴾ [المؤمنون: 52].

وعدالة الإسلام تتناول جميعَ مظاهر الحياة وجوانب النشاط فيها، وتسعى إلى تحقيق العدالة فيها:

أولاً: إعلانُ الأخوة بين أبناء المجتمع الإسلامي، يقول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٞ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَ أَخَوَيۡكُمۡۚ﴾ [الحجرات: آية 9]، ويقول رسول الله (ص): «لا يُؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه»[1].

ثانياً: تشديد النكير على كل عمل يُوهن الأُخوةَ الإسلامية، ومن أجل ذلك:

- حَرَّمَ التعالي والسخرية، بقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهُنَّۖ﴾ [الحجرات: آية 11].

---

(1) رواه البخاري ومسلم.

ـ وحَرَّمَ التعريضَ بالعيوب والتفاخرَ بالأنساب: ﴿وَلَا تَلْمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلْأَلْقَٰبِ﴾ [الحجرات: آية 11].

ـ وحَرَّمَ الغيبة والنميمة وسوء الظن: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجْتَنِبُواْ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ﴾ [الحجرات: آية 12].

ثالثاً: الترغيبُ في كل ما يجمع القلوب ويدعم الوحدة وذلك:

ـ كالدعوة إلى الإصلاح بقوله (ص): «ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة؟ قالوا: بلى يا رسول الله. قال: إصلاحُ ذات البين»[1].

ـ وحُسن الجوار، بما رُوي في بيان حق الجار، فقد جاء في الأثر عن جابر وغيره من صحابة رسول الله (ص) أنّ بعضهم سأل النبي (ص): ما حق الجار؟ قال: «إنْ مرض عُدته، وإن مات شيَّعته، وإذا استقرضك أقرضتَه، وإذا افتقر عدت عليه، وإذا أصابه خير هنأته، وإذا أصابته مُصيبة عزّيته، ولا تستطل عليه بالبنيان فتحجب عنه الريح إلا بإذنه، ولا تؤذه بقتار ريح قدرك، إلا أن تغرف له منها، وإن اشتريت فاكهة فأهد له، فإن لم تفعل فأدخلها سراً، ولا يخرج بها ولدك ليغيظ بها ولده»[2].

وأوجب الإسلام المساعدات والخدمات الاجتماعية، فاعتبر مساعدةَ الضعيفِ صدقةً، وإزاحةَ الأذى عن الطريق صدقة، وحثَّ على

---

(1) رواه أبو داود والترمذي.

(2) رواه الطبراني.

التعاون ابتغاء خير الجماعة، بقوله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ﴾ [المائدة: آية 2].

وقال رسول الله (ص): «لأن يمشي أحدُكم مع أخيه في قضاء حاجة (وأشار بإصبعه) أفضل من أن يعتكف في مسجدي هذا شهرين»[1].

والعدل الإسلامي مبدأٌ مُقرر في كل شيء، في القول، وفي العمل، وفي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وفي النساء، وفي الأقارب، والأولاد، والضعفاء حتى في الجوارح، فضلاً عن العدل في الاقتصاد، وفي الشهادة، وفي الحُكم. ويتحقق هذا بمعرفة كل مسؤول ما له وما عليه.

جزاء العدل:

أبوابُ السماء مفتوحة أمام الإمام العادل وأمام المظلوم على سواء، يقول رسول الله (ص): «ثلاثة لا تردّ دعوتهم: الإمام العادل، والصائم حتى يفطر، ودعوة المظلوم»[2]،

فالله سبحانه يجيب دعوته، وينصف من يستغيث به، ويدفع عنه مظلمته، بل أجاز للمظلوم فوق ذلك الدعاء على الظالم، والتشهير به، وقول السوء في حقه حتى يرجع عن ظلمه، مصداقاً لقول الله تعالى: ﴿لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا﴾ [النساء: 148].

(1) رواه الحاكم.

(2) رواه ابن ماجه والبيهقي.

مجال العدالة:

العدل في الإسلام، لا يفرق بين مُسلم وغير مسلم، كما لا يفرق على أساس الحَسَب والنَسَب، ولا بين جاه ومال، لا يتأثر بالعواطف (حبّ أو كره)، بل يتمتع به جميع المقيمين على أرضه من المسلمين وغير المسلمين مهما كان بين هؤلاء وأولئك من مودة أو شنآن، بقول الله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْ ۚ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [المائدة: آية 8].

وفي هذا المعنى يقول العلاَّمةُ النورسي: «العدالة القرآنية المحضة، لا تُهْدِر دمَ بريء، ولا تُزْهِق حياته، حتى لو كان في ذلك حياة البشرية جمعاء»[1].

وما يُشيع اليوم بين الناس من كثرة المقاضاة بشأن الديون والحقوق واتساع رُقعة الخصومات بشأن الاختلاف بين الناس على الأموال ونحوها: يُوهن من رابطة الأخوة بين المسلمين وبين غيرهم من بني الإنسان، ولم يصل الأمر إلى ما وصل إليه اليوم في صورته البشعة إلا نتيجةَ طغيان غرائز الإنسان، من الطمع والجشع وحُب الاستئثار الذي يُجرد الناس من آدميتهم وإنسانيتهم وعقيدتهم وضمائرهم.

وفي معالجة المسألة جاء الإسلام يدعو إلى ضرورة العدل مع الظالم والمظلوم، وذلك بالحديث النبوي الشريف: «انصر أخاك ظالماً أو

(1) النّورسي، الكلمات، الكلمة الثالثة والثلاثون، من نور الحقائق.

مظلوماً»! قالوا: يا رسول الله! ننصره مظلوماً فكيف ننصره ظالماً؟ فقال (ص): «تأخذون فوق يديه وتردعونه عن ظلمه»[1].

وعن مفهوم العدالة الإسلامية في الحكم، وأنها المساواة بين الطرفين، دون ميل لأحدهما بسبب دِين أو عِرْق أو لون يقول العلاَّمة النّورسي: «فكما أن كليهما ـ أي المتخاصمين ـ في نظر القدرة ـ أي القدرة الإلهية ـ سواءٌ، فهما في نظر العدالة ـ البشرية ـ سواءٌ أيضاً»[2].

في مقابل المدنية المعاصرة فإنّ المدنية الإسلامية الحضارية كما يقول النّورسي تستند إلى: «الحق بدلاً من القوة، والحق من شأنه: العدالة والتوازن، وهدفها: الفضيلة بدلاً من المنفعة، والفضيلة من شأنها: المودّة والتجاذب»[3].

فالحق في الحضارة هو الأصل والأساس، ومن شأن الحق: العدالة والتوازن، وهدف الحق في الحضارة: الفضيلة والقيم الأخلاقية، المُفضية إلى المودة والتحابب، والرحمة والتوادد.

وعن إيضاح الفرق بين العدالة المحضة والعدالة الإضافية، يقول العلاَّمة النّورسي: إنَّ حق الشخص البريء الواحد لا يُبطل لأجل الناس جميعاً، أي: إنَّ حقه محفوظ، وهذا المعنى هو الذي تشير إليه الآية الكريمة: ﴿مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا﴾ [المائدة: آية 32]، فلا يُضحى بفردٍ واحد لأجل الحفاظ على سلامةِ الجميع، إذ الحق هو حق ضمن إطار الرحمة الإلهية، فلا يُنظر

---

(1) ابن حجر، **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، ج5 ص 98.

(2) النّورسي، **الكلمات**، الكلمة الثالثة والثلاثون.

(3) المصدر نفسه.

إلى كونه صغيراً أو كبيراً، لذا لا يُفدى بالصغير لأجل الكبير، ولا بحياة فرد وحقه لأجل سلامة جماعة والحفاظ عليها، إن لم يكن له رضاً في الأمر، أما إذا كانت التضحية برضاه ورغبة منه فهي مسألة أخرى. . .

أما العدالة الإضافية فهي أنَّ الجزء يُضَحّي لأجل سلامة الجميع، فهذه العدالة لا تأخذ حقَّ الفرد بنظر الاعتبار لأجل الجماعة، وإنّما تُحاول القيام بنوع من عدالة إضافية من حيث الشر الأهون. ولكن إذا كانت العدالة المحضة قابلة للتطبيق فلا يُصار إلى العدالة الإضافية، وان صار إليها فقد وقع الظلم.

والإمام علي (ع) كان يؤمن بأنَّ العدالة المحضة قابلة للتطبيق، لذا حاول بناء الخلافة الإسلامية على تلك القاعدة من العدالة المحضة.

بينما معارضوه كانوا يقولون إنَّ هذه العدالة المحضة غيرُ قابلة للتطبيق، وهناك عوائقُ ومشكلاتٌ كثيرة تظهر أثناء تطبيقها، فصار اجتهادهم إلى العدالة الإضافية[1].

وعن أهمية الرابطة الإسلامية باعتبارها جامعة ومُكَمِّلة، وكون القومية الصغيرة مُمزقة ومنفرة، يتحدث العلاَّمة النّورسي عن طريقة الأمويين في الحكم، حيث فضّلوا رابطة القومية على رابطة الإسلام فأضروا من جهتين:

الأولى: آذوا الأقوام الأخرى بنظرتهم هذه، فوّلدوا فيهم الكراهية والنفور.

الثانية: إنّ الأُسس المتبعة في القومية والعنصرية أُسس ظالمة لا تتبع

(1) النّورسي، المكاتيب، المكتوب الخامس عشر.

العدالة ولا تُوافق الحق، إذ لا تسير تلك الأسس وفق العدالة، لأنَّ الحاكم العُنصري يفضل بني جنسِه على غيرهم، فأنَّى له أن يبلغ العدالة! بينما «الإسلام يجبّ ما قبله»[1] من عصبية جاهلية، فلا فرق بين عبد حبشي وسيِّد قرشي إذا أسلما، لذلك لا يمكن إقامة رابطة القومية بدلاً من رابطة الدين في ضوء هذا الأمر الجازم، فلن تكون هناك عدالة قطٍ، وإنما تُهْدِر الحقوق ويَضِيْع الإنصاف[2].

كما وصف العلاَّمة النّورسي الحالةَ السياسية عامة بقوله: «إنَّ الدستور الغادر للسياسيين الظلمة «يُضحى بالفرد لأجل الجماعة» وله وقائع وأحداث قاسية ظالمة تحت اسم «أهون الشرين» وقد اتخذه بعض الحكام نوعاً من أنواع العدالة الإضافية (النسبية) وأبرزوه لمصلحة إدامة حكمهم، وفي هذا العصر وبموجب هذا الدستور الغادر يُفْنِي أحدهم قريةً كاملةً بخطأ شخص واحد فيها، ويُهلك ألوف الناس لتوهم ضرر قد يَلحق بسياستهم من جراء معارضة عشرة أشخاص[3].

بينما العدالة الحقيقية للقرآن المُبين أنه لا يُفدى بحق الفرد لأجل الحفاظ على الجماعة، فالحق حق، لا ينظر إلى كثيره وقليله[4].

---

(1) ابن حجر، **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، ج7 ص 196.

(2) النّورسي، **المكاتيب**، المكتوب الخامس عشر.

(3) النّورسي، الملاحق، **ملحق أمير داغ**، 376.

(4) النّورسي، الملاحق، **ملحق قسطموني**، ص 172.

المبحث الثالث

النّورسي وموقفه من المرأة

عايش النّورسي الغزو الغربي الذي جعل من موضوع المرأة ميداناً للهجوم على الثقافة الإسلامية، وقد شكلت قضية المرأة مادة لكل دعاة التغريب والتحرر كما يزعمون، إذ أن أول ما قاموا به لزعزعة المجتمع الإسلامي هو إخراج المرأة من بيتها ودفعها إلى نزع الحجاب، تارة بدعوى الحرية والتمدّن، وطورًا بدعوى العِلم والتطور. وفي إطار معالجته للتحديات اهتمّ النّورسي بموضوع المرأة كواحد من مواضيع الصراع مع الثقافة الغربية الغازية.

لقد كرّم الإسلام الرجل والمرأة من غير انتقاص لأحدهما، وكان التكريم على قِدَم المساواة، وتكريم الإسلام لهما كامنٌ في الحقوق والواجبات: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ۗ﴾ [البقره: آية 228] وهي درجة الخدمة لها والإنفاق عليها وليس درجة تكريم وسمو، فهما سواء في الخطاب الإنساني والإيماني، وهي درجة القوّامة بمعناها اللغوي والشرعي .

وتكريمها بالثواب والجزاء في الدارين: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ

أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [النحل: آية 97].

الرجل والمرأة من نفس إنسانية واحدة:

قال تعالى في حديثه عن الخلق: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ﴾ [النساء: آية 1].

ففي بداية الخلق كانت النفس البشرية واحدة ثم خلق الله تعالى منها زوجها، فخرجت حواء من آدم. لذلك يحتاج كل واحد منهما للآخر لإعادة اللحمة والوصول إلى الكمال الإنساني من جديد.

وهنا ملاحظة مهمة وهي أنَّ القرآن الكريم عندما يُريد أن يخاطب النفس الإنسانية إنما هو يخاطب ذلك الأصل الكامل، فلا يميز بين رجل وامرأة إلا عندما يكون الخطاب موجهاً بشكل خاص لأحدهما، وهذا الخطاب القرآني الشامل يُظهر عظم اللّحمة بين شِقّي النفس الإنسانية حتى كأن هذا الانسلاخ معدوم فيما يتعلق بعموم الخلق وغاياته وأهدافه[1].

فكلاهما على حدٍّ سواء معنيان بالإيمان والإسلام والإحسان، ومُطالبان بالخضوع وتطبيق أصول الشرع وفروعه من فقه وعبادة. والنّورسي في رسائل النور لم يخالف الخطاب الموجه للإنسان في القرآن الكريم، فلم يميز في عموم خطابه الإيماني بين الرجل والمرأة. يقول النّورسي مخاطباً النساء: «فلتكن رسالة الحجاب في المقدمة، ومُرشد

---

(1) إيمان علي لاغا، «الرجل والمرأة كإنسانين في القرآن»؛ المؤتمر الخامس عن النّورسي، ص341.

الشباب، والكلمات الصغيرات نائبة عني في إلقاء الدرس عليكن يا أخواتي الطيبات»[1] ومُرشد الشباب والكلمات الصغيرات إنما هي موجهة في عموم خطابها إلى الإنسان دون تفريق بين رجل وامرأة، ويضيف النّورسي: «إنَّ كل من يجعل الحياة الفانية مُبتغاه فسيكون في جهنم حقيقة ومعنى، حتى لو كان يتقلب ظاهراً في بحبوحة النعيم. وإنَّ كل من كان مُتوجهاً إلى الحياة الباقية ويسعى لها بجدٍّ وإخلاص فهو الفائز بسعادة الدارين»[2].

وهذا هو مدار خطابه وحديثه في الرسائل كلها، حتى إذا ما كان الموقف موقف خصوص وتمايز، لزم الرجل مركزه ولبست المرأة لبوسها.

النساء بطلات العطف والحنان:

يقول النّورسي: «إنَّ النساء نوع من المخلوقات الطيبة المباركة، خلقها الله تعالى لأجل قضاء حياة أسرية سعيدة ضمن نطاق التربية الإسلامية»[3]. وهي جزء من كل لا تكتمل إلا بالتحاقها بشقها الثاني، وقد جُبلت على الرقة والحنان والشفقة والدعة، لذلك يقول النّورسي: «يجدن في أنفسهن حاجة إلى رجل يقوم على حمايتهن وحماية أولادهن، فهن مسوقات فطريًا نحو تحبيب أنفسهن للآخرين وعدم جلب نفرتهم وتجنب. جفائهم واستثقالهم»[4].

---

(1) النّورسي، رسائل النور، اللمعات، ص 313.

(2) المصدر نفسه، ص 37.

(3) المصدر نفسه، ص 312.

(4) المصدر نفسه، ص 300.

مسألة الحجاب:

إنَّ أول ما دعا إليه دُعاة التحلل والتَّغرب هو خلع الحجاب، يحاولون بذلك التعرض لأهم ثوابت فطرة المرأة، ولعله الأخطر من بين كل المسا ئل ذات الصلة. لقد اشتملت رسائل النور رسالة تكاد تكون أكثر الرسائل خصوصية بالنساء، بل هي تكاد تكون الوحيدة التي ميّز فيها النّورسي بين الرجل والمرأة وتوجه فيها إلى النساء مباشرة(*).

وفي رسالة الحجاب يعرض النّورسي للخطاب القرآني الخاص الموجَّه للمرأة مشيرًا إلى أحد أهم خصائص إنسانيتها بقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّۚ﴾ [الأحزاب، آية 59].

فهذه الآية ـ يقول النّورسي ـ تأمر بالحجاب بينما تذهب المدنية الزائفة إلى خلاف هذا الحكم الرباني، فلا ترى الحجاب أمرًا فطريًا للنساء بل تعده أسرًا وقيدًا لهن(1).

وهناك أربع حِكم تدل على كون هذا الحكم القرآني يتوافق مع مقتضى فِطرة النساء، وخلافه يناقض هذا الأصل(2).

(*) ومن المفيد قبل الولوج في الموضوع أن نذكر ما جرّته رسالة الحجاب على كاتبها وأتباعه، إذ يذكر النورسيّ أنه بعد تحقيق دام ستة أشهر في محكمة «أسكي شهر» تمت تبرئة رسائل النور من تهمة تشكيل أية جمعية وأية طريقة صوفية، هذا ما عدا رسالة الحجاب (التي تُعد جزءًا صغيرًا فقط من رسائل النور)، حيث جعلوها دليلا وحجة ـ ليست قانونية بل بقناعة شخصية ووجدانية ـ مما أدى إلى الحكم بالسجن لمدة ستة أشهر. لعشرة من طلاب النور.

(1) النّورسي، رسائل النور، اللمعات، ص 299.

(2) المصدر نفسه، ص 300.

الحكمة الأولى:

النساء يحملن في فطرتهن تخوفًا من الرجال الأجانب وهذا التخوف يقتضي فطرّة التحجب وعدم التكشف، وهذا الخوف الفطري يدفعها إلى التحفظ ويدفعها إلى التستر، ليحول دون إثارة شهوة غير المحارم وليمنع التجاوز عليها، تطبيقاً لقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ﴾ [الأحزاب: آية 59].

فالمرأة لكونها رقيقة الطبع سريعة التأثر تنفر حتمًا ـ ما لم تفسد أخلاقها وتتبذّل ـ من نظرات خبيثة تُصوب إليها والتي لها تأثير مادي كالسم، حتى أننا نسمع أنَّ كثيرًا من نساء أوروبا وهي موطن التكشف والتبرج يشكين إلى الشرطة ملاحقتهن بالنظر إليهن، قائلات: «إنَّ هؤلاء السّفلة يزجوننا في سجن نظراتهم».

الحكمة الثانية:

تتمحور حول تلك العلاقة الوثيقة والحب العميق بين الرجل والمرأة وهذه العلاقة ليست وليدة متطلبات الدنيا فحسب، فالمرأة ينبغي لها عدم لفت نظر غير رفيقها الأبدي وصديقها الخالد إلى مفاتنها وألاّ تُزعجه ولا تحمله على الغضب والغيرة.

وبما أنَّ زوجها المؤمن ـ بحكم إيمانه ـ لا يحصر محبته لها في حياة دنيوية فقط، ولا يُوليها محبة حيوانية مُقتصرة على وقت جمالها وزمن حُسنها، وإنّما يُكن لها حبًا واحترامًا خالصين يدومان إلى وقت شيخوختها وزوال حسنها، فإنَّ على المرأة أيضًا أن تخص زوجها وحده بجمالها ومفاتنها وتقصر محبتها عليه كما هو مقتضى الإ نسانية وإلا ستفقد الكثيرولا تكسب إلا القليل.

الحكمة الثالثة:

وهنا تبرز مسألة الثقة المتبادلة بين الزّوجين والاحترام اللائق والود الصادق. إلاّ أنَّ التبرُّج والتكشُّف يُخلُّ بتلك الثقة ويُفسد ذلك الاحترام.

الحكمة الرابعة:

إنَّ التبرُّج أو السفور يحدُّ من الإقبال على الزواج بل ويُقلل أيضًا من التكاثر، لأنّ الشاب مهما بلغ فسوقه، وتحلله فإنّه يرغب في أن تكون صاحبته في الحياة مصونة عفيفة ولا يريدها أن تكون مُبتذلة متكشفة مثله، لذا نجده يفضل العزوبة على الزواج وربما ينساق إلى الفساد.

وهكذا، لا فائدة من التبرج ونزع الحجاب إلا إثارة هوى النفس وإطلاق الشهوات من عقالها ما سيؤدي حتمًا إلى الإفراط وتجاوز الحدود في جميع الأحوال، وهو ما تسعى له أدوات التغريب لإفساد المجتمعات الإسلامية.

الجمال نعمة يجب حفظها:

يقول النّورسي: «الجمال نعمة مُهداة، والنعمة إذا حُمدت زادت، وإذا قُوبلت بالنكران تغيرت، فلا شك أنّ المرأة المالكة لرشدها سترفض بشدة وبكل ما لديها من قوة أن تجعل من جمالها وسيلة لكسب الخطايا والذنوب وجذب الآخرين إليها. وستأبى تمامًا أن تجعل جمالها يتحول إلى قُبح ودمامة وجمال منحوس مسموم، وهي بلا شك لن تجعل بالنكران تلك النعمة المهداة مدار عذاب وعقاب»[1].

(1) النّورسي، رسائل النور، اللمعات، ص 306

وهذا يعني أنه يجب على المرأة للمحافظة على جمالها سلوك الطريق المشروع، وأن تدرك أنَّ جمال شبابها إنّما يدوم بضع سنين فقط، ولهذا لا بد لها من تحصيل ذلك الجمال الأبدي الذي إنّما هو عبادة وعرفان بنعمة الله عليها عندما منحها ذلك الجمال الفاني. وإلا فالنذير آت كما يشير النّورسي بقوله: «وإلا ستتجرّع الآلام والعذاب في وقت شيخوختها وستبكي وتندب نفسها يائسة نادمة لشدة ما ترى من استثقال الآخرين لها وإعراضهم عنها»[1].

وللحصول على الجمال الخالد يقول النّورسي: «أما إذا زُين ذلك الجمال بزينة آداب القرآن الكريم ورُوعي الرعاية اللائقة ضمن نطاق التربية الإسلامية، فسيظل ذلك الجمال الفاني باقياً، وستمنح المرأة جمالاً هو أبهى وأجمل وأحلى من جمال الحور العين»[2].

النِّساء شقائق الرجال:

المرأة ليست فقط كائنًا جميلا ينهمك في خدمة نعمة هذا الجمال ولكنها أيضًا أخت مجاهدة وأُم حنون، مسؤولة وداعية مُضحية تتمتع بكل صفات الكمال الإنساني، بعيدًا عن خصوصيتها كامرأة.

ولقد وصّى القرآن الكريم الإنسان بوالديه وشدّد على الوفاء للأم وطاعتها. قال الله تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ﴾ [لقمان: آية 14].

(1) المصدر نفسه، ص306

(2) المصدر نفسه، ص307.

وهذا يُدلل على عِظَم دور تلك اليد التي تصوغ شخصية وليدها وتُحدد بكل دقة ملامحها ودقائقها، إنّها بحق كما يصفها النّورسي: «أول أستاذ للإنسان، وأكثر شخص يؤثر في تعليمه»[1].

وبحكم كونهنَّ بطلات العطف والحنان يتساءل النّورسي عن رد فعل الوالدة عندما تعلم أنَّ بمقدورها أن تؤمن لولدها حياة خالدة أبدية رغداء وتُنقذه من سجن وعذاب أبدي، وذلك بمجرد إحسان تربيته وصيانته من فساد المجتمع، وكتقرير لما هو حق يقول النّورسي: «ولكن إذا سعت تلك الوالدة إلى إنقاذ ولدها الضعيف من السجن الأبدي الذي هو جهنم ومن الإعدام الأبدي الذي هو الموت في الضلالة بشفقتها الحقيقية الموهوبة دون الإساءة في استعمالها، فإنَّ ولدها سيُوصل الأنوار دومًا إلى روحها بعد وفاتها»[2][*].

المرأة والعمل

وجّه النّورسي الدعوة للمرأة دافعًا إيّاها إلى العمل والتكسب، بقوله: «اعْملن على كسب نفقاتكن بعمل أيديكن كما تفعل نساء القُرى الطيبات واكْتفين بالاقتصاد والقناعة المغروزتين في فطرتكن»[3].

هذه الدعوة تقود للإشارة إلى أنَّ الإسلام عندما جعل للمرأة ذمة مالية مستقلة فقد حثّها على التكسب وجَنْي المال والعمل، وكي تتمكن

---

(1) النّورسي، رسائل النور، اللمعات، ص 308.

(2) المصدر نفسه.

(*) إشارة إلى ما ورد في الحديث الشريف: «إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاثة: صدقة جارية أو علم يُنتفع به أو ولد صالح يدعو له».

(3) النّورسي، رسائل النور، اللمعات، ص 308.

المرأة من العمل لا بد لها من تحصيل العِلم وإتقان الصناعات، وهي في هذه الحالة لا تختلف أبدًا عن الرجل.

ولبيان أهمية وضرورة التعلم، **يُفرق النّورسي** بين الإنسان والحيوان باستعداد كل منهما ووظائفه في هذه الدنيا فيقو ل: «إنَّ الوظيفة الأساسية للحيوان ليست التكمل والاكتمال بالتعلم ولا الترقي بكسب العلم والمعرفة ولا الاستعانة بالدعاء بإظهار العجز، وإنّما وظيفته الأصلية العمل حسب استعداده أي العبودية الفعلية»[1].

ويُضيف: «إنَّ وظيفة الإنسان الفطرية هي التكمل بالتعلم أي التّرقي عن طريق كسب العلم والمعرفة والعبودية بالدعاء... ولقد جيئ بهذا الإنسان إلى هذا العالم لأجل أن يتكامل بالمعرفة والدعاء لأن كل شيء فيه موجه إلى العِلم ومتعلق بالمعرفة حسب الماهية والاستعداد»[2].

فالمرأة إذاً هي عالمة داعية أوكلت إليها مُهمة نشر رسائل النور وقراءتها ومشاركة طُلاب النور في جميع مكاسبهم المعنوية. ولا يخفى على أحد المصاعب والعقبات التي تعترض طريق طلاب النور ومدى عِظم القوة والعِلم المطلوبين للوصول إلى تحقيق هدف نشر القرآن الكريم[3].

والحجاب لم ولن يكون عائقًا يحول بين المرأة والتعلم والارتقاء إلى أعلى الدرجات العلمية والمعرفية، بل هو قلعتها المنيعة ودرعها الساتر وجواز مرورها وتجوالها في كل مكان مسلحة بالعفة والطهارة.

---

(1) النّورسي، رسائل النور، الكلمات، ص 354.

(2) المصدر نفسه، ص 355.

(3) النّورسي، رسائل النور، اللمعات، ص 314.

المحور الثاني: الرجل صاحب المسؤوليات العظام:

قال الله تعالى لآدم (ع) عندما أخبره عن حاله على الأرض بعد خروجه وزوجه من الجنة: ﴿فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ﴾ [طه: آية 117].

ولم يقل فتشقيان أي آدم وحواء، وهذا دليل على وجوب سعي الرجل وراء رزق عياله وتحمله شقاء الحياة الدنيا. وفي فلك هذه الآية تدور الأحكام الشرعية والفقهية التي تنظم حياة الرجل وعلاقته بمحيطه وسائر أفراد أسرته.

إنَّ الرجل هو ذلك الكل الذي بفقدانه لضلعه خسر جزءًا من إنسانيته وهو يسعى جاهدًا لإعادته والمحافظة عليه ليعيد لنفسه كمالها، ويظل يبذل كل غالٍ ورخيص ويسعى ويشقى في سبيل ديمومة هذه اللحمة. ويصف النورسي بيت الإنسان بدنياه الصغيرة بل وجنته المصغرة، والرجل يتعهدها بالعناية والرعاية. وهذا الشعور عند الإنسان بالمسؤولية وعِظم الأمر المُلقى على عاتقه فللرجال درجة على النساء وهي قِوامتهم عليهن، لأنَّ الرجال مطالبون بالإنفاق على الأسرة والعمل بكل وسيلة لإسعادها والتكفل بمطالبها[1].

ويُنظم القرآن الكريم هذا الكفاح ويدعمه، من هنا تأتي آيات الميراث في قوله تعالى: ﴿فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ﴾ [النساء: آية 176]. يقول النورسي عن حكمة ذلك: «إنَّ الرجل الذي يتزوج امرأة يتكفل بنفقتها، أما المرأة فهي تتزوج الرجل وتذهب إليه وتحمل نفقتها

(1) خالد عبد الرحمن العك، آداب الحياة الزوجية، دار المعرفة، بيروت، ط6 ـ 1999م، ص 39.

عليه»[1]، إذًا في هذا الحكم القرآني عدالة بحق الرجل ورحمة بحق المرأة.

وفي معرض تبيانه لهذه الحكمة وشرحه للآية الكريمة يقول النّورسي:

«إنَّ الحُكم القرآني رحمة، لأنَّ تلك البنت الضعيفة محتاجة كثيرًا إلى شفقة والدها وعطفه عليها وإلى رحمة أخيها ورأفته بها، فهي تجد حسب ـ الحُكم القرآ ني ـ تلك الشفقة عليها من والدها وعطفه دون أن يكدرها حذر، إذ ينظر إليها والدها نظرة من لا يخشى منها ضررًا، ولا يقول بأنَّها ستكون سببًا في انتقال نصف ثروتي إلى الأجانب والأغيار. فلا يشوب تلك الشفقة والعطف الأبوي الحذر والقلق. ثم إنّها ترى من أخيها رحمة وحماية لا يُعكرهما حسد ولا منافسة إذ لا ينظر إليها أخوها نظرة من يجد فيها منافسًا له يمكن أن تُبدد نصف ثروة أبيها بوضعها في يد الأجانب. فلا يعكر صفو تلك الرحمة والحماية حقد ولا كدر»[2].

ويرى **النّورسي** أنَّ الرجل لا يبلغ شأو المرأة في التضحية والفداء، فإن المرأة لا تُدرك الرجل في السفاهة والغيّ بأي وجهة من الوجوه، فالرجل إذا غوى لأجل لذة تسع دقائق، لا يتضرر إلا بضع ليرات، بينما المرأة تُجازى على هذه الدقائق التّسع، تسعة أشهر حملا وتتحمل مصاريف تربية طفل لا حامي له طوال تسع سنوات أو أكثر[3].

ويذكر **النّورسي** كيف أنَّ الأسرة مُهددة بالخراب فيقول: «إنَّ الحياة

---

(1) النّورسي، رسائل النور، المكتوبات، ص 48.

(2) المصدر نفسه.

(3) النّورسي، رسائل النور، اللمعات، ص 312 بتصرف.

الأسرية هي قلعة الإنسان الحصينة ولا سيما بالنسبة للمسلم فهي كجنته المصغرة ودنياه الصغيرة، فإذا فتّشت عن السبب الذي أدّى إلى فسادها علمت أنّ هناك منظمات سرية تسعى لإضلال الشباب وإفسادهم بتذليل سُبل الشهوات أمامهم وسوقهم إلى السفاهة والغواية لإفساد المجتمع الإسلامي والإضرار بالدين الإسلامي»[1].

وكنتيجة لهذا الفساد يُنبه النّورسي الأُسر فيقول: «إذا ما شاهدت الزوجة فسادًا في زوجها وخيانة منه وعدم وفاء فقامت هي كذلك ـ عنادًا له ـ بترك وظيفتها الأسرية وهي الوفاء والثقة فتفسدهما، يختل عندئذ نظام تلك الأسرة كليًا ويذهب هباءً منثورًا كالإخلال بالنظام في الجيش. فلا بد للزوجة أن تسعى جادة لإكمال نقص زوجها وإصلاح تقصيره...»[2] بإمساكها بزمام الأسرة.

ومن هنا، جاءت دعوته للنساء بالعمل على كسب نفقاتهن بِعمل أيديهن، وهذا أولى من بخس أنفسهن بسبب هُموم العيش بالرضوخ لسيطرة زوج فاسد، سيّء الخُلق مُتفرنج، من كان حظها وقسمتها زوجًا لا يُلائمها فلترضى بقسمتها ولتقنع فعسى الله أن يصلح زوجها برضاها وقناعتها، وإلا تُراجع المحاكم لأجل الطلاق، وهذا لا يليق بعزة الإسلام وشرف الأمة[3].

وسيلة إعادة اللّحمة لِشقَّيْ النفس البشرية:

لا تزال مُعجزة الجذب أو الانجذاب الإنساني سرًا قليلون أولئك

---

(1) المصدر نفسه، ص 310.
(2) النّورسي، رسائل النور، اللمعات، ص 311.
(3) المصدر نفسه، ص 312.

الذين يفهمونها أو ينعمون بوهج نورها، وحدهم الذين اختاروا طريق القرآن الكريم هُدى وموعظة لهم يتمتعون بهذه السعادة الممتدة إلى ما بعد الموت.

لقد سبق القول إنَّ شَقَّي النفس الإنسانية ـ الرجل والمرأة ـ يتوقان إلى اللحمة والاتحاد للوصول إلى الكمال الإنساني والسّير نحو الأبدية. فالرجل يدأب في البحث عن جُزئه الثاني ليعوض خسارته ويتّحد معه، والمرأة تُفتش عن أصلها لتبلغ به كمال الإنسانية.

إنها حكمة الخالق في خلق كل من الجنسين على نحو يجعله موافقًا للآخر وملبيًا لحاجاته الفطرية، نفسية، عقلية، وجسدية، بحيث يجد عنده الراحة والطمأنينة والاستقرار، ويجدان في اجتماعهما السّكن والاكتفاء والمودة والرحمة، لأنَّ تركيبهما النفسي والعصبي والعضوي ملحوظ في تلبية رغائب كل منهما، وائتلافهما وامتزاجهما في النهاية لإنشاء. حياة تتمثل في جيل جديد[1]. وهذا ما تؤكده الآية الكريمة في قوله تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ [الروم: آية 21]. والسّكن هو أسمى علامات الراحة والطمأنينة والسعادة الإنسانية، ويظل الرجل في حيرة واضطراب حتى يمنّ الله عليه بالزواج فيسكن إلى بيته وزوجه وولده.

والإنسان بحاجة ماسّة إلى قلب مُقابل لقلبه يُؤنس وحدته ويُبادله الحب والعشق ويشاركه السراء والضراء ويعينه في حالات الحيرة والتفكير، ويشاطره الرأي في كل مسألة معقدة. يقول النّورسي: «إنَّ

---

(1) عبد الرحمن العك، آداب الحياة الزوجية، ص 35.

ألطف القلوب وأشفقها وأحرها قلب القسم الثا ني، ثم إنّ مُتمم الامتزاج الروحي ومكمل الاستيناس القلبي ومُصفِّي الاختلاط الصوري كون القسم الثاني مبرّأة ومطهَّرة من الأخلاق السيئة والعوارض المنفرة»[1](*).

الزوجة رفيقة في رحاب الإسلام في الدارين:

ولما كانت الزوجة رفيقته إلى الأبد، فإنّ الإمام الصالح يُوصي بوصايا خالدة تضمن لهذه الرفقة خلود السعادة، فيقول: «إنَّ الزوج الرشيد لا يبني محبته لزوجته على جمال ظاهري زائل لا يدوم عشر سنوات، بل عليه أن يبني مودته لها على شفقتها التي هي أجمل محاسن النساء، وأدومها، ويوثقها بحسن سيرتها الخاصة وبأنوثتها، كي تدوم محبته لها كلما شابت تلك الزوجة الضعيفة، إذ هي ليست صاحبته

---

(1) النورسي، رسائل النور، إشارات الإعجاز، ص 195.

(*) وأول ما قد يتبادر إلى ذهن أي قارئ يطَّلِع على رسائل النور هو لماذا بقي بديع الزمان سعيد النورسيّ الرجل الذي استخلص عمق المشاعر الإنسانية المتأتية من سكن الزواج، عازبًا طوال حياته مع إدراكه العقلي والعاطفي لضرورة الزواج وعلمه بأنه سنة نبوية شريفة؟

ولقد أجاب هو بنفسه على ذلك ردًا على سؤال نُشر في بعض الصحف الخارجية «لما بقيت عازبًا خلافًا للسنة النبوية؟» قال: «في الوقت الذي يلزم لصد هجوم زندقة رهيبة تغير منذ أربعين سنة، فدائيون يضحون بكل ما لديهم، قررتُ أن أضحي لحقيقة القرآن الكريم، لا بسعادتي الدنيوية وحدها، بل إذا استدعى الأمر بسعادتي الأخروية كذلك، فلأجل أن أتمكن من القيام بخدمة القرآن على الوجه الصحيح بإخلاص حقيقي، ما كان لي بُد من ترك زواج الدنيا الوقتي ـ مع علمي بأنه سُنة نبوية ـ بل لو وُهب لي عشر من الحور العين في هذه الدنيا، لوجدت نفسي مضطراً للتخلي عنهن جميعاً، لأجل تلك الحقيقة، حقيقة القرآن. . . . لذا تركت عادة الزواج الذي أعلم أنها سنة نبوية لئلا ألج في محرمات كثيرة، ولكي أتمكن من. القيام بكثير من الواجبات وأداء الفرائض».

ورفيقته في حياة دنيوية مُؤقتة فحسب، وإنّما هي رفيقته المحبوبة في حياة أبدية خالدة، فيلزم أن يتحابّا باحترام أزيد ورحمة أوسع كلما تقدما في العمر. أما حياة الأسرة التي تتربى في حياة أحضان المدنية الحديثة فهي مُعرضة للانهيار والفساد، حيث تُبنى العلاقة على صحبة مؤقتة، يعقبها فراق أبدي!!»[1].

وردًا على من قال إنّه طلب من طلاب النور التخلي عن الزواج يقول النّورسي: «لم نقل لطلاب النور: «تخلوا عن الزواج ودعوه للآخرين ولا ينبغي أن يُقال لهم هذا الكلام، ولكن الطلاب أنفسهم على مراتب وطبقات، فمنهم من يلزم عليه أن لا يربط نفسه بحاجات الدنيا قدر المستطاع، في هذا الوقت، وفي فترة من عمره، بلوغًا إلى التضحية العظمى والثبات الأعظم والإخلاص الأتم. وإذا ما وجد الزوجة التي تُعينه على خدمة القرآن والإيمان فبها ونعمت. إذ لا يضر هذا الزواج بخدمته وعمله للقرآن، ولله الحمد والمنّة ففي صفوف طلاب النور كثيرون من أمثال هؤلاء، وزوجاتهم لا يقصرن عنهم في خدمة القرآن والإيمان، بل قد يَفقْنهم ويسبقنهم لما فُطرن عليه من الشفقة التي لا تتطلب عوضًا، فيؤدين العمل بهذه البطولة الموهوبة لهن بإخلاص تام»[2].

وهنا نلحظ أن الشيخ النّورسي يتعرض لمسألة هامة في الزواج لا يجب أن يغفل عنها أحد وهي الكفاءة.

فقد جاء في رسالة الحجاب: «إنَّ ما هو مطلوب شرعًا، أن يكون

---

(1) النّورسي، رسائل النور، اللمعات، ص 311.

(2) المصدر نفسه، ص 402.

الزوج كُفوءا للمرأة. وهذا يعني ملاءمة الواحد للآخر ومُماثلتهما، وأهم ما في هذه الكفاءة، كفاءة الدين»[1][*].

هذا تأكيد واضح على اعتبار كفاءة الدين في الزواج وإن كانت المرأة كما يقول النّورسي لا تتمكن من أن تُحدد اختيار زوجها[2]، أو حتى قد تنخدع بمظهره فتجد نفسها أمام خيار صعب لا تملك إزاءه إلا الصبر. وقد دلّها صاحب الرسائل على طُرق مقاومة هذا البلاء بالسعي بجدّ لإكمال نقص زوجها وإصلاح تقصيره وكسب نفقتها بعمل يدها (كما جاء في رسالة الحجاب) حتى لا تضطر للخضوع له ومجاراته علَّ طول صبرها وقوة إيمانها وصلاحها يُؤثران في زوجها فيعود إلى رشده ويصلح الله من حاله. وإلا فالطلاق هو ملجأها[3].

فالمرأة من حيث كونها مُدبرة لشؤون البيت الداخلية ومأمورة بالحفاظ على أولاد زوجها وماله وكل ما يخصه فإنَّ أعظم خصالها هي: الوفاء والثقة[4]. وهما لا يوجدان إلا في المرأة المؤمنة. وبما أنَّ النتيجة الحتمية لسُنة الزواج هو إنشاء أسرة وإنجاب أطفال فإنَّ النّورسي يرى أن: «الحياة العائلية هي مركز تجمع الحياة ولولبها وهي جنة سعادتها وقلعتها الحصينة وملجأها الأمين، وإنَّ بيت كل فرد هو عالمه ودنياه

---

(1) النّورسي، رسائل النور، اللمعات، ص 301.

(*) ولعل هذا ما هو واضح في الأحاديث النبوية الشريفة: «من جاءكم ترضون دينه وخلقه فأنكحوه إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد كبير». وأيضًا قوله (ص): «تنكح المرأة لأربع: لمالها ولحسبها ولجمالها ولدينها، فاظفر بذات الدين تربت يداك».

(2) النّورسي، رسائل النور، اللمعات، ص 303.

(3) المصدر نفسه، بتصرف ص 313.

(4) المصدر نفسه، ص 303.

الخاصة، فلا سعادة لروح الحياة العائلية إلا بالاحترام المتبادل الجاد والوفاء الخالص بين الجميع والرأفة الصادقة والرحمة التي تصل إلى حد التضحية والإيثار»[1].

ومن هنا نصل إلى حقيقة مهمة وهي ضرورة توفّر الإيمان والإسلام للوصول إلى هذه الغاية.

(1) النّورسي، رسائل النور، الشعاعات، ص 229.

الفصل الخامس

النّورسي ومنهجه
في التربية والدعوة والإصلاح

مدخل

للتربية(*) دور كبير في الاتجاهات السلوكية للإنسان، فهي التي تُحدد دوره في الحياة وتُحدد علاقاته وارتباطاته بالزمان والمكان والبيئة، كما تُحدد تصوره نحو المجتمع والكون والحياة، وفي ضوء المكانة المركزية للإنسان في الإسلام، تبوأت التربية في المنظومة الإسلامية موقعاً هاماً ومتميزاً، جعل إعداد الإنسان وتربيته وتغيير سلوكه وتطويره نحو الأرقى والأفضل هدفاً للعلماء والدعاة والمصلحين، لما يترتب على ذلك من آثار عميقة في إصلاح المجتمع، وإعداده للتغيّرات الحضارية الكبرى التي تشهدها البشرية كلما استقامت طائفة منها على طريق الحق، وتشربت مبادئ المنهج الإسلامي.

(*) التربية لغةً: هي مصدر الفعل (ربّى) مُضعف العين، وأصله الثلاثي هو (رَبَا)، بمعنى «نمّا وزاد».

واصطلاحاً: يقصد بكلمة التربية عملية تكوين الإنسان وصياغته وفق مبادئ معينة، ومنهج معين، ومن هنا تختلف العمليات التربوية باختلاف المناهج واختلاف المجتمعات. ووصفنا لها بالإسلامية لتحديد هويتها.

والتربية الإسلامية تقوم بتشكيل سلوك الفرد والمجتمع من خلال نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة وفي هذا الاتجاه انطلق النّورسي في تشكيل رؤيته التربوية التي تضمَّنتها رسائل النور.

في هذا الفصل نتناول موضوع التربية عند النّورسي في ثلاث مباحث:

الأول: الخطوط العريضة للطريق النوري.

الثاني: أساليب **النّورسي** التربوية.

الثالث: النورسي والإصلاح.

المبحث الأول

الطريق النوري

التربية الإيمانية هي وسيلة للرُّقي إلى مصاف اكتشاف الفقر والعجز وهذا ما يُوجد دافعية الفعل المعبّر عن العبادة، بما يُحقق في النفس من جذوة شوق تبقى ما بقي الشعور بالعجز والفقر في النفس البشرية، وهذا هو معدن العبودية، وهو مُثمر للشفقة ومُنتج لآثارها الاجتماعية. وطريق اكتشاف هذا الأصل، التفكّر الإيماني المحدَّد الأصول. بهذا التحديد يتحرر الفكر من عبثية المساعي ويُحرر النفوس من أسر الأنانية والاستكبار، وما شابه ذلك من الأمراض النفسية والمعرفية والاجتماعية. . .

هذه هي الخطوط العريضة للطريق النوري(*) في التربية والسلوك،

(*) الطريق النوري (المصطلح عليه في أدبيات النورسيّ): ـ المقصود به، المسلك الذي رسمه النورسيّ في التربية، حسب ماورد في مؤلفاته، والتي يتضح منها تلمسه لعناصر طريقه من الكتاب الكريم والسنّة المطهّرة، لهذا كان متميّزا، بتعبيره عن الإيمان، بقوله: الإيمان فقد جعل باب القبر ذاك باباً إلى عالم النور، وتلك الطريق طريقاً إلى السعادة الخالدة، فأصبح الإيمان، بحقٍ مرهماً شافياً لدائي. أنظر: الكلمات؛ ص231.
وعبّر عنه في نصوص أخرى بالإسلام، بقوله: نعم، إنّ لي ولله الحمد طريقاً سوياً رفيعاً هو الإسلام. أنظر: الملاحق، ص22.

وهنا يُطرح سؤال، يدور على جوابه، تحقيق القول في حقيقة الطريق النوري وأسسه ومميزاته، ثم اكتشاف منزلته بين سائر الطرق التربوية وفق الدلالات المتداولة عند الصوفية[1].

وتمييزاً له عن سائر الطّرق حدّد الأسس المعبرة بمجموعها عن المحددات العامة للطريق النوري.

أسس الطريق النوري:

الطريق النوري يُعبِّر عن الإيمان والإسلام، لذلك جعل الوحي أساساً له، من هنا فالقرآن هو المنطلق.

1 ـ طريق القرآن الكريم:

ينطلق النورسي من القرآن باعتباره أساساً لتربية الإنسان وتهذيب سلوكه، لاقتناعه التام بأنه مصدر سعادة الإنسان والرقي به في مدارج الكمال وفي ذلك يقول: «القرآن هو أسمى مُرشد وأقدس أستاذ على الإطلاق ب ومنذ ذلك اليوم أقبلت على القرآن واعتصمت به واستمددت منه، فاستعدادي الناقص قاصر عن أن يرتشف حق الارتشاف فيض ذلك المرشد الحقيقي الذي هو كالنبع السلسبيل الباعث على الحياة، ولكن بفضل ذلك الفيض نفسه يُمكننا أن نُبين ذلك الفيض وذلك السلسبيل لأهل القلوب وأصحاب الأحوال كل حسب درجته، فالكلمات والأنوار المستقاة من القرآن الكريم إذن ليست مسائل علمية عقلية وحدها، بل أيضاً مسائل قلبية وروحية وأحوال إيمانية. . فهي بمثابة علوم إلهية نفيسة ومعارف ربانية سامية»[2].

---

(1) د. عمار جيدل؛ **الطريق النوري في التربيه والسلوك، الأُسس والمميزات.**

(2) النورسي، **المكتوبات**، ص 459.

2 ـ إتباع سُنة الرسول (ص):

كما يُؤصل النورسي لطريقه بما ورد في السنّة المطهّرة، ويقول: «كنتُ أرى في سيري عبر السلوك الروحاني أنّ الكلمات المروية عن الرسول الأعظم (ص) منورة متألقة بشعاع السّنة المطهرة، في حين كنت أرى الأوراد العظيمة والحالات الباهرة غير المروية عنه ليس عليها ذلك النور والتألق. فما كان يبلغ أسطع ما في هذا القسم ـ الأخير ـ إلى أقل القليل لما في السنة. . . ففهمت من هذا: أنَّ شعاع السُّنة المطهرة هو الإكسير النافذ، فالسُّنة المطهرة كافية ووافية لمن يبتغي النور، فلا داعي للبحث عن نور في خارجها. . .»[1].

3 ـ المعرفة العميقة للنفس البشرية:

لقد أسّس النّورسي منهجه التربوي وبناه على أساس من المعرفة العميقة والشاملة للنفس الإنسانية التي هي موضوع التربية والتوجيه. مع يقينه عبر علاقته الروحية بالقرآن وتجاربه الكثيرة في الحياة أنّ الإنسان كائن مشدود إلى الغيب، ومفطور على التدين، ولا يروي حاجاته العقلية والروحية والعاطفية إلا التوحيد، ولا يجد ذاته الحقيقية إلا في ظلاله: «نعم أيها الإنسان، إنّك من جهة جسمك النباتي ونفسك الحيوانية جُزء صغير وحقير ومخلوق فقير وحيوان ضعيف، تخوض في الأمواج الهادرة لهذه الموجودات المتزاحمة المدهشة. إلا أنك من حيث إنسانيتك المتكاملة بالتربية الإسلامية، المنورة بنور الإيمان المتضمن لضياء المحبة الإلهية سلطان في هذه العبدية. . وإنّك كُلي في

(1) النّورسي، المثنوي العربي، ص 30.

جزئيتك.. وإنّك عالم واسع في صغرك.. ولك المقام السامي مع حقارتك، فأنت المُشرف ذو النيرة على هذه الدائرة الفسيحة المنظورة، إنّك إذا ألقيت السمع إلى النفس والشيطان فستسقط إلى أسفل سافلين وإذا أصغيت إلى الحق والقرآن فسترتقي إلى أعلى علّيين وكنت في أحسن تقويم في هذا الكون»[1].

4 ـ المعرفة الدقيقة بظروف المجتمع:

وضع النّورسي في اعتباره ضرورة فقه الواقع ومعرفته عن كثب، بإدراك ما يقوم عليه من نظم، وما يسوده من مذاهب، وما يحركه من عوامل، وما يتصارع داخله من قوى، وما يُعاني من أزمات كخطوة أساسية يجب أن تسبق كل محاولة لتغييره أو التأثير فيه. لذلك يقول في تحليله لأوضاع عصره: «في عصرنا هذا حالتين رهيبتين:

أولاها أنَّ نوازع الإنسان وأحاسيسه المادية لا ترى العُقبى، فتفضل درهماً من لذة عاجلة على قنطار من لذات آجلة. هذه الأحاسيس قد طغت ـ في هذا العصر ـ على عقل الإنسان وسيطرت على فكرهب إنّ ما في عصرنا الحاضر من تعنّت الإلحاد، وصدود الضلالات الناجمة من طغيان العلوم الحديثة وغرورها والإعراض الناشئ من اعتياد السّفه والغي، قد جعلت نسبة من يتعظ واحداً من مجموع عشرة أشخاص أو ربما واحداً من عشرين شخصاً...

والحالة الرهيبة الثانية لعصرنا الحالي أنّ أنواع الضلالة الناشئة من

---

(1) النورسيّ، **الكلمات**، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، دار سوزلر للنشر، استانبول، ط3 ـ 1419هـ/ 1998م، ص 371.

الإلحاد والعلوم الطبيعية، والتمرد المتولد من الكفر العنادي في الماضي يُعتبران من الضآلة بحيث لا يذكران إذا ما قيسا بما عليه الوضع في وقتنا الراهنب لقد تغيّر الحال اليوم، إذ بينما كان يوجد ـ في الماضي ـ مُلحد واحد في بلد، يمكن العثور على مائة في قصبة واحدة. وقد زاد عدد الذين يضلون بسبب افتتانهم بالعلوم والفنون الحديثة، ويقفون بعناد في وجه حقائق الإيمان أضعاف أضعاف الماضى بمائة مرة»[1].

مُميزات الطريق النوري:

1 ـ انتظام الموجودات:

الطريق المُؤسَّس على الأصول الإسلامية الصحيحة ينظر للكائنات نظرة تسخير لفاطرها الجليل وخادمة في سبيله، وأنها مظاهر لتجليات الأسماء الحسنى، كأنها مرايا تعكس تلك التجليات. أي أنه يستخدمها بالمعنى الحرفي ويعزلها عن المعنى الاسمي من أن تكون خادمة ومُسخَّرة بنفسها. وعندها ينجو المرء من الغفلة، ويبلغ الحضور الدائمي على نهج القرآن الكريم. فيجد إلى الحق سبحانه طريقاً من كل شئ[2]. وهذا هو طريق الفطرة.

2 ـ طريق الفطرة:

إنَّ الطريق التربوي الذي وضع خطوطه النّورسي هو طريق فطري، يتميّز بأنه يُؤتي أكله وثماره اليانعة النافعة عند كل حركة تتوخّى تحقيق

---

(1) النورسيّ، صيقل الإسلام، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، دار سوزلر للنشر، استانبول ط1 ـ 1416هـ/ 1995م، ص 487.

(2) النّورسي، الكلمات، ص 561.

مقاصده، وفي ذلك يقول النورسي: «إعلم! أنّ الفرق بين طريقي المستفادة من القرآن، وطريق أهل النظر والفلاسفة، هو أني أحفر أينما كنتُ، فيخرج الماءُ، وهم تشبثوا بوضعِ ميازيب وأنابيب لمجيء الماء من طرفِ العالَم ويُسلسِلونَ سلاسل وسلالمَ إلى ما فوق العَرش لجلب ماء الحياة، فيلزم عليهم بسبب قبول السبب وضع ملايين من حفظة البراهين في تلك الطريق الطويلة لحفظها من تخريب شياطين الأوهام»[1].

3 ـ عام وواقعي وسهل:

أ ـ الطريق النّوري موجه للعامة وليس للخاصة، ويُراعي تلك الميزة في وضع تفاصيل التطبيق والنظر، وهي ميزة أكسبته القدرة على تحقيق تطلّعات عموم البشر واستعداداتهم، فهو طريق ممهّد للترقي كما صرّح بذلك النّورسي[2]، إنّه «طريق عام وجادة كبرى»[3].

ب ـ طريق قصير بسيط لا تعقيد فيه، يقول عنه: «أما الطريق الثالث: المشار إليه بـ ﴿الذين أنعمت عليهم﴾ فهو الصراط المستقيم والجادة النورانية لأهل القرآن، وهو أقصر الطرق وأسلمه وأيسره، ومفتوح أمام الناس كافة ليسلكوه، وهو مسلك سماوي رحماني نوراني»[4].

---

(1) النّورسي، **المثنوي العربي**، ص170.
(2) النّورسي، **الكلمات**، ص 280.
(3) المصدر نفسه، ص 561.
(4) المصدر نفسه، ص650.

4 ـ يجلب السعادة الدنيوية والأخروية:

فالتعلّق بالوحي الشريف جالب للسعادتين الدنيوية والأخروية، إذ باستطاعتنا بلوغ ذلك العالم المُضيء بتلك الطريق، طريق الشريعة، من دون أن نرى صعوبة وكللاً»[1]، وهو الطريق ذو السعادة الذي يبينه لك القرآن الحكيم[2]، ذلك المسلك الذي يشعرنا بالراحة، لأنّه منبع اللذات وحياة الحياة، بل يُقلب الآلام إلى لذائذ، ويبعث الاطمئنان إلى الروح ـ حسب قوة الإيمان ـ والجسد مُتلذذ بلذة الروح، والروح تتنعم بنعم الوجدان[3].

5 ـ الجمع بين القلب والعقل:

من مقتضيات ميزة الجمع بين مطالب القلب والعقل في سياق واحد، فتح التواصل بين العقل والقلب والروح والقلب، وصولاً للمعرفة الإلهية ودورها في تطهير الأنفس من داخل الإنسان[4].

6 ـ طريق بمضامين اجتماعية:

إنَّ إهمال المسألة الاجتماعية في عمل الدعوة سبب جوهري في فشل تجسيدها عدا عن الانتشار والبقاء، والإغراق في المسألة الاجتماعية كثيراً ما كان سبباً في إهمال مركزية العامل الإيماني الشخصي، فكان موقف النّورسي وسطاً، حيث جعل من المسألة الإيمانية محور تحريك المسألة الاجتماعية، وسعى إلى إيجاد الفاعلية

---

(1) النّورسي، **اللمعات**، ص 89.

(2) النّورسي، **الكلمات**، ص 755.

(3) النّورسي، **اللمعات**، ص 894.

(4) أنظر: النّورسي، **المثنوي العربي**، ص 32، و**الكلمات**، ص 558.

الإيمانية في المجتمع أكثر من سعيه إلى تجسيد التميّز المجتمعي في أصل التوجّه نحو الطريق النوري، ذلك الطريق الذي من ركائزه، السعي إلى إنقاذ الآخرين، بنفس الدرجة التي نسعى فيها لإنقاذ أنفسنا، بل يعد العمل على إنقاذ الآخرين سعياً مستمراً لإنقاذ أنفسنا، يوضّح هذه الحقيقة امتداحه لتصرف أحد المُتقين من أهل القلوب بعد أن غيّر مسلكه السابق بمسلك يجعل من خدمة الآخرين والسعي إلى إنقاذهم هدفاً رئيساً:

«لقد رأيتُ أحد المُتقين من أهل القلب في زاوية «التكية» يُزاول السير والسلوك، ولكن بعد مُضي بضعة أيام شاهدته في المدرسة بين طلاب العلوم الشرعية، فسألته: لِمَ تركت الزاوية التي تفيض الأنوار وأتيت إلى هذه المدرسة؟ قال: هؤلاء النجباء ذوو الهمم العالية يسعون لإنقاذ الآخرين مع إنقاذهم لأنفسهم بينما أولئك يسعون لإنقاذ أنفسهم وحدها إن وُفِّقوا إليها. فالنجابة وعلو الهمة لدى هؤلاء والفضيلة والهمة عندهم»[1].

مُكوّنات الطريق النوري:

يتكون الطريق النوري من أربع خطوات وهي: طريق العجز، الفقر، الشفقة، التفكر، وهو طريق أقصر وأقرب من غيره، لأنه عبارة عن أربع خطوات. فالعجز إذا ما تمكن من النفس يسلّمها مباشرة إلى «القدير» ذي الجلال[2].

(1) النّورسي، **اللمعات**، ص 431.

(2) أنظر: النّورسي، **الكلمات**، ص 531، **وسيرة ذاتية**، ص 179.

أولا: العجز في الطريق النوري:

لمعرفة المُراد بالعجز(*)، يقول النورسي: «ولا يذهبنَّ بكم سوء الفهم إلى الخطأ. فالمقصود بالعجز والفقر والتقصير، إنّما هو إظهارذلك كله أمام الله سبحانه وليس إظهاره أمام الناس»[1].

ويُضيف النورسي: «إنَّ كل فرد مُؤمن يعرف ببصيرته ما هو جميل حقاً، كل حسب درجة فهمه وذوقه، إلاّ أنَّ اللذة الكامنة في العجز.. لا تُقاس بشيء إطلاقاً»[2].

والنورسي يرى في العجز «معدن النداء، والاحتياج منبع الدعاء»[3]، لهذا كان طريقاً موصلا بأقصر وقت وأيسر الوسائل والسّبل[4].

واكتشاف المرء عجزه التام(*) والشامل أمام الله، عامل فعّال في دفع

(*) أسس الإقرار بالعجز:
- يستند الإقرار بالعجز في قوته إلى القرآن الكريم، قال النورسيّ: «وقد استفدت من فيض القرآن الكريم ـ بالرغم من فهمي القاصر ـ طريقاً قصيراً وسبيلاً سوياً هو: طريق العجز، الفقر، الشفقة، التفكر». السيرة الذاتية؛ ص 177؛ ليس هذا فحسب، بل يُبصر المؤمن في العجز القوة، السيرة الذاتية؛ ص. 172 واللذة التي لا تضاهيها لذة، وفي ذلك يقول:
- «وجد من كَمُل إيمانهم في العجز ومخافة الله لذة تفوق أية لذة كانت، حتى أنّهم تبرءوا إلى الله براءة خالصة من حولهم وقوتهم ولاذوا بعجزهم إليه تعالى واستعاذوا به وحده، مقدّمين هذا العجز والخوف وسيلتين وشفيعين لهم عند البارئ الجليل». الكلمات؛ ص 29.

(1) النورسي، **الكلمات**، ص 558، **وسيرة ذاتية**، ص 177.

(2) النورسي، **الكلمات**، ص 29.

(3) النورسي، **المثنوي العربي**، ص 195.

(4) أنظر: المصدر نفسه، ص 339؛ **وسيرة ذاتية**، ص 177.

(*) ويفرض حضور الإحساس بالعجز والاعتراف به، بقاء جذوة التطلّع إلى المعالي والتعلّق بالعبودية، ذلك أنّ العجز الإنساني لا يتغيّر ولا يتبدّل، بل يزداد، ورحلة الإنسان=

البشر إلى تنمية قدراتهم الإيمانية والمعرفية، وتوخّي تحقيق مقاصده الاجتماعية، ذلك أنّ:

إنَّ الاعتراف بالعجز عامل مُهم في التحرر من الأنانية، وهو بذلك عنصر أساسي في اكتشاف المؤمن ذاته، وهو ما ترشد إليه الآية الكريمة: ﴿مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ﴾ وذلك: أنَّ ما تقتضيه النفس دائماً أنها تنسب الخير إلى ذاتها، ويسوقها هذا إلى الفخر والعجب. فعلى المرء في هذه الخطوة أن لا يرى من نفسه إلا القصور والنقص والعجز والفقر، وأن يرى كل محاسنه وكمالاته إحساناً من فاطره الجليل، ويتقبلها نعماً منه سبحانه، فيشكر عندئذ بدل الفخر، ويحمد بدل المدح والمباهاة. وهذا مدعاة لتزكية النفس، وتزكيتها في هذه المرتبة هو في سر هذه الآية الكريمة: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا﴾ [الشمس: 9][(1)].

= لا تنقطع، بل تحثّ على السير وتمضي، لهذا لا يحتج العاقل بقول أحدهم: بأن الزمان قد تغيّر، أو أنا مثل الناس، ذلك لأن ما من أحدٍ من الناس يصاحبك إلاّ إلى عتبة باب القبر.. لا غير. (**الكلمات**، ص 193).

إظهار العجز بين يدي الله تعالى يوصل إلى المحبوبية بطريق العبودية، لأنّه كالعشق طريق موصل إلى الله، بل هو أقرب وأسلم. الكلمات؛ ص558.

وهو أساس عبادة المؤمن وإدراك تقصيره ونقصه أمام بارئه القدير والتضرع أمام عتبة ألوهيته سبحانه والسجود عندها بكل ذل وخضوع، وبهذا يتحرر من التصنّع والتكلف لأجل أن يلائم نفسه ويحافظ عليها مع مستوى تلك المقامات السامية، فيصان من الوقوع فيما لا طائل وراءه من الغرور والأنانية والمشاكل العويصة. أنظر: (**اللمعات**، ص20 و**الكلمات**، ص 362).

الدعاء طلب، والطلب مبناه الافتقار والإقرار بالعجز، يتضرع المريض بذلك العجز وذلك الضعف بالدعاء حالاً وقولاً. وما أودع الله سبحانه وتعالى في الإنسان عجزاً غير محدود وضعفاً غير متناه إلا ليلتجئ دائماً إلى الحضرة الإلهية بالدعاء سائلاً راجياً، حيث أن الحكمة من خلق الإنسان والسبب الأساس لأهميته هو الدعاء الخالص. (**اللمعات**، ص 325).

(1) النورسي، **الكلمات**، ص 560.

من هذا المنطلق كان العجز كاشفاً عن ماهية الإنسان المتجلية في العجز المُفضي إلى التزكية باستمرار.

والعجز عنصر أساسي في ماهية الإنسان[1]، وكنوز العجز والفقر مندرجة في ماهية الإنسانية وسائر المؤثرات المهيجة والمحركة، فلا تمنح المصائبُ الإنسان الالتجاء إلي البارئ بلسان واحد فحسب، بل تجعله يلتجئ إليه ويستغيثه بلسان كل عضو من أعضائه. وكأنَّ الإنسان بتلك المؤثرات والعلل والعقبات والعوارض يغدو قلماً يتضمن آلاف الأقلام، فيكتب مقّدرات حياته في صحيفة حياته أو في اللوح المثالي، وينسج لوحة رائعة للأسماء الإلهية الحُسنى، ويُصبح بمثابة قصيدة عصماء ولوحة إعلان.. فيؤدي وظيفة فطرته[2].

العجز قوة بالإيمان:

العجز بمعزل عن الإيمان موت مستمر وداء مُلازم، علاجه وباعث الحياة فيه بإذن الله، الإيمان، فهو علاجه وبلسمه الشافي، وأقصر طريق لبلوغ ذلك العلاج هو الإطلال من نافذتي «العجز والفقر» اللتين تتفتحان بتمزيق المرض المادي لحجاب الغفلة واللتين جُبلَ الإنسان عليهما، وبالتالي تبلغ معرفة قدرة القادر ذي الجلال ورحمته الواسعة[3].

ثانياً: الفقر في الطريق النوري:

المُراد بالفقر: الفقر في أدبيات النّورسي إظهار ذلك أمام الله سبحانه

---

(1) النّورسي، الكلمات، ص 644.

(2) النّورسي، اللمعات، ص 20.

(3) المصدر نفسه، ص 322؛ والمثنوي العربي، ص 58.

وتعالى وليس أمام الناس، لهذا فهو افتقار إلىٰ الله لا غير، وهو من مظاهر اسم الله «الرحيم»...[1].

يشهد لهذا المعنى وتقرره الوقائع، «ذلك أنَّ البشر في غاية الفقر والحاجة، مما يدفعهم إلى أداء الصلاة، ويلتجئون بالصلاة إلى باب المعبود الذي لم يزل ومَن هو المحبوب الذي لا يزال، مناجين ذلك الباقي السرمدي في هذه الدنيا الفانية، وفي هذا العالم الفاني، وفي هذه الحياة المظلمة والمستقبل المظلم، لينشروا على أرجاء دنياهم النور من خلال صحبة خاطفةٍ ومناجاة موقتة، ولينّوروا مستقبلهم ويضمدوا جراح الزوال والفراق عما يحبّونه من أشياء وموجودات ومن أشخاص وأصدقاء وأحباب، بمشاهدة توجّه رحمةِ الرحمن الرحيم، وطلب نور هدايته، فينسوا . بدورهم . تلك الدنيا.... التي أنسته، والتي اختفت وراء العشاء، فيسكبوا عبرات قلوبهم، ولوعة صدورهم، على عتبة باب تلك الرحمة، ليقوموا بوظيفة عبوديته النهائية قبل الدخول فيما هو مجهول العاقبة، ولا يعرفون ما يُفعل بهم بعده»[2].

والفقر من حيث الاستمداد لا يختلف عن العجز، فهما معاً نشآ في ظلال القرآن الكريم والسنّة المطهّرة، وما قيل في الأول،ينسحب على الثاني أيضاً.

ثالثاً: الشفقة في الطريق النوري:

تُعتبر «الشفقة» أهم أساس من الأسس الأربعة في مسلكه ومشربه في

(1) أنظر: النّورسي، الملاحق، ص 246.
(2) أنظر: النّورسي، الكلمات، ص 44.

الحياة وترى موازين الشفقة متناثرة بإحكام على عناصر الكون، «فحُسن تربية صغار الحيوانات وضعافها، وإعاشتها بسهولة ولطف ظاهرين تُريانِنا أن مالك هذه الكائنات يسيّرها بربوبية لا حدّ لرحمتها[1].

ونظراً لخضوع الشفقة الفاعلة في أصل وضعها النظري إلى العوامل الإيمانية، فقد مُيّزت عن الشفقة الاعتيادية المتأتية من عاطفة بشرية غير مُحددة المعالم، وعُرّفت في مؤلفات النورسي بالشفقة الإيمانية[2] وهي المقصود هنا.

والشفقة التي ذكرنا يتولّد عنها الشفقة على خلق الله، وكلما تزايدت تنبسط الروح، ويدفع ذلك إلى الاستكثار من الخير، وينعش نموها خدمة البشر وتدفع إلى التعاون والتعارف، وأما الشفقة الناشئة من الغفلة والمبنية على توهّم المالكية بازديادها تنقبض الروح ويتألّم القلب بظلمة الغيوم[3].

أُسس الشفقة في الطريق النوري:

أ ـ المصادر النّصية:

بات معلوماً أنّ النورسي أسس طريقه حسب ما فهمه من القرآن الكريم، وقد أشرنا إلى ذلك عند الحديث عن أصول الطريق النوري (المكوّنات)، وفي هذا المقام، ذكر أن القرآن يخاطب البشر قائلاً: «إنَّ

(1) النّورسي: **الكلمات**، ص 73.
(2) النّورسي، **صيقل الإسلام**، ص 514.
(3) النّورسي، **المثنوي العربي**، ص132؛ و**صيقل الإسلام**، ص335.

الرسول (ص) ينظر إليكم نظر الرحمة والشفقة من زاوية الرحمة الإلهية، ويعاملكم معاملة الأب الحنون من حيث النبوة[1]. ويُشير في سياق آخر وفق المسلك السابق إلى أنّ الشريعة تربي في روح المسلم الشفقة وعزة الإيمان[2]، وهو ما يخوّلها تبوّء مكانة سامقة في الحاضر والمستقبل.

ب ـ السّنة المطهّرة:

ويُؤكّد أهمية الشفقة بما قصّه من سيرة الرسول صلى الله عليه وآله وسلّم، الدالة بنفسها على كمال شفقته، وفي ذلك يقول النّورسي: «إنَّ حمل الرسول (ص) الحسن (ع) في حضنه وتقبيله رأسَه بكمال الشفقة والرحمة هو لأجل الكثيرين من ورثة النبوة الشبيهين بالمهدي الحاملين للشريعة الغراء المتسلسلين من سلالة الحسن المنحدرين من نسله النوراني المبارك أمثال الشيخ الكيلاني، فلقد شاهد الرسول الكريم (ص) ببصيرة النبوة ما يضطلع به هؤلاء الأكارم في المستقبل من مهام مُقدسة جليلة، فاستحسن خدماتهم وقدّر أعمالهم، فقبّل رأسَ الحسن (ع) علامة على التقدير والحب. ثم إنَّ الاهتمام العظيم الذي أولاه الرسول الكريم (ص) بالحسين (ع) وعطفه الشديد نحوه إنّما هو للذين يتسلْسلون من نسله النوراني من أئمة عظام وارثي النبوة الحقيقيين الشبيهين بالمهدي من أمثال زين العابدين وجعفر الصادق[3].

---

(1) النّورسي، الكلمات، ص 479.

(2) النّورسي، اللمعات، ص 857.

(3) النورسي، اللمعة 30.

ميزات الشفقة في الطريق النوري:

1 ـ أساس الشفقة بين البشر:

إنَّ استحضارالشفقة الربانية يستدعي الشفقة والرأفة بالخلق، وإدراك الرأفة الربانية عقلا وقلباً، شرط رئيس في وجود الرأفة والشفقة بين البشر دون زهو بما قدّم من عمل، إنّ الربوبية المتّصفة بكمال الشفقة تطمع البشرفي رحمة الله التي وسعت كل شيء، لهذا يلجأ المؤمن إلى الله لعلمه بشفقته، فيدعوه بأجمل الدعاء[1].

2 ـ ثوابها عظيم وهي طريق سليم وقصير:

أداء الفرائض مثل الصلوات تجعل تلك الشفقة تُسهم في إبقائها خدمة في سبيل الله تعالى، لهذا كانت الشفقة الإيمانية مقرونة بالرحمة والمحبة والبُعد عن المنّة[2]، ومُوصلة إلى الله بطرق أنفذ من العشق في السير، وهي أوسع منه مدى، إذ هو مُوصل إلى إسم الله «الرحيم»[3].

3 ـ ضبط التعامل مع الخلق:

فرط الشفقة أليم وفرط الغضب ذميم، ولتحرير المؤمن من الوقوع تحت طائلة فرط الشفقة أو الغضب، يجب أن ندع الأمور للعادل الرحيم[4]، فليس للخلق من هو أشفق عليهم من الله لأنه الرحيم. كما

---

(1) النّورسي، **الكلمات**، ص 73.

(2) المصدر نفسه، ص 159.

(3) المصدر نفسه، ص 558.

(4) النّورسي، **اللمعات**، ص 866.

أنّه من شأنها عدم التذليل والتحقير[1] وفي ذلك ترسيخ لأبعادها الحضارية والاجتماعية بل وحتى المعرفية.

4 ـ النفاذ وقوّة التأثير:

«الشفقة ذات تأثير عظيم في المدرك لمعانيها عقلا وقلباً حين ممارسة التحصيل أو التمحيص أو التبليغ، لأنها تمثّل ألطف تجليات الرحمة الإلهية وأجملها وأطيبها وأحلاها.. فهي إكسير نوراني، وهي أنفذ من العشق بكثير، وهي أسرع وسيلة للوصول إلى الحق تبارك وتعالى»[2].

5 ـ السّهولة واليسر:

تربط الشفقة القلب بالله سبحانه ليوصل صاحبَه إلى الله جل وعلا بأقصر طريق وأصفى شكل، وبلا مشكلات[3]، قد تتصوّر في العشق

رابعاً: التفكر في الطريق النّوري:

ـ قيمة التفكّر:

تكتمل إنسانية الإنسان بالتفكر، فالإنسان المتفكّر المتعبّد يصبح إنساناً حقاً ويُظهر نفسه أنه في ﴿أحسن تقويم﴾ فيصير بيُمن الإيمان وبركته لائقاً للأمانة الكبرى وخليفة أميناً على الأرض.

---

(1) النّورسي، إشارات الاعجاز، ص 106.
(2) النّورسي، المكتوبات، ص 99.
(3) المصدر نفسه، ص 99.

ـ ماهية التفكر:

التفكر، بحث عن سرّ[1] وقد سمّاه النّورسي التفكّر الإيماني، ذلك التفكّر الذي امتزج فيه قلبه بعقله منذ ثلاثة عشر عاماً ضمن انتهاج مسلك التفكر الذي يأمر به القرآن المعجز البيان كقوله تعالى: ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾ ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِمْ مَّا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ..﴾ ﴿لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ وأمثالها من الآيات التي تحث على التفكر مثلما يحث عليه حثاً عظيماً الحديث الشريف مثل قوله (ص) «تفكر ساعة خير من عبادة سنة»[2].

ـ مُميزات التفكّر:

نشأ النّورسي في أحضان الثقافة القرآنية ما جعله معروفاً بالتفكير الإيماني، وهو بهذه الميزة خرج من طور العبثية إلى طور المقصدية والغائية الجلية، وهذا التفكير هو وسيلة لمعرفة الله وعبادته، ومعراج ترقي في سلّم المعارف والرّتب الأخروية، وهو المُشار إليه كما قال النّورسي في الحديث النبوي «تفكّر ساعة خير من عبادة سنة»! وذلك هو التفكير الإيماني[3].

---

(1) النّورسي، الملاحق، ص 209.

(2) قال الحافظ العراقي في تخريج الإحياء ج1 ـ 58: وحديث «تفكر ساعة خير من عبادة سنة» أخرجه ابن حبان في كتاب العظمة من حديث أبي هريرة بلفظ ستين سنة بإسناد ضعيف ومن طريقه أخرجه ابن الجوزي في الموضوعات، ورواه أبو المنصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث أنس بلفظ ثمانين سنة وإسناده ضعيف جداً، ورواه أبو الشيخ من قول ابن عباس بلفظ خير من قيام ليلة. وانظر كشف الخفاء ج1 ص 310.

(3) النّورسي، الشعاعات، ص 212.

- الجمع بين العقل والقلب:

مسلك التفكيرالإيماني تمتزج فيه مخاطبة القلب إلى مخاطبة العقل، وهذا ما أشارت إليه الآيات والأحاديث النبوية[1].

إضافة إلى: اليُسر والسهولة(*) وعدم الملل من تكراره(**)

أثار التفكر:

- التّفكر يُذيب الغفلة:

يرى النورسي أنّ التفكّر الإيماني نُور يُذيبُ الغفلة الباردة الجامدة، والدقةُ نارٌ تحرق الأوهام المظلمةَ اليابسة، لكن. إذا تفكرتَ في نفسِك فدقّق وتمهّل وتغلغل وفصّله تفصيلا[2].

- التفكّر دواء:

ملازمة التفكير في آيات الله المسطورة أو آياته المنظورة، دواء نافع في اجتثاث الضلالة، ومسلك أساسه المناجاة[3]

- التفكّر مفتاح الكون:

---

(1) النّورسي، اللمعات، ص 456.

(*) التفكّر طريق ساطع جلي بيّن، وهو أغنى من العشق وأرحب سبيلا، إذ يُوصل السالك إلى اسم الله الحكيم. أنظر: الكلمات؛ ص 73، بشرط أن يكون تفكّراً إيمانياً، إذ به يتحرر من العبثية ويعمل على تحقيق مقاصد جلية حدّدتها الشريعة الربانية.

(**) يورّث طريق التفكّر الاندفاع في طريق التحصيل، إذ بلوغ المنتهى غير مُتاح على الإطلاق، لهذا كان النورسيّ يردّد بينه وبين نفسه تلك العمليات دون أن يطرأ عليه ملل أو سأم، مما يدل على أن صاحبه لا يملّ ولا يكلّ.

(2) النّورسي، المثنوي العربي، ص 256.

(3) المصدر نفسه، ص 257.

السالك المُنشغل بمراقبة قلبه يفتح بهذا التفكرآفاقاً واسعة أمام نظره وقلبه، فيشاهد ويراقب بفؤاده ولطائفه كافة الكائنات بكل عظمتها، ابتداء من الذرات إلى السيارات، ويرى بكل وِجد في تلك العوالم تجليات أسماء الله تعالى وصفاته الجليلة بألف تجلٍ وتجلٍ، وبهذا يرى ويُحس بعلم اليقين وعين اليقين بل بحق اليقين أنه في مسجد لا منتهى له، يدخله ما لا تستوعبه الأرقام من الجماعات[1].

حقيقة الطريق النوري:

ـ يتجلّى الطريق النوري حقيقة مُستفادة من فيض القرآن الكريم، وهو طريق قصير وسبيل سوي وهو ذلك المركّب من: العجز والفقر والشفقة والتفكّر.

1 ـ العجز يُوصل إلى المحبوبية بطريق العبودية.

2 ـ الفقر مثله، يُوصل إلى إسم الله «الرحمن».

3 ـ الشفقة مُوصلة إلى إسم الله «الرحيم».

4 ـ والتفكر يُوصل السالك إلى إسم الله «الحكيم».

ويتميّز هذا الطريق عما سواه من الطرق بما يأتي:

1 ـ إستمد أصله من الكتاب الكريم والسنّة المطهّرة.

2 ـ يُعبّر عن حقيقة شرعية أكثر مما يُعبّر عن طريقة صوفية.

3 ـ الطريق النوري بمجموعه تعبير عن صلة العبد بربّه.

---

(1) النورسي، سيرة ذاتية، ص 31.

4 ـ يُثمر الطريق النوري صلات ظاهرة، تتجلّى في الوظيفة الاجتماعية للتربية الإيمانية.

5 ـ تنحصر أوراد هذا الطريق القصير وأذكاره في اتّباع السّنة النبوية.. والعمل بالفرائض، ولا سيما إقامة الصلاة باعتدال الأركان والعمل بالأذكار عقبها، وترك الكبائر.

ـ منابع هذه الخطوات من القرآن الكريم:

الخطوة الأولى: تُشير إليها الآية الكريمة ﴿فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمۡۖ﴾ [النجم: 32].

الخطوة الثانية: تُشير إليها الآية: ﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ نَسُواْ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمۡ أَنفُسَهُمۡۚ﴾ [الحشر: 19].

الخطوة الثالثة: تُشير إليها الآية: ﴿مَّآ أَصَابَكَ مِنۡ حَسَنَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٖ فَمِن نَّفۡسِكَۚ﴾ [النساء: 79].

الخطوة الرابعة: تُشير إليها الآية: ﴿كُلُّ شَيۡءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجۡهَهُۥۚ﴾ [القصص: 88].

المبحث الثاني

الأساليب التربوية عند النّورسي

اختار النّورسي طريق التربية كمنهج متكامل واضح المعالم والأهداف لإعداد لإنسان وتهذيب سلوكه معتمدا أساليب تربوية منها:

أسلوب الإرشاد والتوجيه:

وهو أسلوب بليغ اعتمده القرآن الكريم في مخاطبة المؤمنين والكافرين على السواء، وانتهجه الرسول (ص) في دعوته فأنشأ جيلا قرآنيا فريداً، فالإرشاد سبيل هادىء رفيق في تذكير الناس، وتليين القلوب القاسية وترقيق النفوس التي غلبت عليها الأهواء يقول عز وجل: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَۖ﴾ [آل عمران، آية 159].

لقد أدرك النّورسي ما للإرشاد من أثر فعال في التربية، وما يُمكن أن يحدثه من تغيير عميق في سلوك الإنسان إذا ما وُجّه إليه برفق وأناة، وتناوله بالترغيب والترهيب، الأمر الذي يُمهد لاقتلاع آثار المعاصي والمنكرات وزرع الفضائل والصالحات بدلها. لذلك اعتمده في منهجه

التربوي مقتدياً في ذلك بالرسول (ص) والأنبياء من قبله، الذين أرسلهم الله رحمة لأقوامهم يعظونهم برفق ويهدونهم إلى طريق الخلاص بصدق وسكينة.

لذلك أعطى **النورسي** للإرشاد اهتماماً خاصاً، وأفرد له توجيهات عديدة، وأوضح كثيراً من مظاهره وشروطه وطرقه وآثاره في رسائل النور، نظراً لما يترتب على القيام بهذا التكليف الإلهي من نتائج طيبة، وما يُنتج عن إهماله من عواقب قاسية. واجتهد ليصنع من تلاميذه نماذج راقية ليحملوا بعده أمانة التبليغ ويُؤدوا واجب الإرشاد، موجهاً إياهم إلى نبع القرآن الذي كان ولا يزال المنهل الذي يجد الجميع فيه ضالتهم لأنه المصدر المعصوم الذي أنزله المولى عز وجل، يقول **النورسي**: «إنَّ تلامذة القرآن والمستمعين لإرشاده من المجتهدين والصديقين وحُكماء الإسلام والعلماء والمحققين وعلماء أصول الفقه والمتكلمين والأولياء والعارفين والأقطاب العاشقين والعلماء المدققين وعامة المسلمين كلهم يقولون بالاتفاق: نحن نتلقى الإرشاد على أفضل وجه من القرآن»[1].

أهداف الإرشاد كأسلوب تربوي قرآني:

- إصلاح الفرد والمجتمع الذي هو من أعظم المسؤوليات وأهم الواجبات المناطة بالإنسان المسلم.
- نيلُ رضى الله عز وجل، وهو أسمى ما يتمناه المؤمن، لأنَّ الرأفة بعباد الله الذين ضلوا الطريق والرفق بهم بتخليصهم من شرور أنفسهم وإرشادهم إلى سبيل الحق من أكثر القربات التي تُوجب رضى الله.

---

(1) النورسيّ، **الكلمات**، ص 451. .

لذلك وجه النورسي طلابه بذل جهدهم في وعظ الناس وإرشادهم بإخلاص وتجرد وفي ذلك يقول: «ينبغي أن يكون رضا الله في عملكم، فإذا حصل رضاؤه فلا بأس في سخط الدنيا كلها، وإذا قبل هو فلا ضير أن يرد الناس كلهم. فإذا حصل رضاؤه وقبوله فسيجعل الخلق يقبلون ويرضون إن شاء واقتضت حكمته، وإن لم تطلبوا ذلك. ومن أجل ذلك ينبغي أن يكون المقصود الأساس المباشر والوحيد من هذه الخدمة هو رضا، الحق تعالى»[1].

شُروط المرشد:

ـ أن يكون إيمانه راسخاً، عميقاً، صافياً، بحيث يظهر بشكل واضح في سلوكه الذي يجب أن يتطابق مع تعاليم الإسلام كدليل على اقتران القول بالفعل.

ـ أن يتحلّى ويجمع المُرشد في نفسه العلم والعفة والوقار والصبر والتضحية والشفقة والرحمة والاهتمام بأحوال البشر.

ـ يتعيّن على المرشد أن يحتسب إرشاده عند الله، وأن لا يقصد به جلب منفعة أو شهرة أو مال، «لا تتّخذ الحقائق الإيمانية والأساسيات القرآنية مُعاملات دنيوية بصورة رسمية ومقابل أجرة، بل قد تنال هذه الفيوض والأسرار التي هي هبة إلهية بنية خالصة وبالتجرد من الدنيا والحظوظ النفسانية»[2] و«إذا كان درس الحقيقة في قيمة الألماس من أستاذ لا يتدنّى للدنيا ولا يقع في الطمع والذلة، ولا يأخذ أموال الدنيا

(1) النورسيّ، **اللمعات**، ص 242.

(2) النورسيّ، **المكتوبات**، ص 88.

بالحقيقة، ولا يضطر إلى التصنع، فإنّ درس الحقيقة نفسه يهبط من درجة الألماس إلى درجة الزجاج من أستاذ اضطر إلى أخذ الصدقة، أو قُهر على التّصنع لأهل الثروة، أو افتدى عزة علمه بذلّ الطمع، أو مال إلى الرياء ليتلطف إلى مُخرجي الصدقة، أو جوّز أكل ثمار الآخرة في الدنيا»[1].

الأشخاص الذين يستهدفهم الإرشاد:

ـ عالج النّورسي حال المخاطبين بالإرشاد، وشدّد على ضرورة مراعاتها والأخذ بعين الاعتبار مستوى عقولهم، ومقدار اقترابهم أو ابتعادهم عن الدين، ودرجة ورعهم وتقواهم. كما وجّه تلاميذه إلى مراعاة هذه الأمور والتفطن لها ووضعها في اعتبارهم عندما يهمُّون بإرشاد الناس. فمن واجب المرشد أن يراعي ذلك حتى لا يعطي لأحد دواء يضره ولا يشفيه.

«ثم إنَّ القرآن ما دام مرشداً فمن شأن بلاغة الإرشاد مماشاة نظر العوام ومراعاة حس العامة، ومؤانسة فكر الجمهور لئلا يتوحش نظرهم بلا طائل، ولا يتشوش فكرهم بلا فائدة، فأبلغ الخطاب معهم والإرشاد أن يكون ظاهراً بسيطاً سهلا لا يعجزهم، وجيزا لا يُملهم، مجملا فيما لا يلزم تفصيله لهم، ويضرب الأمثال لتقريب ما دقّ من الأمور إلى فهمهم»[2].

ـ الالتفات إلى العمل البنّاء، والإخلاص في أداء الواجبات على

---

(1) النورسيّ، الملاحق، ملحق بارلا، ص 58.

(2) النورسيّ، المكتوبات، ص 269.

أحسن وجه وأكمل صورة وعدم الالتفات إلى المعارضين، وعدم الانشغال بهم، والابتعاد ابتعاداً كلياً عن معاداتهم. فالممارسات النابعة من الغرور يراها أمراضاً خطيرة تضر بالتربية وتُفوت على المرشدين تحقيق الأهداف التي يعملون لها.

أسلوب القدوة الصالحة:

من أهم الأساليب المؤثرة في تربية الإنسان وتهذيب سلوكه، وجود القدوة، لأنَّ المبادئ وحدها لا تكفي مهما سمت حتى تصبح سلوكاً في واقع الحياة، وقد أدرك النّورسي أن تربية الناس بالسيرة الحسنة أبلغ من تربيتهم باللسان، وأن إرشادهم بالأسلوب العملي التطبيقي سيكون له أوقع الأثر في النفس وأدعى إلى ثبات النصح واستقراره في القلب، لأنّ التربية في الإسلام ممارسة فعلية تتجسد فيها كل الأخلاق والحكمة التي تقوم عليها، وتتحقق فيها القدوة الحسنة في المربى، والقرآن يُعلمنا أنَّ العقيدة والعلم وحدهما لا يكفيان إذا جُردا من العمل الصالح، لذلك وجهنا إلى هذه القدوة المحققة فقال عز وجل:

﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب، آية 21].

إنَّ القرآن الكريم هو الكتاب الصامت، والنبي (ص) هو القرآن الناطق العملي الذي جسد تعاليم السماء حركة في الحياة ليسهل نقل مضمونها وآثارها إلى الآخرين، ثم اقتفاء سيرتها والسير على هديها. وقد أدرك النّورسي هذه الحقائق بعمق، وجاهد نفسه كي لا يكون ممّن قال فيهم الله عزّ وجل: ﴿أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ﴾ [البقرة، آية

44]، أو ممّن حذرهم بقوله سبحانه: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ [الصف، آية 2 ـ 3].

لذلك وطّن نفسه على أن يعيش الحقائق الإيمانية بنفسه بشكل كامل قبل أن يعرضها على الناس، «أنا خاطبت نفسي مُباشرة بالحقائق الإيمانية التي كتبتها. أنا لا أخاطب الناس جميعاً، لكن الذين أرواحهم ظامئة وقلوبهم جريحة يبحثون عن تلك الأدوية القرآنية فيجدونها»[1].

لذلك فالنورسي يعتقد أنّ البصر من أقوى عوامل التأثير في التربية، وأنّ الفعل أبلغ في التعبير من القول، وأنّ من وعظ أخاه بفعله كان هادياً. وهو يشير إلى مبلغ التأثير الذي تحدثه القدوة الحسنة بقوله: «لو أننا أظهرنا بأفعالنا وسلوكنا مكارم أخلاق الإسلام وكمال حقائق الإيمان لدخل أتباع الأديان الأخرى في الإسلام جماعات وأفواجاً بل لربما رضخت دول العالم وقاراته للإسلام»[2]. وفي هذا تنبيه إلى أنَّ ما يترتب عن غياب القدوة الحسنة سيكون سلبياً ونتائجه عكسية، لأنّ عدم تمثل المرشد للأخلاق الإسلامية تمثلا واقعياً، فعالا، مؤثراً ونافعاً ينعكس سلباً على موقف الناس من الإسلام ككل ويشل قدرته على الفعل والعطاء.

كما يُؤكد أنَّ اتجاه الإنسان بكليته ونيته الخالصة للإقتداء بالنبي (ص) ومراعاة أبسط آدابه يُورث في القلب تقوى عظيمة وإيماناً قوياً راسخاً لما لهذا الإقتداء من تذكير بشخص الرسول (ص) الذي

---

(1) النورسيّ، المكتوبات، ص 86.
(2) النورسيّ، صيقل الإسلام، ص494.

يستتبع استحضار الرقابة الإلهية. فكل من يجعل اتباع السُّنة عادته يحول عاداته إلى عبادات، ويمكنه أن يجعل عمره كله مثمراً[1].

أسلوب القصص:

القصة كأسلوب تربوي احتلت مساحة واسعة من رسائل النور تأسياً بمنهج القرآن الكريم الذي وظّف القصة في إقرار الإيمان في النفوس والتدليل عليه، وفي تربية المُؤمنين وإرشادهم وتثبيت أركان العقيدة الصحيحة في قلوبهم، وفي وعظهم وتنبيههم وإيقاظهم من الغفلة، وحثّ العقول الراجحة على التفكر في مقاصد هذه القصص لاستخلاص العبرة وفقه سُنن الله في الأنفس والآفاق: ﴿فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الأعراف، آية 176].

والنّورسي تأثر إلى حدٍّ كبير بهذا الأسلوب القرآني في التربية والتوجيه، بدليل ما ورد في رسائل النور من قصص كثيرة لافتة للنظر يتّخذ منها صاحبها وسيلة هادفة لشد الأسماع وجذب الاهتمام ويُضمنها محتوى الرسالة التربوية التي يريد أن يبثها للمخاطبين، حيث تعلّم من القرآن كيف يأخذ العبرة من القصص وكيف يُحسن استعمالها في موضعها لتؤدي الغرض منها وتقع في قلب الهدف: «إنَّ من يأخذ أساسات علم وفن القصص ويعرف روحه والعقد الحياتية فيه ويُحسن استعمالها في مواضعها ثم يبني مدعاه عليها، فإنّ ذلك يدل على مهارته وحذاقته في ذلك العلم»[2].

---

(1) راجع: برغوث الطيب، **التغيير الإسلامي، خصائصه وضوابطه**، مكتبة رحاب، الجزائر، ص 138 ـ 139.

(2) عبد السلام الحقندي، **«من أساليب التربية الإسلامية للأطفال»**، مجلة كلية الدعوة الإسلامية، العدد 11، 1994م. طرابلس، ليبيا، ص 584.

أسلوب ضرب الأمثال:

يُعرّف النّورسي المثل بأنه قول محكي سائر يُقصد به تشبيه حال الذي حُكي فيه بحال الذي قيل لأجله، أي يشبه مضربه بمورده[1].

لذلك أكثر الله سبحانه وتعالى من الأمثال في القرآن للتذكرة والعبرة: ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [سورة الزمر: 27].

وقال عزّ وجل: ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾ [سورة العنكبوت: 43].

النّورسي الذي استوعب القرآن كله شريعة ومنهجاً وطريقة، لم يفته الاستفادة من هذا الأسلوب القرآني التربوي، بل اتّخذ منه وسيلة ناجعة في تنبيه النفوس وتقويم اعوجاجها، «أما في الوقت الحاضر فقد مُدّت الضلالة بإسم العلم يدها إلى أُسس الإيمان وأركانه، فوهب لي الحكيم الرحيم الذي يهب لكل صاحب داء دواءه المناسب، وأنعم علي سُبحانه شعلة من ضرب الأمثال التي هي من أسطع معجزات القرآن وأوضحها، رحمة منه جلّ وعلا لعجزي وضعفي وفقري واضطراري، لأنير بها كتاباتي التي تخص خدمة القرآن الكريم»[2].

ويُبين النّورسي الآثار النفسية التي تترتب عن التمثيل، فيقول: «إعلم أنّ مما اتفق العقل عليه أنّ التمثيل إذا جاء في أعقاب المعاني أو برزت

(1) مناع القطان، **مباحث في علوم القرآن**، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ـ 15، 1985م، ص 282.

(2) النورسيّ، **المكتوبات**، ص 487.

هي باختصار في معرضه، ونقلت عن صورها الأصلية إلى صورته، كساها أُبهة، وأكسبها منقبة، ورفع من أقدارها، وشبَّ من نارها، وضاعف قواها في تحريك النفوس لها، ودعا القلوب إليها، واستثار لها أقاصي الأفئدة صبابة وكلفاً، وقسر الطباع على أن تعطيها محبة وشغفاً»[1].

أسلوب الترغيب والترهيب:

استخدم القرآن الكريم أسلوب الترغيب والترهيب كوسيلة تربوية تستند إلى طبيعة تكوين النفس البشرية التي رُكّب في فطرتها الرجاء والخوف، فإذا رغبت في أمر استعدت للإقدام عليه وجدّت في السعي للفوز به، وإذا خافت من أمر تهيأت للإحجام عنه وتحاشت الاقتراب منه.

ومبادئ التربية السليمة تقتضي أن يتمّ الاعتماد على الترغيب والترهيب معا لتُشفى النفس من انحرافها وتستقيم وتقوى على الاستمرار في الوضع الصحيح، وهو المسلك الذي سلكه القرآن الكريم، وقد تنبّه النّورسي لهذا الأسلوب التربوي، واعتبره نوعاً من أنواع الكلام الجامع بدلالاته وإشاراته، وأحد المعارف الحقيقية والحاجات البشرية التي تضمنها القرآن الكريم، وفي ذلك يقول: «إنَّ الآيات القرآنية جامعة بدلالاتها وإشاراتها بأنواع الكلام والمعارف الحقيقية والحاجات البشرية كالأمر والنهي، والوعد والوعيد والترغيب والترهيب، والزجر والإرشاد، والقصص والأمثال والأحكام والمعارف الإلهية والعلوم

---

(1) النورسيّ، إشارات الإعجاز، ص 114.

الكونية وقوانين وشرائط الحياة الشخصية والحياة الاجتماعة والحياة القلبية والحياة المعنوية والحياة الأخروية، حتى يصدق عليه المثل السائر بين أهل الحقيقة «خُذ ما شِئْتَ لما شِئْتَ» بمعنى أنَّ الآيات القرآنية فيها من الجامعية ما يُمكن أن يكون دواء لكل داء وغذاء لكل حاجة»[1].

كما أوضح أنّ هذا الأسلوب هو فرع من فروع تجلّي الجلال والجمال الإلهيين، فالترغيب والترهيب مثله في ذلك مثل الأمر والنهي والثواب والعذاب والتسبيح والتحميد، كلها من آثار القدرة الإلهية التي خلقت الإنسان وتعلم ما توسوس به نفسه: «إنَّ الجلال والجمال أصلان تسلسل منهما ـ بتجلّيهما في كل عالم ـ فروع: كالأمر والنهي، والثواب والعذاب، والترغيب والترهيب، والتسبيح والتحميد، والخوف والرجاءب إلى آخره»[2].

ولكي يُؤتي أسلوب الترغيب والترهيب نتائجه ويترك أثره في النفوس، لا بد من المحافظة على الطريقة التي اتبعها القرآن والتي تتصف بالوسطية والاعتدال، وتأخذ النفس بما تحتاج إليه من الرجاء والخوف بمقدار ما يُؤدي الغرض ويحقق الهدف.

لكن النورسي دعا إلى عدم المبالغة في استخدام هذه الطريقة التربوية استخداماً يخرج بها عن مقصدها ويُؤدي إلى نتائج عكسية. لأنّ الاستزادة من دواء شاف يَقْلبه إلى داء[3].

لقد شكّل العمل لتربية الإنسان على الطريقة القرآنية وإعداد جيل

---

(1) النورسيّ، **الكلمات**، ص 460.

(2) النورسيّ، **اللمعات**، ص 119

(3) النورسيّ، **صيقل الإسلام**، ص 46

مؤمن يتحلّى بأخلاق القرآن، الهدف الأسمى الذي أمضى النّورسي عمره ساعياً لتحقيقه معتمداً على مجموعة من الأساليب التربوية سبق ذكرها، كالإرشاد والقدوة الحسنة والقصة وضرب الأمثال والترغيب والترهيب. . والتي أردنا بيان دورها التربوي وآثارها الإيجابية في صياغة شخصية الإنسان الصالح. كما أوضح النّورسي ذلك في رسائل النور. .

المبحث الثالث

النّورسي والإصلاح

في أواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين الميلادي، اجتمعت القوى الغربية الاستعمارية لمحاربة الإسلام، والتخطيط لإسقاط دولة الخلافة العثمانية وإحداث انقلاب عميق في العالم الإسلامي، يقوده للالتحاق بمركزية الحضارة الغربية وإلغاء الهوية الإسلامية للمجتمعات الإسلامية، وتجزئتها، ومُطاردة قيم الإسلام في حياتها، وغرس الكيان الصهيوني في قلبه، إلى جانب أنظمة التجزئة التى شكلت إلى حدّ بعيد عوناً لهذه الغزوة الغربية المعاصرة، في نشر التغريب وفرض الإلحاق الثقافي والسياسي والاقتصادي. . . .

هذه هي طبيعة المرحلة بل المراحل التي قُدر للنورسيّ أن يعايشها ويُقدم المنهج والنموذج الإسلامي للتعامل مع تحدياتها، وقد تعدّدت وتنوعت التحديات التى تصدى لها النّورسي لذلك هناك صعوبة في حصر جهاده في قالب منهجي واحد، حيث تعددت الميادين خلال مسيرة حياته وكانت مواجهاته تأخذ الطابع الحركي الميداني، فالنّورسي:

1 ـ عاش عمراً مديداً حافلاً بالأحداث الكبرى والتحولات العميقة،

انتقل خلالها من طورلآخر (من سعيد القديم، إلى سعيد الجديد) مع مارافق ذلك من تغيير في طبيعة التحديات ووسائل المواجهة.

2 ـ لم يسلك نمطاً واحداً في كل الفترات، ولم يتعامل بالأسلوب نفسه مع كل الأحداث الجسام التي شهدها، لكنه، واصل تمسكه بنقطة الانطلاق وأساسها (القرآن الكريم) والثبات على الهدف (خدمة الإيمان)، ثابتاً على أهداف الدعوة التي آمن بها وسخّر كل جهوده لها.

ولذلك فالتعرف على منهج النّورسي لايتأتى إلا في دراسة شاملة لحياته، وهي دراسة تُوازي في شموليتها سعة ثقافته، وتعدد مجالات الإصلاح التي ارتادها.

إنَّ الرؤية الشمولية لحياة النّورسي تؤكد حقيقة مُهمة ـ هي أهم ما يُميز منهج كل دعوة إصلاحية ـ جوهر هذه الحقيقة هو أصالة المنطلق الذي انطلق منه النّورسي متجهاً نحو أهداف دعوته الثابتة.

تُؤكد المصادر التاريخية المُتعددة أنَّ الشرارة الأولى التي استنفرت حمية النّورسي الإسلامية، هو ما صرّح به وزير المستعمرات البريطانية (غلادستون) في خطابه لمجلس العموم البريطاني، حيث قال: «ما دام هذا القرآن بيد المسلمين، فلن نستطيع أن نحكمهم، لذلك فلا مناص لنا من أن نزيله من الوجود، أو نقطع صلة المسلمين به». بعد اطلاع النّورسي على هذا التصريح عقد العزم أن يُسخر حياته كلها من أجل خدمة القرآن الكريم، وبيان إعجازه، وربط المسلمين به، ومن أجل ذلك يقول: «لأبرهنَّن للعالم أنَّ القرآن شمس معنوية لا يخبو سناها، ولا يُمكن إطفاء نورها»[1].

---

(1) إحسان قاسم، النورسي، ص 25.

فبدأ دعوته انطلاقاً من القرآن الكريم نحو هدف محدد وثابت هو: «إزالة الشبهات التي تُلوث حقائق الإسلام سواء بالإفراط أو التفريط وصقل تلك الحقائق الألماسية، والشاهد على هذا تاريخ حياتي في كثير من حوادثه»[1].

لقد انتقد النورسي أحوال علماء عصره، فعاب عليهم ضعفهم وعجزهم عن التأثير في المجتمع، ورأى أنّ أسباب ذلك تكمن فيما يلي:

1 ـ يتناسى عُلماء عصره الفرق بين الحاضر والماضي، فيبالغون في الدعوة لآرائهم والتعصب لها من دون إيراد الأدلة الكافية المقنعة.

2 ـ لا يحافظون على توازن أحكام الشريعة في دعوتهم، ولا يُميزون بين الأهم والمُهم.

3 ـ لا يشخصون علل هذا العصر بما يناسبه، وكأنّهم يسحبون الناس إلى الزمان الغابر فيحدثونهم بلسان ذلك الزمان[2].

في أواخر العهد العثماني ونظراً لأنَّ الدولة العثمانيّة والعالم الإسلامي كانا يُواجهان تهديداً استعمارياً غربياً، سعى لإصلاح الأوضاع الداخلية لمواجهة الأخطار الخارجية. لذلك دعا لإنشاء جامعة إسلامية عالمية تحت اسم «جامعة الزهراء».

وقد بيّن أهداف هذا المشروع كما يلي:

---

(1) النورسي، صيقل الإسلام، ص 64.

(2) المصدر نفسه، ص 473.

1 ـ توحيد المدارس الدينية وإصلاحها.

2 ـ إنقاذ الإسلام من الأساطير والإسرائيليات والتعصّب الممقوت الناشئ عن الجهل، والمتمثل في قسم من مُقلدي أوروبا ومُلحديها.

3 ـ فتح باب لنشر محاسن المشروطية (الحكم المشروط).

4 ـ إدراج العلوم الكونية الحديثة في منهاج المدارس الدينية.

5 ـ تقليص الهوة بين المدارس الدينية والمدارس الحديثة وأهل الزوايا «التكايا»! سعياً إلى توحيد المقصد وتوحيد الصف في المجتمع[1].

وأثناء التهديد الخارجي من قبل روسيا وغيرها من الدول المعادية للدولة العثمانيّة، قاد النّورسي الفرق المتطوعة للدفاع عن الحدود أمام الزحف الروسي، إلى أن وقع في الأسر، وبعد خلاصه من الأسر بفترة وجيزة سقطت البلاد تحت الاحتلال، وسيطر المحتل الإنجليزي على استانبول عاصمة الخلافة، فقام النّورسي داعياً إلى مقاومة المُحتل، ونشر رسالته «الخطوات الست»[2] كاشفاً دسائس الاستعمار ومحرّضا على مقاومته، وفي ذلك يقول: «إنَّ محبة الإسلام توجب عداءكم وخصومتكم.. إنّ أشد العقول بلاهة عقل يرى إمكان التوفيق والتلاؤم بين أطماع (الإنجليز) ومنافعهم وبين عزة الإسلام ومصلحته.. وإنّ أكثر

(1) النّورسي، صيقل الإسلام، ص 430.
(2) المصدر نفسه، ص 545.

القلوب حماقة قلب يظن إمكان الحياة تحت حمايتهم، إذ يعلقون حياتنا بشرط محال في محال..»[1].

بعد جلاء الاستعمار الغربي واندحاره، أصيب **النّورسي** بإحباط شديد بسبب التوجه المعادي للإسلام الذي سار فيه الحكم الجديد، حيث أنكروا أصل الإيمان بوجود الله تعالى وجحدوا عالم الغيب، واستبدلوا الشريعة الإسلامية بقوانين الغرب البشرية.

وأمام ضخامة موجة العداء للإسلام وسقوط كثير من الأقطار الإسلامية تحت السيطرة الأجنبية، رأى **النّورسي** عدم جدوى العمل السياسي في وسط يحكمه الاستبداد بكل أشكاله، ورغم ذلك، لاحقته السلطة وفرضت عليه قيوداً محكمة كادت تشل حركته تماماً، فتوزعت حياته بعد ذلك وعلى مدى أكثر من ثلاثين سنة بين سجن ونفي وإقامة جبرية.

استمر **النّورسي** ثابتاً على الأهداف التي حدّدها لدعوته في كل الأطوار السياسية التي عايشها، وتتلخص في هدفين رئيسيتين:

الأول: الدفاع عن القرآن وتعاليمه، ودفع الشبهات عن العقيدة والدعوة إلى تبنّي الإسلام شريعة شاملة كاملة.

الثاني: توحيد الشعوب الإسلامية في إطار سياسي يضمن لها تحقيق مكانتها بين شعوب العالم.

وهذان الهدفان اللذان شكلا حجر الأساس في بنائه الفكري، ظل **النّورسي** ثابتاً عليهما رُغم العقبات التي واجهته، وبرغم التغييرات العميقة التي شهدها العالم الإسلامي.

---

(1) المصدر نفسه، ص555.

وبعد تشخيصه لأمراض العالم الإسلامي، حدّد الأمراض التي تسبّبت في تأخره وهي[1]:

1 ـ اليأس الذي تسرّب إلى النفوس.

2 ـ إنعدام الصدق في الحياة الاجتماعية والسياسية.

3 ـ حُب العداوة.

4 ـ الجهل بالروابط السامية التي تربط المؤمنين بعضهم ببعض.

5 ـ سريان الاستبداد، مثل سريان الأمراض المُعدية.

6 ـ حصر الهمة في المنفعة الشخصية.

7 ـ عدم مراعاة أحكام الشريعة الغراء.

8 ـ التّعصب المقيت في غير محله، سواء لدى عالم جاهل أو جاهل يدّعي العلم.

9 ـ تقليد مساوئ المدنية الأوروبية.

وقد اعتبر **النورسي** أنَّ أخطر هذه الأمراض على الإطلاق هو الاستبداد السياسي، ويليه اختلاف الأفكار الذي هزّ أسس الأخلاق وفرّق الأمة، وفي ذلك يقول: «إنَّ من أهم أسباب تأخرنا في مضمار المدنية بعد الاستبداد هو تباين الأفكار واختلاف المشارب لدى مُنتسبي ثلاث شعب كبيرة: المدارس الحديثة، والمدارس الدينية، والتكايا»[2].

لكن النّورسي لم ييأس من محاولة الإصلاح والتغيير، رغم الواقع الإسلامي المُتردِّي، بل قدّم أول وصفة لعلاج أمراض المجتمع

(1) النّورسي، **صيقل الإسلام**، الخطبة الشامية، ص 471 ـ 492.

(2) النّورسي، **صيقل الإسلام**، ص 472.

الإسلامي وهي الأمل، وفي ذلك يقول: «دنا شروق شمس سعادة عالم الإسلام الدنيوية وبخاصة سعادة العثمانيين، لاسيما سعادة العرب الذين يتوقف تقدم العالم الإسلامي ورُقيه على تيقظهم وانتباههم، فإنّي أُعلن بقوة وجزم، بحيث أُسمع الدنيا كلها وأنف اليأس والقنوط راغم: إنَّ المستقبل سيكون للإسلام وللإسلام وحده، وإنَّ الحكم لن يكون إلاّ لحقائق القرآن والإيمان»[1].

ثم واصل تقديم العلاج لإصلاح أحوال العالم الإسلامي، مُؤكداً على:

- أهمية الصدق في الحياة الاجتماعية والسياسية.
- ودور المحبة في تقوية الصلة والترابط بين أفراد المجتمع وضمان السِّلم الاجتماعي.
- الدعوة إلى العمل لتحقيق الاتحاد الإسلامي والوحدة الحقيقية للأمة الإسلامية وتجاوز التقصيرات الشخصية.
- الشورى الإسلامية، ويعتبرها مفتاح السعادة للمسلمين في حياتهم الاجتماعية والسياسية، حيث يقول: «إنَّ فكّ أنواع القيود التي كبّلت ثلاثمائة بل أربعمائة مليون مسلم، ورفع أنواع الاستبداد عنهم، إنّما يكون بالشورى والحرية الشرعية النابعة من الشهامة الإسلامية والشفقة الإيمانية، تلك الحرية الشرعية التي تتزين بالآداب الشرعية وتنبذ سيئات المدنية الغربية»[2].

(1) النورسي، صيقل الإسلام، ص 492.

(2) المصدر نفسه، ص 514.

لقد ركز النّورسي على قضية أساسية وهي إصلاح الحياة السياسية في الدولة، وسبب ذلك يعود إلى فساد نظام الحكم في أواخر الدولة العثمانيّة والذي كان العامل المهم في انهيار الدولة وهزيمتها، وهو ما جعله يُولي قضيتي الحرية والشورى الأولوية، لكنه نبَّه وحذّر من الفهم الخاطئ لمعنى الحرية ولمعنى الشورى، فالحرية كما يراها، وثيقة الصلة بالإيمان والعبودية لله تعالى، فيقول: «المؤمن حُر في ذاته، فالذي هو عبد لله رب العالمين لا ينبغي أن يتذلل للناس، بمعنى: كلما رسخ الإيمان قويت الحرية. . . إنَّ الحرية الخارجة عن دائرة الشرع إنّما هي استبداد أو أسر بيد النفس الأمارة بالسوء أو بهيمية أو وحشية. . .»[1].

وفي سياق هذه الدراسة اتّضح لنا الكثير من القضايا التي تعكس دوره التجديدي والاجتهادي، وأنه كان حاضراً في الميدان رغم الظروف القاسية التي وضعه فيها النظام المُستبد المعادي الإسلام.

إتخاذ العقيدة منهجًا إصلاحيًا:

لقد اعتبر النّورسي العقيدة أساس كل بناء، وصلاحها مُؤشر صلاح الأحوال جميعها، كما أنَّ الخلل فيها يؤدي إلى الضياع والخذلان في شتّي مناحي الحياة. لذلك جعل قضية الإيمان القضية الأساسية التي كرس لها حياته وفكره، وفي ذلك يقول: «إنَّ دعوتنا هي الإيمان. . . وإنّ زماننا هذا هو زمان خدمة الإيمان ووظيفتنا هي الإيمان وخدمتنا تنحصر في الإيمان». وقد اتخذ من رسائل النور «وسيلة لإنقاد أسس الإيمان وأركانه لا بالاستفادة من الإيمان الراسخ الموجود، وإنما بإثبات

(1) المصدر نفسه، ص 535.

الإيمان وتحقيقه وحفظه في القلوب، وإنقاذه من الشبهات والأوهام بدلائل كثيرة وبراهين ساطعة»[1].

وقد اقتنع النّورسي أنّه في مجال العقيدة الإسلامية، لم يعد يكفي في إدارة صراع الزمن الجديد، علم الكلام المصطلحي، الذي كان يتعامل مع مادة معرفية عتيقة وقد انتهى عهده، وولت صراعاته اللاهوتية النظرية.

ولم يعد يكفي منهج المتكلم المعتزلي الذي دخل في جدال تجريدي من أجل إبعاد مفهوم الصفات الإلهية عن الأقانيم النصرانية، في محاولة لمنع المسلمين من الوقوع في شرك موهوم وتجسيد رواقي مستورد.

كما لم يعد يُفيد الأمة منهج حفظة النصوص في مواجهة المعتزلة.

وكذلك لا يفيد في المعركة الجديدة، منهج الأشاعرة في نفي التطرف من التجسيم الحشوي والعقلاني المعتزلي، ومحاولة التقريب بينهما ليقدم حلا وسطاً في المسائل المتعلقة بالتوفيق بين النقل والعقل في علم الكلام القديم الذي كان يُشكل فكراً مرحلياً مقبولا في حينه[2].

وأخيراً هل يُنهي مواجهتنا مع أخلاقيات الحضارة المادية وهذه الجاهلية الشاملة، منهج الزهاد الذين يظلون يسيرون في مدارج السالكين دون التفكير بالعودة إلى الأرض ليقودوا حركة مواجهة طغيان هذه الجاهلية العالمية، وأدواتها السلوكية المدمرة.

---

(1) النورسي، ملحق قسطموني، ص 150.

(2) النورسي متكلم العصر، المؤتمرالثالث 1999م، «تجديد الفكر الديني في القرن العشرين» ص23.

إنَّ الطريق القويم هو «طريق المعراج القرآني الذي لا يُوازيه طريق في الاستقامة والشمول، فهو أقصر طريق وأوضحه وأقربه إلى الله وأشمله لبني الانسان ونحن اخترنا هذا الطريق»[1].

وفي ميدان السياسة الإسلامية اعتمد النّورسي المواجهة الذكية والتخطيط الهادئ ومراعاة ظروف الأمة، ومعالجة أدوائها في جذورها البعيدة، ومظاهر الحياة الاجتماعية في قواعدها التحتية، وتحويل المعركة من أسلوب إعلامي فاضح إلى مخطط فكري عميق، يُنظف الأذهان ويُعالج الأدران، ويُشخص الأعداء، ويُهيئ لصياغة الأمة المنكوبة من جديد.

كما رفض الصراع العنيف داخل المجتمع المسلم، لأنه لم يعتبر هذا الأسلوب يخدم مصلحة الأمة. وكان يُدرك تماما أنَّ الأمة في صراعها الداخلي يومئذ لم تكن بحاجة إلى الشهداء، وإنّما كانت بحاجة إلى العلماء الصادقين، والدعاة العاملين والحكماء المفكرين، من أجل إنقاذ الإيمان، والوقوف أمام الرِّدة الحضارية والزحف الجاهلي، متمثلا بالحقد الصليبي والتآمر اليهودي، وخيانة المنافقين. «الجهاد في الشريعة لايوجّه إلى المسلمين داخل العالم الإسلامي، وإنّما يوجّه الى العالم الخارجي، أما داخل العالم الإسلامي فإنّ الجهاد يكون جهاد دعوة وعلم وبذل ونصيحة لإعادة المسلمين إلى حضيرة الإسلام حسب قانون التدرج الكوني»[2].

وفي إطار الصراع يُلاحظ ما يلي:

---

(1) النّورسي، **المحاكمات**، ص 123.

(2) النّورسي، **اللمعات**، اللمعة الثلاثون، النكتة الخاصة باسم الحكيم.

ـ حاول النّورسي إيجاد علم كلام قرآني يعتمد على الأدلة المتدرجة من المحسوس إلى المجرد، مُحققاً بتجربة واعية المطابقة الكاملة بين القرآن المقروء والقرآن المنظور والقرآن الناطق الذي هو رسول الله (ص)، الذي يَعدُّه ثمرة الكائنات التي لم تكن لتكمل إلا بمجيئه المبارك.

ولم يقتصر على موضوعات علم الكلام وإنّما تجاوز ذلك إلى الرؤية الشاملة في الوجود، بما فيها الإنسان والطبيعة، فغدا مُخططه الكلامي الحديث يواجه المخطط الغربي الأيديولوجي في اقتحام الموضوعات المذكورة من وجهة نظر الفلسفات المادية[1].

ـ قرّر المواجهة بمنهج أصولي شامل جامع، يُوقف المسلمين أمام تلك الكوارث الكبرى في خندق واحد، لأنه لم يكن يؤمن في هذا الكون إلا بخندقين متقابلين، خندق الإيمان والرحمن، وخندق الكفر والشيطان، لذلك كان النّورسي يُؤكد على أهمية الوحدة والعمل الايجابي.

ـ النّورسي يفصل بحسم بين الوحي الإلهي وحركة التاريخ الإسلامي، ومن هذا المنطلق كان مجدداً حقاً، يُحاول أن يجدد حياة أمته في الزمن الحاضر والمكان الحاضر والصراع الحضاري الحاضر، ولكن بقيادة القرآن الكريم وأستاذيته الربانية، وريادة الرسول (ص) والقيم الرفيعة النبيلة التي صاغت كتائب المجاهدين.

والنّورسي لا يدعو إلى النكوص إلى الوراء ولا الوقوف عند الزمن

(1) النّورسي، **الكلمات**، ص 520.

الحاضر، وإنّما يؤمن بحركة الأمة الإسلامية، وتجديد الفكر الإسلامي في كل عصر، بما يتوافق مع المستوى الحضاري الذي وصل إليه الإنسان، بعيداً عن المادية الآسنة، المشدودة خيوطها بمراكز القوى اليهودية والنصرانية والزندقة الحديثة.

ـ قيم الرحمة الإنسانية والرفق التي زكاها الإسلام تحمل المسلمين على مد جسور الحواروالتعاون مع عامة البشر خاصة أهل الحكمة والأبرياء.

إنَّ الإيمان بالله تعالى الذي هو أصل الحقائق وأم الحقيقة يحمل المسلمين على التعاون مع من يشارك في هذه الحقيقة أو يقترب منها. ولهذا يدعو النّورسي إلى إقامة العلاقات بين المسلمين وغيرهم على القيم الإنسانية المشتركة، والإيمان بالله على رأس هذه القيم المشتركة[1].

وعلاقة المسلمين بغيرهم، فهي تقوم على تصنيف غير المسلمين على مراتب بحسب القرب، والمعيار هو الإقراربالدين والتدين أو إنكاره أصلا، والقيم المشتركة: مثل حماية المستضعفين ومعاونة المحتاجين وكف الأذى عن المظلومين[2].

ـ النّورسي لا يرفض الفلسفة الحقة أو الفلسفة المؤمنة، وإنّما يرفض العبثية التي تنكر إله الكون ونظام الكون، وترفض مبادئ الدين الحق، ولقد غدت تلك الفلسفة وسيلة للتردي في الضلالة والإلحاد والسقوط

(1) مرشد أهل القرآن، ص61.

(2) النّورسي، المكتوبات0، ص 350.

في هاوية المستنقع العفن للطبيعة الجامدة، والتي ترى القوة نقطة استناد في الحياة الاجتماعية، وتهدف إلى المنفعة في كل شيء، وتتخذ االصراع دستوراً للحياة والعنصرية رابطة للجماعات.

إنَّ شأن القوة ـ كما يرى النورسي ـ هو الاعتداء وشأن المنفعة هو التزاحم وشأن الصراع هو النزال والجدال وشأن العنصرية هو الاعتداء. أما الفلسفة القرآنية ـ إن صحّ التعبير ـ فهي تقبل الحق بدلا من القوة، ورضى الله بدلا من المنفعة، والتعاون أساساً في الحياة بدل الصراع، وتلتزم برابطة الدين والإنسانية بدلا من الرابطة العنصرية.

غير أنَّ النورسي لا يرفض الفلسفة المادية فحسب، وإنّما يرفض أيضاً ما يُسمى بالفلسفة الإلهية القديمة التي تحوّلت إلى أبواب من الشرك، ممثلة بروادها اليونانيين من أمثال أفلاطون وأرسطو وتلامذتهم من المسلمين كالفارابي وابن سينا الذين لتأثرهم بالفلسفة اليونانية، لم ينالوا إلا أدنى درجات الإيمان، لأنهم لم يتّخذوا القرآن الكريم أستاذاً لهم في الحياة.

ـ اهتمامه بالتوجه العلمي والتقني وبالسير في نظام اقتصادي متوازن، فالإسلام بأمسِّ الحاجة إلى إعلاء كلمة الله، ليس بالكلام فحسب وإنما بصياغة حياة إسلامية صياغة ربانية في ظل طاعة الله ورسوله، ولا تستطيع الأمة المحافظة على عزة الإسلام وإعلاء كلمة الله، إلا بأن تُعيد بنائها العلمي والتقني والصناعي، وبتحكيم دستور تقسيم العمل وإبعاد العشوائية والفوضى من حياتها.

ـ في مجال الاقتصاد قدم النورسي مخططاً دقيقاً وعميقاً لإيصال الأمة إلى نظام اقتصادي متوازن (يُمكن تسميتها باقتصاد القناعة)، مع

الحركة الدائبة في الحياة والاشتغال بالحِرف التي توافق قابليات واستعدادات الناس.

ـ تجديد أسلوب الدعوة إلى الله وعدم الدخول في تصادمات وصراعات داخلية، مع التيارات الإسلامية وتوجيه جهود الدعوة كلها إلى الجاهلية المعاصرة[1].

إذن فمنهج النّورسي التجديدي الكلامي التغييري ليس منهجاً مرحلياً مرتبطاً بزمن معين، كما لم يُقدّم علاجاً لمشكلات معينة، وإنّما هو منهج شمولي يُشكل السقف الراسخ فوق حركة الأمة الإسلامية، لكن بلُغة العصر، وحياة العصر، وصراع العصر في مواجهة جاهلية العصر.

إنَّ علم النّورسي وإن كان قد بدأ من الكتب لكنه تجاوزها إلى الكون فالقرآن الكريم، فالرسول (ص)، ثم إلى حركة إيمانية اجتماعية، اجتهدت في إصلاح ما أفسد الناس في عالم الغرباء. وهناك بون شاسع بين علم مُجرد وعلم مُطبق، وبين علم مُقيد وعلم مطلق[2].

ـ الدعوة للعمل الجماعي: لقد ظلت فكرة العمل الجماعي راسخة لدى النّورسي، سواء أثناء دعوته إلى إصلاح النظام السياسي قبل السقوط النهائي لدولة الخلافة أم بعده. وهذا ما يؤكده بقوله: «فلسنا في الزمن الغابر، حيث كان الحاكم شخصاً ومُفتيه ربما شخص واحد أيضاً، يُصحح رأيه ويُصوبه، فالزمان الآن زمان الجماعة، والحاكم شخص معنوي ينبثق من روح الجماعة»[3].

---

(1) النّورسي، **الشعاعات**، ص242.

(2) محسن عبد الحميد، **معالم التجديد**، ورقة مقدمة للمؤتمر الثالث عن النّورسي، سنة 1995م.

(3) النّورسي، **صيقل الإسلام**، السانحات، ص352.

وهو النهج الذي سلكه عند تكوينه لجماعة النور، حيث يرى أن مهمة الإصلاح التي تصدّى لها يعجز عنها الفرد الواحد،وهي بحاجة لجهود منظمة لآلاف الأشخاص وفي ذلك يقول: «إنَّ هذا الزمان ـ لأهل الحقيقة ـ زمان الجماعة، وليس زمان الشخصية الفردية وإظهار الفردية والأنانية، فالشخص المعنوي الناشئ من الجماعة ينفذ حكمه، ويصمد تجاه الأعاصير»[1].

ولعل إيمان النّورسي بالعمل الجماعي هو الذي دفعه إلى محاولة توحيد جميع جهود العلماء والمصلحين وأهل الطرق والمشارب الصوفية، لتتسع بذلك دائرة حركة النور وتقوى على مواجهة مخططات السلطة العلمانية، وهو الذي حمله أيضاً على التحذير المتكرر من التنازع والاختلاف، لذا يؤكد أنَّ «كل من يفتح نهجاً جديداً ويسلك طريقاً آخر يضر هذه الجادة القرآنية المستقيمة القويمة من دون أن يشعر، ويتضرر هو بنفسه أيضاً، بل قد يكون عمله نوعاً من العون للزندقة دون شعور منه»[2].

كما خلص النّورسي ـ بعد الأحداث التي شهدها العالم الإسلامي ـ إلى أنَّ دعوة إصلاح المجتمع لا يمكن أن تتم في مرحلة واحدة أو أن يقوم بها شخص بمفرده، ولكن هناك أولويات لابد من تحقيقها في مسيرة الإصلاح.

أولها: العمل على ترسيخ قاعدة الإيمان التحقيقي، وهي وظيفة لا تحتاج إلى القدرة المادية، ولكنها تحتاج إلى القوة المعنوية المتمثلة في الإخلاص والوفاء وقوة العقيدة.

---

(1) النّورسي، **الملاحق**، ص163.

(2) المصدر نفسه، ص 151 و162.

ثانيهما: تنفيذ الشريعة وتطبيق أحكامها، وهي وظيفة تحتاج إلى قوة مادية عظيمة وسلطة ذات شأن.

ثالثها: خدمة الإسلام بإعلان الخلافة الإسلامية، والاستناد إلى الوحدة الإسلامية، وتحتاج هذه الوظيفة إلى سلطة عظيمة وقوة هائلة وملايين الفدائيين[1].

إنَّ هذه الرؤية التي يقدمها النّورسي، لايمكن أن تنفصل عن رؤيته الشاملة لقضايا عصره وواقعه، ولعل قساوة الأحداث التي شهدها كانت من أسباب اضطراره إلى سلوك هذا النهج، بل يُمكن القول إنّه لم يكن لديه مجال للاختيار حتى يقدم منهجاً غير الذي قدّم.

الوسائل التي استخدمها لنشر أفكاره:

لم تُثن الظروف الصعبة النّورسي عن نشر رسائله وإيصالها إلى طلابه لتنتشر إلى أكبر عدد من الناس، وفي هذا الاتجاه، استعان بعدد من بالوسائل:

(1) الوعظ والتوجيه، خصوصاً عندما توفرت له بعض الحرية في بداية دعوته في كردستان.

(2) الحوار والمجادلة مع علماء عصره، يُنقاشهم ويكشف تقصيرهم في أداء الدور المنوط برجال العلم.

(3) الكتابة الصحفية، من خلال كتابة المقالات الصحفية التي ترصد الأحداث وتكشف ما يُهدد كيان الأمة، وتدعو المسلمين إلى اليقظة والعمل على إصلاح الأوضاع.

---

(1) النّورسي، **الملاحق**، ص 195.

(4) التأليف العلمي المُتمثل في رسائل النور، وتعتبرالوسيلة الأهم من بين ما استخدم من وسائل.

(5) المرافعات القضائية أمام القضاة، فقد سيق النّورسي وطلابه إلى عشرات المحاكم، فكان يتولّى بنفسه الدفاع عن قضيته، والمرافعات الكثيرة التي قام بها وجادل فيها القضاة والمسؤولين، بطريقة بارعة تحولت إلى منبر إعلامي لصالح دعوته، بدل أن تكون وسيلة لإدانته وشل حركته.

(6) الصراع السياسي: وقد كان الطابع المُميز لمسيرة النّورسي، لكن اختلفت أشكاله باختلاف السلطة الحاكمة والظروف السياسية العامة، ففي العهد العثماني تمثل صراعه في نقده المباشر لنظام الحكم الفاسد ودعوته الصريحة إلى إصلاح هذا النظام وفق قواعد الشريعة. كما تمثل صراعه السياسي - فيما بعد - في موقفه الرافض لكل الدعوات التتريكية والتغريبية التي قضت على ما تبقى من رسم للشريعة، وهذا ما كلفه كثيراً من الأذى سجناً ونفياً وملاحقة في الحياة وبعد الممات.

الفصل السادس

آثـار النَّورسـي

المبحث الأول

نظرة على رسائل النور

يصف النَّورسي مرحلة تحوّله إلى الثقافة والمعرفة القرآنية والتي أنجز خلالها آثاره العلمية والفكرية (رسائل النور)، بقوله: «إنّه كان في حالة من القلق يبحث عن طريق ينهجه ويخرجه من حالته تلك، طريق قاده لمغادرة سعيد القديم والتحول إلى مرحلة جديدة (سعيد الجديد) الذي أخذ على عاتقه فيها، مهمة إنقاذ الإيمان.

فسعيد القديم الغافل فكّر في قضية أنّ الموت حق. ووجد نفسه غارقاً واستنجد، وبحث عن طريق، ومُنقذ يأخذ بيده. واختلفت السبل أمامه، وحار في أمر نفسه، فأخذ كتاب فتوح الغيب للشيخ عبد القادر الكيلاني(رض) عنه وفتحه متفائلاً، فوجد أمامه العبارة الآتية:

«أنت في دار الحكمة فاطلُب طبيباً يُداوي قلبك»[1]... يا للعجب! . لقد كنت يومئذ عضواً في دار الحكمة الإسلامية وكأنما جئت إليها لأداوي جروح الأمة الإسلامية، والحال أنني كنت أشد مرضاً

(1) أنظر: المجلس الثاني والستين من كتاب الفتح الرباني.

وأحوج إلى العلاج من أي شخص آخر.. فالأولى للمريض أن يُداوي نفسه قبل أن يداوي الآخرين.

نعم، هكذا خاطبني الشيخ: أنت مريض.. إبحث عن طبيب يُداويك!..

قُلت: كُن أنت طبيبي أيها الشيخ!

وبدأت أقرأ ذلك الكتاب كأنه يُخاطبني أنا بالذات.. كان شديد اللهجة يُحطم غروري، فأجرى عمليات جراحية عميقة في نفسي.. فلم أتحمل.. لأنّي كنت اعتبر كلامه موجهاً إليّ..... لم استطع إتمامه.. ثم أحسست بعد ذلك بفترة بأنَّ آلام الجراح قد ولّت وخلفت مكانها لذائذ روحية عجيبة.. عُدت إليه، وأتممت قراءة كتاب أستاذي الأول. واستفدت منه فوائد جليلة، وأمضيت معه ساعات طويلة أُصغي إلى أوراده الطيبة ومناجاته الرقيقة...

ثم وجدت كتاب «مكتوبات» للإمام أحمد الفاروقي السرهندي، مُجدد الألف الثاني.. فتفاءلت بالخير تفاؤلاً خالصاً، وفتحته، فوجدت فيه عجباً.. حيث ورد في رسالتين منه لفظة ميرزا بديع الزمان فأحسست كأنه يُخاطبني باسمي، إذ كان اسم أبي ميرزا وكلتا الرسالتين كانتا موجهتين إلى ميرزا بديع الزمان فقلت: يا سبحان الله. إنَّ هذا ليخاطبني أنا بالذات، لأنّ لقب سعيد القديم كان بديع الزمان، ومع أنني ما كنت أعلم أحداً قد اشتهر بهذا اللقب غير الهمداني الذي عاش في القرن الرابع الهجري. فلا بد أن يكون هناك أحد غيره قد عاصر الإمام الرباني السّرهندي وخُوطب بهذا اللقب، ولا بد أنّ حالته شبيهة بحالتي حتى وجدت دوائي بتلك الرسالتين.. والإمام الرباني يُوصي مؤكداً في هاتين

الرسالتين وفي رسائل أخرى أن: وحّد القِبلة[1] أي: اتّبع إماماً ومرشداً واحداً ولا تنشغل بغيره!

لم تُوافق هذه الوصية ـ آنذاك ـ استعدادي وأحوالي الروحية.. وأخذت أفكر ملياً: أيهما اتبع!. أأسير وراء هذا، أم أسير وراء ذاك؟ احترت كثيراً وكانت حيرتي شديدة جداً، إذ في كل منهما خواص وجاذبية، لذا لم استطع أن اكتفي بواحد منهما...

وحينما كنتُ أتقلّب في هذه الحيرة الشديدة.. إذا بخاطر رحماني من الله سبحانه وتعالى يخطر على قلبي ويهتف بي:

ـ إنَّ بداية هذه الطّرق جميعها.. ومنبع هذه الجداول كلها.. وشمس هذه الكواكب السيارة.. إنّما هو القرآن الكريم، فتوحيد القبلة الحقيقي إذن لا يكون إلا في القرآن الكريم.. فالقرآن هو أسمى مُرشد.. وأقدس أستاذ على الإطلاق.. ومنذ ذلك اليوم أقبلت على القرآن واعتصمت به واستمددت منه.. فاستعدادي الناقص قاصر من أن يرتشف حق الارتشاف فيض ذلك المرشد الحقيقي الذي هو كالنبع السلسبيل الباعث على الحياة، ولكن بفضل ذلك الفيض نفسه يمكننا أن نبين ذلك الفيض، وذلك السلسبيل لأهل القلوب وأصحاب الأحوال، كلٌ حسب درجته. فالكلمات والأنوار المستقاة من القرآن الكريم (أي رسائل النور) إذن ليست مسائل علمية عقلية وحدها بل أيضاً مسائل قلبية، وروحية، وأحوال إيمانية.. فهي بمثابة علوم إلهية نفيسة ومعارف ربانية سامية[2].

---

(1) أنظر: المكتوب (75) من مكتوبات الإمام الرباني ترجمة محمد مراد.

(2) النورسي، المكتوبات ص 457 ـ 459.

ويقول عن خياره القرآني واستلهام نهجه:

«إنَّ معرفة الله المستنبطة بدلائل علم الكلام ليست هي المعرفة الكاملة، ولا تُورث الاطمئنان القلبي، في حين أنّ تلك المعرفة متى ما كانت على نهج القرآن الكريم المعجز، تُصبح معرفة تامة وتسكب الاطمئنان الكامل في القلب. نسأل الله العلي القدير أن يجعل كل جزء من أجزاء رسائل النور بمثابة مصباح يُضئ السبيل القويم النوراني للقرآن الكريم... وكما أنّ معرفة الله الناشئة من علم الكلام تبدو ناقصة وقاصرة، فإنّ المعرفة الناتجة عن طريق التصوف أيضاً ناقصة ومبتورة بالنسبة نفسها أمام المعرفة التي استقاها ورثة الأنبياء من القرآن الكريم مباشرة..

أما المنهج الحقيقي للقرآن الكريم فيجد الماء في كل مكان ويحفره أينما كان. فكل آية من آياته الجليلة كعصا موسى تفجر الماء أينما ضربت......

إنَّ الإيمان لا يحصل بالعلم وحده، إذ إنّ هناك لطائف كثيرة للإنسان لها حظها من الإيمان فكما أنّ الأكل إذا ما دخل المعدة ينقسم ويتوزع إلى مختلف العروق حسب كل عضو من الأعضاء، كذلك المسائل الإيمانية الآتية عن طريق العلم إذا ما دخلت معدة العقل والفهم، فإنّ كل لطيفة من لطائف الجسم ـ كالروح والقلب والسر والنفس وأمثالها ـ تأخذ منها وتمصها حسب درجاتها. فإنّ فقدت لطيفة من اللطائف غذاءها المناسب، فالمعرفة إذن ناقصة مبتورة، وتظل تلك اللطيفة محرومة منها»[1].

---

(1) النورسي، الملاحق، أميرداغ، ص 250.

ثم يُضيف قائلاً:

إنّي أخال أنّ لو كان الشيخ عبد القادر الكيلاني والشاه النقشبند والإمام الرباني وأمثالهم من أقطاب الإيمان رضوان الله عليهم أجمعين في عصرنا هذا، لبذلوا كل ما في وسعهم لتقوية الحقائق الإيمانية والعقائد الإسلامية، ذلك لأنهما منشأ السعادة الأبدية، وإنّ أي تقصير فيهما يعني الشقاء الأبدي. . .

نعم، لا يُمكن دخول الجنة من دون إيمان، بينما يدخلها الكثيرون جداً دون تصوف. فالإنسان لا يمكن أن يعيش دون خبز، بينما يمكنه العيش دون فاكهة. فالتصوف فاكهة والحقائق الإسلامية خُبز.

وفيما مضى كان الصعود إلى بعض من حقائق الإيمان يستغرق أربعين يوماً، بالسير والسلوك، وقد يطول إلى أربعين سنة، ولو هيأت الرحمة الإلهية في الوقت الحاضر طريقاً للصعود إلى تلك الحقائق لا يستغرق أربعين دقيقة! فليس من العقل أن لا يُبالى بهذا الطريق؟!

فالذين قرأوا بإنعام ثلاثاً وثلاثين رسالة من «الكلمات» يُقرون بأنّ تلك»افكات» قد فتحت أمامهم طريقاً قرآنياً قصيراً كهذا. فما دامت الحقيقة هكذا. فإنّي أعتقد:

إنَّ «الكلمات» التي كُتبت لبيان أسرار القرآن هي أنجع دواء لأمراض هذا العصر وأفضل مرهم يُمرر على جروحه، وأنفع نور يُبدد هجمات خيول الظلام الحالك على المجتمع الإسلامي، وأصدق مرشد ودليل لأولئك الحيارى الهائمين في أودية الضلالة.

وعن ماهية رسائل النور يقول مُعرفاً بها: «إنَّ رسائل النور ليست

طريقة صوفية بل حقيقة، وهى نور مفاض من الآيات القرآنية ولم تستق من علوم الشرق ولا من فنون الغرب، بل هي معجزة معنوية للقرآن الكريم خاص لهذا الزمان»[1].

إنَّ رسائل النور بُرهان باهر للقرآن الكريم، وتفسير قيم له، وهي لمعة براقة من لمعات إعجازه المعنوي، ورشحة من رشحات ذلك البحر، وشعاع من تلك الشمس، وحقيقة ملهمة من كنز علم الحقيقة، وترجمة معنوية نابعة من فيوضاته..[2].

مما تقدم يتضح أنَّ رسائل النور هي تفسير لمعاني القرآن الحكيم، وهي تُعالج القضايا الأساسية في حياة الفرد، إذ تُنشئ عنده تصورات إيمانية جديدة وتهدم التصورات الفاسدة والسلوك الضعيف. وتدور حول معاني (التوحيد) بدلائل متنوعة و(حقيقة الآخرة) و(صدق النبوة) و(عدالة الشريعة) إلى بقية الأمور التي قصدها القرآن الكريم.

علاوة على ما تبحثه من أمور الدعوة إلى الله ومحبة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، والشوق إلى الآخرة وأمور اجتماعية وسياسية مختلفة. ولذلك يقول النَّورسي عنها:

«إنَّ أجزاء رسائل النور قد حلّت أكثر من مائة من أسرار الدين والشريعة والقرآن الكريم، ووضحتها وكشفتها وألجمت أعتى المعاندين المُلحدين وأفحمتهم، وأثبتت بوضوح كوضوح الشمس ما كان يُظن بعيداً عن العقل من حقائق القرآن كحقائق المعراج النبوي والحشر

(1) النّورسي، الملاحق، قسطموني، ص 202.

(2) المصدر نفسه، ص220.

الجسماني، أثبتتها لأشد المعاندين والمتمردين من الفلاسفة والزنادقة حتى أدخلت بعضهم إلى حظيرة الإيمان، فرسائل هذا شأنها لا بد أنَّ العالم ـ وما حوله ـ بأجمعه سيكون ذا علاقة بها، ولا جرم أنها حقيقة قرآنية تشغل هذا لعصر والمستقبل، وتأخذ جل اهتمامه، وأنها سيفٌ ماسيّ بتار في قبضة أهل الإيمان..»[1].

وعن سبب الاهتمام الكبير الذي نالته الرسائل، يُوضح النَّورسي ذلك بنفسه قائلا: «إنَّ سبب الاهتمام الذي نالته رسائل النور نابع من أهمية الزمان نفسه. ومن شدة الهدم الذي أحدثه هذا العصر في الشريعة المحمدية والشعائر الأحمدية... ومن فتنة آخر الزمان الحالية التي استعاذت منها الأمة الإسلامية منذ القدم... ومن زاوية إنقاذ إيمان المؤمنين من صولة تلك الفتنة»[2].

وعن لغة الرسائل:

فقد استخدم النَّورسي في كتابة الرسائل، اللغة العربية والتركية، إضافة إلى الفارسية بشكل محدود.

ومُؤلفاته باللغة العربية هي كالتالي:

1 ـ تفسير «إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز» وهو المكتوب الثلاثون، ويقع في كتاب مستقل حققه إحسان قاسم الصالحي كما سلفت الإشارة إليه.

---

(1) النّورسي، الملاحق، أميرداغ، ص 248.

(2) الملاحق في فقه دعوة النور، ص 223.

2 ـ «المثنوى العربي النوري»! وهو أيضا مجلد مستقل حققه إحسان قاسم.

3 ـ كتاب «مُحاكمات عقلية» أو «صيقل الإسلام».

4 ـ الخُطبة الشامية.

5 ـ اللمعة التاسعة والعشرون: وهى: رسالة التفكر الإيماني الرفيع والمعرفة التوحيدية السامية.

6 ـ الحزب الأكبر النوري.

7 ـ مناظرات.

8 ـ قزل إيجاز.

إضافة لما كتبه بالعربية، فقد كتب باللغة التركية بقية مؤلفاته، لكن بحروف عربية إلى غاية سنة (1955م)، حيث سمح له بنشر الرسائل التركية بالحروف اللاتينية، كي لا يحرم طلاب المدارس الحديثة من الاطلاع على رسائل النور[1].

ظهور رسائل النور:

يقول النَّورسي حول كيفية ظهورها: «ب صرفتُ كل همِّي ووقتي إلى تدبّر معاني القرآن الكريم. وبدأت أعيش حياة «سعيد الجديد».. أخذتني الأقدار نفياً من مدينة إلى أخرى.. وفي هذه الأثناء تولّدت من صميم قلبي معاني جليلة نابعة من فيوضات القرآن الكريم.. أمليتها على

(1) بديع الزمان سعيد النورسيّ، نظرة عامة عن حياته وآثاره، ص 187.

مَن حولي من الأشخاص، تلك الرسائل التي أطلقت عليه «رسائل النور»(*).

إنّها انبعثت حقاً من نور القرآن الكريم. لذا نبع هذا الإسم من صميم وجداني، فأنا على قناعة تامة ويقين جازم بأنّ هذه الرسائل ليست مما مضغته أفكاري وإنّما إلهام إلهي أفاضه الله سبحانه على قلبي من نور القرآن الكريم، فباركت كل من استنسخها، لأنني على يقين أن لا سبيل إلى حفظ إيمان الآخرين غير هذه السبيل... وهكذا تلقفتها الأيدي الأمينة بالاستنساخ والنشر، فأيقنت أنَّ هذا تسخير ربّاني وسَوق إلهي لحفظ إيمان المسلمين.. فاستشعرت بضرورة تشجيع كل مَن يعمل في هذه السبيل امتثالاً بما يأمرني به دينيب»[1].

ومعلوم أنَّ النظام الجديد في تركيا بدّل الحروف العربية إلى حروف لاتينية، وحظر الطبع والنشر بها، وأغلقت مطابعها، فكانت (طريقة الاستنساخ) باليد سراً هي الطريقة الوحيدة والعملية لنشر مؤلفات رجل منفي ومُراقب، سُدَّت في وجهه جميع سُبل التأليف والنشر، وخاصة مع إصراره على الكتابة بالحروف العربية للمحافظة عليها من الاندثار والنسيان.

(*) يقول النورسي: إنّ سبب إطلاق إسم رسائل النور... هو أنّ كلمة «النور» قد جابهتني فى كل مكان طوال حياتى، منها: قريتي اسمها: نورس، إسم والدتى المرحومة نورية، إسم أستاذي فى الطريقة النقشبندية: سيد نور محمد. وأحد أساتذتي في الطريقة القادرية: نور الدين، وأحد أساتذتي في القرآن: نوري، وأكثر من يلازمني من طلابي من يُسمون باسم: نور، وأكثر ما يوضح كتبي وينورها هو التمثيلات النورية، وأكثر ما حل مشكلاتي في الحقائق الإلهية هو: إسم «النور» من الأسماء الحسنى. ولشدة شوقي نحو القرآن وانحصار خدمتي فيه، فإنّ إمامي الخاص هو سيدنا عثمان ذو النورين(رض)؛ النورسيّ: ، الملاحق في فقه دعوة النور. ترجمة إحسان قاسم ص 70. 71.

(1) النّورسي، الشعاعات، ص541 ـ 542.

وقد استمرت جهود النَّورسي في تأليف رسائل النور حتى سنة 1950م وهو يتنقل من سجن إلى آخر ومن محكمة إلى أخرى. . طوال ربع قرن من الزمان.

وخلال هذه الفترة لم يتوقف النورسي عن التأليف والتبليغ حتى بلغت أكثر من (130) رسالة، جُمعت تحت عنوان «كليات رسائل النور» التي لم تتيسر لها أن ترى طريقها إلى المطابع إلا بعد سنة 1954م.

وعندما بدأت حلقات الطلاب تتّسع، بدأت الرسائل تصل إلى القرى والنواحي القريبة من (بارلا) وبدأت الأيدي تتلقف سراً هذه الرسائل وتتدارسها، وتُهرّبها إلى المدن البعيدة، وصولا إلى المرحلة التي حصلت فيها الرسائل على حكم لصالحها عام 1954م، بذلت جهود كبيرة لجمعها وتبويبها وإخراجها في صورتها الأخيرة، في تسع مجلدات، جرت ترجمتها إلى عدة لغات(*).

وعند انتقاله إلى رحمة الله تعالى، ترك وراءه تراثاً علمياً مهماً يزيد على ثلاثين ومائة رسالة، هي أساس فكره ودعوته. ألف أغلبها فى المرحلة الثانية من حياته (سعيد الجديد)، وضم إليها أغلب ما ألفه في المرحلة الأولى، وسماها جميعاً (رسائل النور).

وكان النَّورسي قد بيَّن أنَّ هذه الرسائل، تتوزع على أربع مجموعات رئيسية:

(*) وأخذت الترجمات طريقها للانتشار، فترجمت إلى اللغة العربية، اضافة إلى ترجمة مجموعة من الرسائل إلى الألمانية والروسية والفارسية والكردية والمالوية والصينية والبوسنية وكثير من لغات دول آسيا الوسطى وغيرها من اللغات.

المجموعة الأولى المسماة: (الكلمات)، إذ منها تنبثق المجموعة الثانية: (المكتوبات)، التي بدورها تتشعب عنها المجموعة الثالثة: (اللمعات)، ثم المجموعة الرابعة: (الشعاعات) وهي متفرعة عن سابقتها.

وقد ألحق بهذه المجموعات ثلاثة ملاحق: ملحق بارلا، مُلحق قسطموني، مُلحق أميرداغ، وهي رسائل توجيهية إلى طلبة النور في أساليب خدمة القرآن الكريم، وفقه الدعوة، والقضايا العملية التي تواجههم.

وهكذا فقد رفع النَّورسي لواء الدفاع عن الإسلام والقرآن، وما رسائل النور إلا نتاج ذلك الجهاد من أجل إعلاء كلمة القرآن. وظل خادماً للقران طول سني حياته.

المبحث الثاني

عناوين الرسائل

في هذا المبحث سنُلقي نظرة سريعة على عناوين الرسائل، مع الإشارة المختصرة لمضمونها. يلاحظ أنّ الرسائل تختلف اختلافاً كبيراً من حيث الحجم، فهناك رسائل هي بضع صفحات فقط، وهناك رسالة واحدة تُشكل كتاباً كاملا[1]. وفيما يلي جولة مع مؤلفات النَّورسي:

1 ـ الكلمات:

كتاب يضم ثلاثاً وثلاثين رسالة «كلمة»! بدأ بتأليفها سنة (1926م) فى منفاه بـ (بارلا). كتبها باللغة التركية، ومن هذه الرسائل:

- الكلمة الأولى: وتُبين ما في البسملة من قوة وبركة.
- الكلمة الثانية: تُفسر قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ﴾ [البقرة: آية 3]، مع بيان أنَّ الإيمان سعادة ونعمة.

---

(1) مثال ذلك: الرسالة الأولى من مجموعة اللمعات تتكوّن من أربع صفحات فقط، والرسالة الثانية من المجموعة نفسها تتكوّن من عشر صفحات، على حين إن كتاب «إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز» الذي يتكون من اثنتين وأربعين ومائتي صفحة في رسالة واحدة.

ـ الكلمة الثالثة: تفسر قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمۡ﴾ [البقرة: آية 21]، فتبين أن العبادة سعادة عظمى، والفسق خسارة جسيمة.

ـ الكلمة الرابعة: تُفسر قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتۡ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ كِتَٰبٗا مَّوۡقُوتٗا﴾ [النساء: آية 103]. .

ـ والكلمة الثالثة عشرة: وهي تنقسم قسمين:

القسم الأول: يُبين ثروة حِكمة القرآن وغناها، وفقر العلوم الفلسفية وعجزها، مع بيان تنزه القرآن عن الشعر، وكيفية تذوق الإعجاز.

القسم الثاني: يُرشد الإنسان ـ ولا سيما الشباب ـ إلى كيفية إنقاذ آخرته.

ـ الكلمة السابعة عشرة: يُبين فيها بعض أسرار الحياة والموت.

ـ الكلمة الثامنة عشرة: تنقسم إلى قسمين أو مقامين، كتب الأول منهما فقط، وهو يضم ثلاث نقاط:

الأولى: يُوجه فيها العتاب إلى نفسه ـ الأمارة بالسوء ـ ، كي يكسر فخرها عجبها، على ضوء قوله تعالى: ﴿لَا تَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفۡرَحُونَ بِمَآ أَتَواْ وَّيُحِبُّونَ أَن يُحۡمَدُواْ بِمَا لَمۡ يَفۡعَلُواْ فَلَا تَحۡسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٖ مِّنَ ٱلۡعَذَابِۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾ [آل عمران: 188].

الثانية: يُوضح فيها سراً من أسرار الآية الكريمة: ﴿أَحۡسَنَ كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقَهُۥ﴾ [السجدة: آية 8]. .

الثالثة: يُبين فيها أنَّ حُسن الصنعة دليل على نبوة محمد (ص).

2 ـ المكتوبات:

تتكوّن مجموعة «المكتوبات» من ثلاث وثلاثين رسالة أو (مكتوباً)، ألفها النَّورسي في المرحلة الثانية من حياته، منها:

ـ المكتوب الأول: يتناول البحث في قضايا غيبية كالموت والحياة وجهنم...

ـ المكتوب الثاني: يُوضح فيه أسباب استغنائه عن الناس، وعدم قبوله هداياهم، وهي قاعدة سار عليها طول حياته.

ـ المكتوب الثالث: يتضمن تأملات في آيات قرآنية، ويُبين نكتاً إيمانية تتمثل في صعوبة طريق الضلال وسهولة طريق التوحيد.

ـ وفي المكتوب الثاني والعشرون: وهو مبحثان:

ـ المبحث الأول: يدعو أهل الإيمان إلى الأخوة والمحبة واجتناب العداوة والبغضاء والتحاسد، في ضوء قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾ [الحجرات: آية 10]، وقوله تعالى: ﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ﴾ [فصلت: آية 34] وقوله أيضاً: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَـٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ﴾ [آل عمران: آية 134].

ـ المبحث الثاني: يُبين مدى ضرر الحرص والطمع على الحياة الإسلامية.

ـ والمكتوب السابع والعشرون: هو كتاب الملاحق، ويحتوى على مراسلات بديع الزمان وطلابه ويتكون من ثلاثة أجزاء كبيرة، كل جزء يضم تجربة مرحلة من مراحل حياة النَّورسي ودعوته:

- مُلحق بارلا (1927م ـ 1935م)

- مُلحق قسطموني (1936م ـ 1944م)

- ملحق أمير داغ (1) (1944م ـ 1947م): ومُلحق أمير داغ (2) (1948م حتى وفاته).

ضمّت هذه الأجزاء في كتاب واحد، سُمي «الملاحق في فقه دعوة النور»! طابعها العام توجيهي إرشادي يُبين أهمية رسائل النور، ومنهجها في الدعوة إلى الله في هذا العصر. ونظراً لأهميتها فقد وضعها، ضمن رسائل النورالإيمانية، وجعلها المكتوب السابع والعشرين من مجموعة المكتوبات(1).

3 ـ اللّمعات:

يشتمل هذا الكتاب على ثلاث وثلاثين رسالة أو «لمعة»! ويُعد من أهم الكتب في سلسلة كُليات رسائل النور، منها:

- اللمعة الأولى: في تفسير قوله تعالى: ﴿فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء: آية 87]. مع بيان قصة يونس(ع) ومناجاته التى هي من أعظم أنواع المناجاة.

- اللمعة الثانية: في مناجاة أيوب عليه السلام على ضوء قوله تعالى: ﴿وَأَيُّوبَ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [الأنبياء: آية 83]، مع بيان الحاجة إلى الصبر على المصائب والبلاء، وأنّ المصيبة الحقيقية هي التي تُصيب الدين.

---

(1) النّورسي، الملاحق في فقه دعوة النور ـ ترجمة إحسان الصالحي.

ـ اللمعة الثالثة: تتضمن تفسيراً لقوله تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [القصص: آية 88] في ضوء جملة (يا باقي أنت الباقي)، وبيان ما فيها من حقائق، مع عقد مقارنة بين حسي البقاء والفناء في الإنسان.

ـ اللمعة الرابعة: رسالة بعنوان «منهاج السنة»! وتضمنت تفسيرا لقوله تعالى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: آية 128]. وقوله تعالى: ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ [الشورى: آية 23]. وفيها حديث عن «مسألة الإمامة»! وبيان الخلاف بين أهل السنة والشيعة مع محاولة التوفيق بينهما، وذلك بالنهي عن الإفراط والتفريط.

ـ اللمعة الخامسة: في بيان حقيقة الآية الكريمة: ﴿وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾. وقد أجل النّورسي كتابتها، لأنه يعدها ذات علاقة بالتفكر والذكر أكثر من علاقتها بالعلم والحقيقة، وأدمجها في اللمعة التاسعة والعشرين العربية(1).

4 ـ الشعاعات

وهي المجموعة الرابعة من كُليات رسائل النور، وتبدأ من الرسالة الثانية أو (الشعاع الثاني): حيث يُوضح النّورسي أنّه كتبه في سِجن (إسكى شهر) بعد أن أفرج عن أصدقائه وبقي هو وحيداً.

وهذه المجموعة تتألف من خمس عشرة رسالة أو (شُعاعاً)، منها:

(1) النّورسي، اللمعات، ترجمة: إحسان الصالحي، ص 39.

- الشعاع الثاني: يُبين فيه أسرار الإيمان وثمرات التوحيد الوفيرة.

- الشعاع الثالث: بعنوان: «رسالة المناجاة»! وهى مناجاة إلهية تتعلق بربوبيته تعالى ورحمته وحكمته وقدرته: «تثبت وجوب الوجود، والوحدة والأحدية، وجلال الربوبية، وعظمة القدرة، وسعة الرحمة، وعمومية الحاكمية، وإحاطة العلم، وشمول الحكمة.. وأمثالها من الأسس الإيمانية.. وإنَّ إشاراتها إلى الحشر قوية جداً»[1].

- الشعاع الرابع: وفيه تفسير وجدانى للآية الكريمة ﴿حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾، يُبين خلاله المؤلف أنَّ لذة الإيمان موجودة بنفسها في الإيمان، كما يُبين نظرة الإيمان إلى الحياة، وقضايا إيمانية أخرى.

- الشعاع الخامس: بعنوان: «أشراط الساعة».

- الشعاع السادس: في بيان معانى «التّشهد».

- الشعاع السابع: رسالة مهمة بعنوان: «الآية الكبرى»! حشد فيها البراهين الدالة على وجوده تعالى، وأدلة وحدانيته لإفحام المنكرين. ثم اختتمها ببيان مهمة رسائل النور.

رسائل مُستقلة:

هذه المجموعات الأربعة السابق ذكرها وملحقاتها هي أركان كُليات رسائل النور، وتوجد إضافة لها رسائل أخرى مستقلة أهمها:

- صيقل الإسلام: أو «محاكمات عقلية في التفسير والبلاغة والعقيدة»! تتضمن ثلاثة موضوعات رئيسية، في كل منها مجموعة قضايا فرعية:

---

(1) النّورسي، الشعاعات، ص 47.

الموضوع الأول: في التفسير، حيث يوضح بعض القواعد الفكرية اللازم اتباعها فيه.

الموضوع الثاني: في البلاغة، ويشمل الحديث فيه نظم الكلام، وفلسفة البيان.

الموضوع الثالث: في العقيدة، وقضية التوحيد ودلائله.

- قزل إيجاز:

حاشية كتبها على متن كتاب «سُلم المنطق» في علم المنطق «للشيخ عبد الرحمن الأخضري»! وقد أوضح أنه كتبها: «.. لأجل تعويد الأذهان على الدقة في الملاحظة والإنعام في النظر»[1].

- تعليقات: حواش ألفها على كتاب «برهان للكلنبوي» في علم المنطق.

- السانحات: وفيها تفاسير لآيات قرآنية، ومناقشة لبعض قضايا العقيدة مع بيان تأثيرها في الحياة الاجتماعية[2].

- المناظرات: مجموعة الدروس التي ألقاها لإرشاد العشائر الكردية وتوعيتها دينياً واجتماعياً[3].

- المحكمة العسكرية العرفية: وتتضمن دفاعه في المحكمة عقب اتهامه في حادثة: 31/ 3/ 1909م[4] - الخطبة الشامية: هي الخطبة التي

---

(1) قزل إيجاز، ضمن صيقل الإسلام، ص 163.
(2) السانحات، ضمن صيقل الإسلام، ص 331.
(3) المناظرات، ضمن صيقل الإسلام، ص375.
(4) المحكمة العسكرية العرفية في: صيقل الإسلام، ص 437.

ألقاها في المسجد الأموي أثناء زيارته لدمشق عام 1911م، وقد بيّن فيها أمراض العالم الإسلامي والعلاج اللازم لها[1].

- الخطوات الست: رسالة مختصرة ألفها زمن الاحتلال الإنجليزي لعاصمة الخلافة، فضح فيها دسائس الاستعمار، ودعا المسلمين إلى مقاومته. وعندما سقطت هذه الرسالة بيد الإنجليز حكموا عليه بالإعدام[2].

وجُمعت المؤلفات السبعة السابقة في كتاب واحد بعد ترجمتها وتحقيق جزء كبير منها، باسم: «صيقل الإسلام» وهو إسم أول مؤلفاته. ويُعد الآن الجزء الثامن من سلسلة كُليات رسائل النور العربية.

---

(1) الخطبة الشامية في: صيقل الإسلام، ص477.

(2) الخطوات الست، في: صيقل الإسلام، ص543.

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.
- أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الجيل: بيروت، ط: 1 ـ 1411هـ/ 1991م.
- الجوهري، إسماعيل بن حماد (ت: 393هـ) الصِّحاح، تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين: بيروت، ط: 4 ـ 1407هـ/ 1987م.
- الفيروزآبادي، القاموس المحيط، دار الكتب العلمية: بيروت، ط1 ـ 1415هـ/ 1995م.
- أحمد الريسوني، نظرية المقاصد عند الإمام الشاطبي، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، دار الأمان، الرباط، الطبعة الأولى 1411هـ ـ 1991م.
- نور الدين بن مختار الخادمي، الاجتهاد المقاصدي: حُجيته، ضوابطه، مجالاته، كتاب الأمة رقم (65 ـ 66)، 1419هـ .
- أحمد الريسوني، الكُليات الأساسية للشريعة الإسلامية، إصدارات اللجنة العلمية لحركة التوحيد والإصلاح، ط ـ 2007م.

- محمد الطاهر ابن عاشور، مقاصد الشريعة الإسلامية، الشركة التونسية للتوزيع، الطبعة الثالثة 1988م.
- علال الفاسي، مقاصد الشريعة الإسلامية ومكارمها، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، الطبعة الرابعة 1411هـ ـ 1991م.
- يوسف القرضاوي، في فقه الأولويات: دراسة جديدة في ضوء القرآن والسنة، مؤسسة الرسالة الطبعة الأولى.
- بديع الزمان سعيد النّورسي، المثنوي العربي النوري، تحقيق الأستاذ إحسان قاسم الصالحي، مطبعة سوزلر، إستانبول، ط ـ 1993م.
- بديع الزمان سعيد النورسي، إشارات الإعجاز، تحقيق الأستاذ إحسان قاسم الصالحي، مطبعة سوزلر، إستانبول، ط ـ 1993م.
- بديع الزمان سعيد النورسي، صيقل الإسلام، محاكمات عقلية، ترجمة الأستاذ إحسان قاسم الصالحي، مطبعة سوزلر، إستانبول، ط ـ 1993م.
- بديع الزمان سعيد النَّورسي، الكلمات، ترجمة الأستاذ إحسان قاسم الصالحي، مطبعة سوزلر، إستانبول، ط ـ 1993م.
- إبراهيم هلال، التصوف الإسلامي بين الدين والفلسفة، دار النهضة العربية: القاهرة، ط ـ 1395هـ.
- إحسان قاسم الصالحي، بديع الزمان سعيد النَّورسي: نظرة عامة عن حياته وآثاره، دار سوزلر: استانبول، ط ـ 1987م.
- أحمد عمر أبو حجر، التفسير العلمي للقرآن في الميزان، دار قتيبة: دمشق ط 1 ـ 1991م.
- أحمد الناصري، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، تحقيق: جعفر الناصري ومحمد الناصري، دار الكتاب: الدار البيضاء، ط ـ 1956م.
- أحمد نوري النعيمي، الحركات الإسلامية الحديثة في تركيا حاضرها

ومستقبلها: دراسة حول الصراع بين الدين والدولة في تركيا، دار البشير: عمان ـ الأردن ـ ط1 ـ 1993م.

ـ أورخان محمد على، سعيد النَّورسي رجل القدر في حياة أمة، شركة النسل: استانبول ـ ط1 ـ 1416هـ/ 1995م.

ـ سعيد النَّورسي، الشعاعات، ترجمة: إحسان قاسم الصالحي، دار سوزلر: استانبول، ط1 ـ 1414هـ/ 1993م.

ـ سعيد النَّورسي، اللمعات، ترجمة: إحسان قاسم الصالحي، دارسوزلر: استانبول، ط1 ـ 1413هـ / 1993م.

ـ سعيد النَّورسي، المكتوبات. ترجمة: إحسان قاسم الصالحي، دار سوزلر: استانبول، ط1 ـ 1413هـ / 1992م.

ـ سعيد النَّورسي، الملاحق في فقه دعوة النور، ترجمة: إحسان قاسم الصالحي، دارسوزلر: استانبول، ط1 ـ 1425هـ / 1995م.

ـ الشاطبي، أبو إسحاق إبراهيم (ت790هـ)، الموافقات في أصول الأحكام، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع. (د. م) (د. ت).

ـ الغزالي، أبو حامد محمد (ت505هـ)، المستصفى من علم الأصول، دار الكتب العلمية: بيروت، الطبعة الثانية.

ـ محسن عبد الحميد، النَّورسي متكلم العصر الحديث، دار سوزلر: القاهرة، ط ـ 1985م.

ـ محمد إقبال، تجديد الفكر الديني، ترجمة: عباس محمود، دار آسيا: بيروت، ط ـ 1406هـ / 1985م.

ـ محمد الفاضل بن عاشور، أعلام الفكر الإسلامي في تاريخ المغرب العربي، مكتبة النجاح: تونس.

ـ الملا محمد زاهد الملا زكردي، لمحة سريعة من خلاصة الإمام بديع الزمان، دار الآفاق الجديدة ـ بيروت.

- يوسف آصاف، تاريخ سلاطين آل عثمان، تحقيق بسام الجابي، دار البصائر: دمشق ـ ط3 ـ 1405هـ .
- سهيل صابان، الأوضاع الثقافية في تركيا في القرن الرابع الهجري: دراسة وتقويم، رسالة دكتوراه، جامعة الإمام محمد بن سعود، الرياض، ط ـ 1415هـ/ 1994م.
- شكري أصلان، الإمام سعيد النَّورسي رائد الحركة الإسلامية في تركيا وأوضاع الدولة التركية، ط ـ 1415هـ/ 1995م.
- نجم الدين شاهين أر، حياة بديع الزمان سعيد النَّورسي وجوانبها المجهولة، دار سوزلر: استانبول.
- بديع الزمان سعيد النورسي، كليات رسائل النور، سيرة ذاتية، إعداد وترجمة إحسان قاسم الصالحي.
- بديع الزمان سعيد النورسي، كُليات رسائل النور، الملاحق في فقه دعوة النور، ترجمة إحسان قاسم الصالحي.
- بديع الزمان سعيد النورسي، كُليات رسائل النور، المكتوبات، ترجمة إحسان قاسم الصالحي.
- بديع الزمان سعيد النورسي، كُليات رسائل النور، الشعاعات، إعداد وترجمة إحسان قاسم الصالحي.

بحوث مقدمة لمؤتمرات وندوات حول فكر النَّورسي:

- أحمد خالد شكري، آراء النَّورسي في وجوه إعجاز القرآن الكريم، أوراق المؤتمر العالمي الثالث حول فكر بديع الزمان، استانبول، 24/ 9/ 1995م.
- زياد خليل محمد الدغامين، منهج بديع الزمان النَّورسي في بيان إعجاز القرآن الكريم، أوراق المؤتمر العالمي الثالث حول فكر بديع الزمان (1995م).

- الدكتور علاء الدين زعتري، العدالة الاجتماعية في الإسلام من فكر بديع الزمان سعيد النَّورسي، بحث مُقدم للمؤتمر السابع لبديع الزمان سعيد النَّورسي (ممارسة حياة إيمانية فاعلة في سلام ووئام في عالم متعدد الثقافات) المنعقد في إستانبول ـ 1 ـ 3 أكتوبر 2004م .
- ياسر إسماعيل راضي، النبوة وضرورتها للإنسانية في القرآن بمنظور رسائل النور.
- ماهر الهندي، مقاصد الشريعة الإسلامية وتطبيقاتها في منهج النَّورسي.
- علي قاطي ثوز، مقاصد القرآن من خلال رسائل النور، مانيسا ـ تركيا.
- الدكتورحمداوي يوسف، وجوه تطبيق العدالة في العلاقات الاجتماعية عند بديع الزمان سعيد النَّورسي.
- الدكتور محمد بن علي الهرفي، العدالة وعلاقتها بحقوق الإنسان في الإسلام: رؤية نورسيّة.
- الدكتورة حبيبة أبو زيد، النَّورسي رجل المقصد والحكمة.
- الدكتور محمود محمد علي، أثر التربية الإسلامية في مواجهة العنف، دراسة من منظور رسائل النور، بحث مقدَّم إلى المؤتمر العالمي السابع لبديع الزمان سعيد نورسيّ (ممارسة حياة إيمانية فاعلة في سلام ووئام في عالم متعدد الثقافات) المنعقد في إستانبول ـ 1 ـ 3 أكتوبر 2004م.
- حسن عبد الرحمن بكير، بديع الزمان سعيد النَّورسي وأثره في الفكر والدعوة.
- الدكتورمحسن عبد الحميد، النَّورسي متكلم العصر الحديث، البحث المقدم إلى المؤتمر العالمي للنورسيّ: (تجديد الفكر الإسلامي في القرن العشرين وبديع الزمان سعيد النَّورسي) باستانبول ـ 24 ـ 26 أيلول 1995م.
- الدكتور عمار جيدل، الطريق النّوري في التربية والسلوك: الأُسس والمميزات.

ـ الدكتور عبد العزيز البطيوي، أساسيات منهج الفكر المقاصدي عند النَّورسي.
ـ الدكتورعابد توفيق الهاشمي، إنسانية الرجل والمرأة في القرآن بمنظور النّورسي.
ـ الطيب البوهالي، مفتاح المقاصد في كتاب الكلمات، لبديع الزمان النَّورسي.
ـ عبد الرزاق عبد الرحمن السعدي، إعجاز القرآن اللغوي في فكر النَّورسي، المؤتمر العالمي الثالث حول فكر بديع الزمان. استانبول 24/ 9/ 1995م
ـ عماد الدين خليل، الرسول (ص) في رسائل النور ـ المؤتمر الثالث حول فكر بديع الزمان.

لقد كان النورسي مشاركاً منذ وعى المخاطر في الدفاع عن الأمة، في مرحلتين لكل منهما طبيعتها. في الأولى شارك في الجهاد والدفاع عن الدولة والدعوة إلى الإصلاح السياسي؛ وفي المرحلة الثانية بعد سقوط الدولة وسيطرة العلمانيين وفرض سياسة معادية للإسلام وسلوك نشر ثقافة الغرب في مختلف مفاصل الحياة. يقول النورسي عن هذه المرحلة الدقيقة والحرجة في حياة الأمة: "إنني أستطيع تحمل كل آلامي الشخصية ولكن آلام الأمة سحقتني، إنني أشعر بأن الطعنات التي وُجّهت إلى العالم الإسلامي وجّهت إلى قلبي أولا؛ ولهذا ترونني مسحوق الفؤاد، ولكني أرى نوراً ينسينا هذه الآلام إن شاء الله". أدرك النورسي أن الأمة أصيبت في دينها أولا، ولو كانت سليمة لما سقطت أمام المخطط اللاديني، ومن هذه السقطة بدأ توجهه لبناء الإيمان وإعادة المسلم إلى كيانه وهويته من خلال إحياء الإيمان... لقد شخّص النورسي مرض الأمّة واكتشف العلاج....

المؤلف
من المقدمة

BADI AL-ZAMAN SAID AL-NAWRASI
AND HIS ERA'S CHALLENGES

Center of Civilization for the Development of Islamic Thought

A Seiries on Leading Thinkers & Reformers in the Islamic World


ISBN 978-9953-538-54-9

برعاية ودعم:



مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي

بيروت – لبنان – بئر حسن – شارع السفارات – بناية الصباح – ط٢
هاتف: 826233 1 961+ – فاكس: 820378 1 961+ - ص.ب: 25/55
E-mail:info@hadaraweb.com - www.hadaraweb.com